

Khālīs, Ṣalāh

Muḥammad ibn 'Ammār al-Andalusī

محمد بن عمار الأندلسي

دراسة أدبية تاريخية

لألمع شخصية سياسية في تاريخ دولة بني عباد

في اشبيلية

تأليف

الدكتور صلاح فالح

مدرس الأدب الأندلسي في كلية الآداب والعلوم
بغداد

مطبعة الهدى - بغداد

١٩٥٧

Near East

PJ
7755
.I199
Z7
c.1

~~PJ
7755
.I22
Z7
c.1~~

الأهداء

الى المكافحين في غياهب ظلمات الجهل من أجل نور المعرفة ..
الى المناضلين في أغلال الاستعباد من اجل الحرية ..
رمز تقدير وأعجاب

المؤلف



كاتب

قوله في كتابه
قوله في كتابه
قوله في كتابه

عنه

مقدمة

كان جديراً بهذا الكتاب أن يظهر بعد دراستين تسبقانه ، تمهدان له الطريق وتهيئان له السبيل ، الأولى دراسة تاريخية اجتماعية وسياسية عن فترة ملوك الطوائف في الأندلس ونشوء دولة بني عباد في إشبيلية . والثانية دراسة تفصيلية عن المعتمد بن عباد الاشبيلي ، وهو مركز الحركة الأدبية الأندلسية في النصف الثاني من القرن الخامس ، وقطبها الذي تدور حوله ، والذي له في حياة جل شعراء إشبيلية في هذا العصر أثر غير قليل . ولكن ظروفنا خاصة اضطررتنا لنشر هذا الكتاب قبل سابقه وهو كما يرى القارىء ، قائم بذاته وذو وحدة موضوعية كاملة ولم أشأ كما يفعل كثير من الكتاب - أن أطنب في حديث طويل عن بيئة الشاعر الاجتماعية وظروفه التاريخية ، بل آثرت أن اختصر الحديث في هذا الموضوع في الصفحات التالية التي مهدت فيها للبحث ، على أن أترك للدراستين اللتين آمل ظهورهما في الشهور القليلة القادمة مهمة البحث بأسهاب عن البيئة الاجتماعية والظروف السياسية التي أحاطت بالشاعر وأثرت في حياته وفي تكوين مقومات شخصيته .

والكتاب - كما يرى القارىء - قيمان ، أحدهما ، دراسة عن حياة الشاعر وشعره . وأعتقد أن أهمية هذه الدراسة لا ترجع لما فيها من معلومات محققة عن حياة الشاعر وشعره فقط ، وإنما لاسلوب البحث ذاته أيضاً . فقد شاعت منذ مطلع القرن العشرين طريقه سقيمة في دراسة الأدب

والأدبا ، أفقدت الأدب كثيراً من حلاوته وطرأوته ، وهي تلك التي
اتبعت في جل كتب تاريخ الأدب الحديثة ، والتي يعكف فيها الباحث على
الشاعر فيضم كل ما يعثر عليه من أخبار عن حياته بعضه الى البعض
الآخر في ترجمة طويلة ، ثم ينتقل بعد ذلك الى شعر الشاعر ، فيقدم نماذج
من أغراضه المختلفة معلفاً على كل غرض من هذه الأغراض بما يعين له من
خواطر وآراء ، واذا بالقارى يمر على النصوص سرّاً ، ويبدل ما يبدل من جهد
لسكى يستوعب الافكار التي تحتويها والتيارات العاطفية التي تتخللها ، فلا
يصل الى ذلك إلا بعد مشقة وعسر قد لا يقوى عليها القارى الاعتيادى ..

أما أسلوبنا هذا الذى اتبعناه فى البحث ، فهو يهدف الى رسم صورة
قوية للاديب والتغلغل فى أعماقه ومتابعته فى حياته وملاحظة تطور مشاعره
وتفسيته وأخلاقه الناتج عن تطور ظروفه ، وإدراك تأثير كل ذلك فى إنتاجه
الأدبى . وهكذا يشاهد القارى مولد النص ويدرك بواعث هذه الولادة
وعواملها وظروفها ويستوعب التيارات الشعورية التى اجتاحت نفس الشاعر
وملكت عليه عواطفه ودفعته الى النظم ، ويحسن إحساساً عميقاً بالقوى
الملمهة للاديب ويعرف تأثيرها دون مشقة وعسر ، فهى تفرض نفسها عليه
فرضاً ثم إن القارى بعد كل هذا يتابع تطور الأديب فى إنتاجه
الأدبى ، كما لاحظ تطور حياته وتفسيته وأخلاقه ومشاعره ، ويدرك
عوامل هذا التطور فى هذا الانتاج وأسبابها ، فيتحقق الغرض من دراسة
تاريخ الأدب إن كل هذه المزايا لا يمكن أن تتحقق بالطريقة السقيمة

الشائعة التي أشرنا إليها .

ولا أزعج طبعاً ، أنى أول من اتبع هذا الأسلوب في البحث أو سلك هذا الطريق في دراسة الأدب ، فقد سبقني الى ذلك أدباء من العرب والغربيين ، وإن كان الأولون أقله لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، أخص بالذكر منهم الدكتور طه حسين في كتابه « مع المتنبي » . وأما الغربيون فهذه طريقتهم المثلى وأسلوبهم الشائع في دراسة أدبناهم . متابعة تطور أدبهم وقد حرصت على تقديم ابن عمار إنساناً كبقية البشر ، له محاسنه ومثالبه ، فلم أحاول أن أسبغ عليه ثوباً براقاً من العظمة والمجد ، كما لم أتجه الى النيل منه والخط من قدره ، وإنما حاولت تصويره كما هو ، معتمداً ، أولاً على شعره ، وثانياً على ماوردنا من أخبار وثيقة عن حياته ، فخرست على أن أعيش معه في طفولته المشردة وصباه المعسر السكثيبي ، وانتقلت معه في كفاحه من أجل الحياة الى حين ارتقائه سلم المجد وبلوغه ذروة العظمة والسلطان ، ثم تابعته بعد ذلك في انحداره الفظيع الى درك الندل والأسر حتى بلوغه نهايته المفجعة .

ولكن أهمية دراسة حياة ابن عمار لا تقتصر على كونه إنساناً فحسب ، وإنما تتعدى ذلك الى كونه إنساناً عاش في عصر معين . ففيه يتمثل جانب مهم جداً من عصره ، بل إننا نرى في حياته صورة لتلك الفترة المضطربة التي مرت على مسلمي الأندلس في القرن الخامس الهجري ، بما فيها من صخب وضجيج ، بما فيها من تيارات سياسية وأزمات اجتماعية ، ومشاكل

مصدرها هذا الوضع الخاص الذي كان يتميز به المسلمون في اسبانية آنذاك .
إن أبا بكر بن عمار كان في الواقع من أولئك الاشخاص القلائل الذين يتمثل
في حياتهم جانب مهم ، بل جوانب مهمة ، من حياة مجتمعاتهم كل التمثيل . ولا
شك في أن القارىء سيجد عند انتهائه من قراءه هذا البحث ، أنه لم يدرس
حياة شخص واحد فقط ، وإنما اطلع على جانب من أهم جوانب حياة المجتمع
الأندلسى في القرن الخامس الهجرى .

ولا ريب أن قلة الأخبار وندرة المصادر كانتا العقبة السكّاءة التي
حالت دون ملء الفراغات التي يجدها القارىء في حياة الشاعر ، مع أننا لم
نأل جهداً في البحث عن المصادر المطبوعة والخطية في مظانها ، فزرنا جل
مكاتب المخطوطات في اوربا وشمال افريقية ، وكان لهذه الجهود دون شك
الفضل في ظهور هذه الدراسة بالشكل الذى تظهر فيه الآن ، ومع ذلك فلنا
كبير الأمل بالعثور على مخطوطات جديدة قد تملأ بعض الفترات التي لانزال
نجهلها في حياة الشاعر .

وقد اقتصرنا في مصادر البحث التي ذكرناها هنا ، على المصادر الرئيسية
التي زودتنا بشيء عن حياة للشاعر أو عن أدبه ، أما تلك التي لم نقد منها
فقد آثرنا عدم ايرادها ، لأنها ليست من يصح الاعتماد عليه في دراسة حياة
الشاعر ومن هذه جل الدراسات الحديثة .

صلاح خالص

بغداد في آب ١٩٥٧

الموافق المحرم ١٣٧٧

تمهيد تاريخي

أهم ما يلفت النظر في تاريخ المسلمين في الأندلس ، هي الأحداث الخطيرة التي حدثت في أوائل القرن الخامس الهجري والتي كان من نتائجها انحلال الخلافة في قرطبة وابتداء فترة ملوك الطوائف . وما كانت هذه الأحداث لتحصل على ما حصلت عليه من أهمية واهتمام لولا أنها جاءت مباشرة بعد بلوغ الخلافة الإسلامية في إسبانيا ذروة العظمة والمجد والقوة ، ولولا أنها تلت فترة منعة وازدهار سياسي وانتصارات خارجية رائعة واستتباب داخلي تام . أقول إن هذه الأحداث التي أطلق عليها المؤرخون اسم « الفتنة » ما كانت لتلفت النظر وتجلب الاهتمام وتصبح موضع نقاش وجدال ، لولا أنها أعقبت مباشرة عصر حكم المنصور بن أبي عامر وابنيه عبد الملك المظفر وعبد الرحمن شنجول ، عصر عظمه دولة المسلمين في الأندلس ومجدهم السياسي والعسكري الزاهر .

كيف جاز لدولة قوية منيعة كملك التي بناها عبد الرحمن الناصر وأسندها الحاجب المنصور وابنه الحاجب المظفر ، أن تنهار وتتداعي خجأة ولما يمض على وفاة الأخير غير عامين ، لم يبد قبلها في الدولة أي أثر من آثار الضعف أو علامة من علامات الوهن كما يجمع تقريباً كل المؤرخين ؟! ، صحيح أن مثالب كثيرة تعزى إلى عبد الرحمن بن أبي عامر ، ويمكن سنتين اثنتين ليستا كافيتين على كل حال لتصدع بناء متين وكيان قوى كذلك الذي بدا في دولة عبد الرحمن الناصر وبني عامر . . فكيف يمكن

تفسير ظاهرة مثل هذه؟ . . . إن من المؤكد أن أسباب هذا التصدع لم تكن خارجية، إذ لم تكن الدولة الإسلامية في إسبانية فريسة عدو خارجي هد كيانهما وصدع أركانها، وإنما انهارت وتداعت نتيجة أسباب داخلية ليس غير، ولا شك أن هذه الأسباب الداخلية لم تكن وليدة عام أو عامين وإنما كانت جذورها تمتد موعلة في كيان الدولة، إلا أنها لم تكن ناضجة متبلورة لكي تحدث ما يجب أن يحدث من نتائج، أو أن عوامل أخرى أقوى منها منعت ظهورها وأوقفت مفهومها، حتى إذا زالت هذه العوامل وضعفت انفسح المجال لأسباب التصدع والانهار لتؤني أكلها وتنتج ثمارها.

ولسنا الآن بصدد بحث هذه العوامل بتفصيل فسيرد تحليل الحالة الاجتماعية والسياسية التي أدت إلى ذلك في دراستنا التي نأمل صدورها قريباً عن «إشبيلية في القرن الخامس الهجري» إذ سيبدو بوضوح من هذه الدراسة أن القوى الاجتماعية التي كانت تستند إليها الحكومة القائمة في زمن العاصرين لم تكن متماسكة كل التماسك. فالأرستقراطية القرطبية كانت منشقة على نفسها، ففريق التف حول بني عامر، وفريق تجمع حول بني أمية الذين كانوا ينظرون بغيظ إلى استئثار العاصرين بالحكم. وكانت العامة، كما هو حالها في أكثر الأحيان، بمعزل عن الحكم. وقد ابتدأ موقعها السلبى يتحول إلى تمرد إيجابي عندما ابتدأت تضيق بالبربر من زنانية وصنهاجه الذي استقدمهم بنو عامر لاستخدامهم محاربين ممتحنين في غزواتهم

ضد نصارى الشمال ، فكانت على استعداد للاستجابة لكل دعوة للثورة عند سنوح الفرصة . أما القوى العسكرية التي كان يعتمد عليها العامريون وجلبها من البربر القادمين من أفريقية الشمالية ، فقد بدت هي أيضا بعيدة عن أن تكون موضع ثقة في نزاع داخلي لاناقة لها فيه ولاجل . لذا لم يكن من المستغرب ألا يبدي هؤلاء البربر حماسا في الدفاع عن عبد الرحمن ابن أبي عامر عندما ثار ضده أمراء بني أمية بقيادة محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي وساندتهم العامة في قرطبة في نورثهم وفي تنكيلهم بإن أبي عامر ، فقد فضل زاوي بن زيري قائد البربر عدم الدخول في نزاع دام الدفاع عن بني عامر وآثر تقديم طاعة للملك الجديد . إلا أن البربر لم يستطيعوا الاحتفاظ بموقعهم هذا . فقد كانوا موضع احتقار العامة واعتداءاتهم كما لم يحظوا بتقدير الأمير الجديد ورعايته ، وكتب التاريخ حافلة بالاشارات الواضحة لهذا الحال ، فاندفعوا لتأييد طامع جديد بالعرش هو سليمان بن الحكم الستمين ، وهكذا دخلوا في معركة دموية سافرة مع الفرطيين ، سالت فيها الدماء سيولا وانتهبت الأموال وخربت المنازل والبيوت . ومرت عشرون عاما على العاصمة الاندلسية وهي مسرح لهذا النزاع المريع أطلق عليها المؤرخون اسم « الفتنة » ، ولم تفتنه إلا بترك البربر لقرطبة والتجأهم الى منطقة غرناطة حيث أقاموا دولة بني زيري ، وباتفاق وجهاء قرطبة على إدارة شؤونهم بأنفسهم والمدول عن انتخاب خليفة جديد بعد اختفاء هشام المعتد بالله .

إذن فأول أسباب هذا التصدع الداخلي في دولة بني عامر - كما هو الحال في أى تصدع داخلي لأية دولة أخرى - هو أن الكيان السياسي الذى بناه عبد الرحمن الناصر وأسندته الحاجب المنصور لم يكن قائما على أسس رصينة متينة ، ومكونا من كتل متماسكة مترابطة ، رغم قوتها الظاهرة ، فان تحليلا دقيقا للمجتمع الأندلسي لا يترك مجالاً للشك فى ذلك

أما السبب الآخر الذى ساعد على تصدع دولة قرطبة وقيام ملوك الطوائف فى مخلف المدن الأندلسية فهو نتيجة طبيعية لتطور المجتمع الأندلسي . فان خضوع المدن الأندلسية الكبيرة لقرطبة لم يعد ممكنا بعد أن تطورت هذه المدن ونشأت فيها أرسقراطية محلية مستقرة عميقة الجذور ذات حول وطول . . . أقول لم يعد ممكنا خضوع هذه المدن طائفة لقرطبة ، بعد أن وصلت الى ما وصلت إليه من ازدهار وتقدم ، كما لم يكن لدى قرطبة من القوة ما تستطيع بها فرض سلطانها على هذه المدن ، فكان طبيعيا استقلال هذه الأخيرة وإصرارها على إدارة شئونها بنفسها . وقد كانت الخلافات والثورات فى بدء حكم الأمويين فى الأندلس تأخذ شكل منافسات فردية حول العرش ، تستغل فيها القوى الاجتماعية المستاءة أو المناوئة للحاكمين كالفلاحين العامة ، واسكن تمرد ملوك الطوائف امتداد طبيعى انتامى نفوذ الأرسقراطية المحلية واشتداد ارتباطها بمواطنها وشعورها بإمكانية الاكتفاء بنفسها والاستغناء عن أية سلطة مركزية . وهكذا استأثر وجهاء إشبيلية وعلى رأسهم بنو عباد بالحكم فى مدينتهم ، واستأثر وجهاء

بظليوس وعلى راسهم بنو الألفطس بالحكم في بطليوس ، وقل مثل ذلك عن بقية السكور والمدن الأندلسية . وابتدأ نزاع دام مرير يتلع القوى فيه الضعيف ، حتى بدا خطر المسيحيين في الشمال وتعاظم وأصبح نظام ملوك الطوائف غير قادر على الثبات أمام الوضع السياسي الجديد في شبه جزيرة ايبيريا ، فكان لا بد له أن ينتهي ، وكان أن ساعد على انهائه تدخل المرابطين في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري .

قلنا إننا لسنا الآن بصدد البحث في تفصيلات هذا الموضوع ، بل نكتفي بالإشارة إلى النقاط الرئيسة التي مر ذكرها فقط والتي لا يمكن التوصل إليها دون دراسة عميقة للأحوال الاجتماعية والأوضاع السياسية للمجتمع الأندلسي في مطلع القرن الخامس .

في هذه الظروف التي مرت الإشارة إليها اتفق وجهاء إشبيلية على الاستقلال في مدينتهم فسدوا أبوابها أمام المتنافسين على عرش الخلافة في قرطبة من الحموديين ، وهم أسرة تنتسب إلى الأدارسة من أولاد فاطمة ، عاشت في المغرب الأقصى بين البربر وتأثرت بثقافتهم وحظيت بتأييدهم واستطاعت انتزاع الخلافة في قرطبة مدة من الزمن في أثناء فترة الفتنة فتولى الحكم منهم علي بن حمود ثم أخوه القاسم الذي نافسه على عرش الخلافة ابن أخيه يحيى بن علي واستطاع انتزاعه منه . وقد ابتدأت إشبيلية تمردا عام ٤١٤ هـ عندما رفض الإشبيليون فتح أبواب مدينتهم أمام القاسم بن حمود الذي اضطر على ترك قرطبة إثر ضغط أتباع ابن أخيه يحيى عليه ، كما

امتنعوا عن تسليم مدينتهم ليحيى هذا عندما طلب منهم ذلك ، وتهاؤوا للدفاع عنها وكونوا مجلساً من وجهاء المدينة وراثتها لادارتها ، كان على رأسهم القاضي أبو القاسم بن عباد ، أغنى وجهاء إشبيلية وأخشم ثراها . وهكذا بدأت مملكة بني عباد ، أقوى دويلات ملوك الطوائف وأكثرها نفوذا وأوسعها ثراها وقوة .

ولم يكن هذا الانحلال السياسى لدولة قرطبة ظاهرة من ظواهر الانحلال الاجتماعى او الفكرى ، فقد صاحبه ، على العكس من ذلك ، ازدهار فكرى ، بل وتطور اجتماعى نضج إثره المجتمع الأندلسى را كتسب صفاته المميزة وشخصيته الخاصة . فنحن حين نتحدث عن الفرد الأندلسى أو الثقافة الأندلسية ، أو الأدب الأندلسى أو الشخصية الأندلسية ، فانما نتحدث فى الواقع عن كل ذلك فى القرن الخامس الهجرى على وجه الخصوص فقد كانت القرون الثلاثة السابقة فترة انصهار العاصر المسكونة للمجتمع الأندلسى وامتزاجها مع بعضها البعض - أما القرون التي تلت القرن الخامس فقد تدخلت عناصر خارجية (ولا سيما المرابطون والموحدون من بربر شمال أفريقيا) فى حياة هذا المجتمع السياسية والاجتماعية والفكرية .

وهكذا يتميز القرن الخامس من بين جميع القرون فى إسبانية رغم الانحلال السياسى وتفكك الدولة فيه . فلا غرابة إذن فى أن نرى أكبر الشعراء الأندلسيين وأبرزهم فى هذا العصر ، كابن زيدون والمعتمد

ابن عباد وابن خفاجة وابن وهبون وابن اللبانة وابن عمار وغيرهم .
وقد حكم في شبيلية من بني عباد ثلاثة ملوك ، أولهم القاضي ابو
القاسم محمد بن عباد الذي تربع على دست الحكم من عام ٤١٤ هـ (١٠٢٢ م)
حتى عام ٤٣١ هـ (١٠٣٩ م) وثانيهم ابنه عباد بن محمد بن عباد الملقب
بالمعتضد والذي حكم من عام ٤٣١ هـ حتى عام ٤٦١ هـ (١٠٦٩ م) ، وأخيرا
محمد بن عباد الملقب بالمعتد الذي تولى الحكم بعد أبيه المعتضد عام ٤٦١ هـ
وبقي فيه حتى حمله المرابطون عام ٤٨٤ هـ (١٠٩٢ م) . قضى بعده اربع
سنوات في المنفى حتى توفي في انجات عام ٤٨٨ هـ (١٠٩٦ م) أسيراً بأنا
غريبا . بعد أن ترك لنا أروع قصائده الباكية الشجية

اما القاضي أبو القاسم بن عباد فقد قضى فترة حكمه في تثبيت دعائم
دولته والقضاء على منافسيه في الداخل والاستئثار بالحكم وضرب كل قوى
المماضة دون شفقة او رحمة ، حتى إذا جاء ابنه عباد المعتضد إلى الحكم
وجد امامه دولة موطدة الأركان ثابتة الدعائم لحد كبير ، فأبج نحو جيرانه
من حكام المقاطعات والحصون الصغيرة فنكل بهم ووسع رقعة مملكته بنى
عباد حتى شملت جميع المنطقة الجنوبية الغربية من الأندلس ، وجعل من
هذه المملكة أقوى ممالك الطوائف في الأندلس واشدها بأسا وأكثرها
ثراء وازدهارا .

ومع ذلك جاء المعتد فوجد أمامه مملكة موطدة الأركان في الداخل
مرهوبة الجانب من قبل دول الطوائف في الخارج فسار على خطة سلفه

فى توسع رقعة مملكته ، فضم إليها قرطبة وكثيرا من المناطق
والحصون الأخرى .

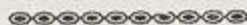
ولكن خطرا جديدا ظهر فى الأفق وابتة أ يهدد ميزان القوى فى
شبه جزيرة ايريا ؛ وهو خطر المسيحيين فى الشمال الذين أحدثت إماراتهم
تحت لواء فرديناند الأول ثم تحت لواء الفونس السادس بعده ، وأبتدات
تهدد الامارات الاسلامية الصغيرة بالويل والثبور . وعيشا حاول ملوك
الطوائف تجنب هذا الخطر بمقد المعاهدات ودفع الأناوات .

لقد كان لابد من دخول قوة جديدة تحفظ توازن القوى فى شبه
الجزيرة وتوقف نصارى الشمال - ولو لوقت ما - عند حدهم . فكان المرابطون
البربر الذين جاءوا من شمال افريقية هم هذه القوة . إذن فقد كال مجيء
هؤلاء المرابطين أمرا لازما فرضته الظروف التاريخية ، ولم يكن بإمكان
المعتمد او غير المعتمد إبقاء نظام ملوك الطوائف بعد أن أصبح عاجزا عن
الاحتفاظ بكيانه والوقوف فى وجه أعدائه .

كانت الأرسقراطية الاندلسية فى القرن الخامس مثقفة ، تعنى بالعلم
والأدب ، فأحتضنت العلماء والادباء وبسطت عليهم ظلها ورعايتها ووجهتهم
فى الوقت نفسه لتنفيذ أغراضها وتحقيق مآربها وكان بنو عباد من بين
جميع الأسر الأرسقراطية أو سمهم ثقافة واكثرهم ميلا للأدب واهتماما بالعلم
ورعاية لأهلها بل إن جل من نعرف من ملوك بنى عباد وأمراءهم كانوا
من الشعراء والادباء ، فللقاضي ابى القاسم بن عباد آثار ادبية متناثرة فى

كتب الأدب . ولا يه المعترض صولات وجولات فى هذا الميدان اما المعتمد فهو دون شك شاعر من ابرز شعراء الأندلس فى هذا القرن وقد ترك لنا ولا سيما فى الحقبة الأخيرة من حياته ، قصائد تعتبر من أجل ما خلف لنا الأدب الأندلسى من شعر . وقل مثل ذلك عن أبناء المعتمد الرشيد والراضى .

فإذا كان هذا حال ملوك بنى عباد فيمكن أن نتصور حال وزرائهم وأتباعهم وخاصتهم المحيطين بهم بعد كان شيئاً فريداً يبعث على كثير من الإعجاب ، هذه الأجواء الأدبية التى كانت تسود ألمطة هؤلاء الملوك الأدباء ، والتي كانت تجتذب نحوها رجال الأدب والشعر من كل حدب وصوب وكان من هؤلاء محمد بن عمار شاعرنا الذى سندرسه فى الصفحات القادمة بل ان حياة ابن عمار والمركز الذى احتله فى الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية لتقدم لنا نموذجاً حياً لأهميه الأدب والأدباء فى المجتمع الأندلسى أبان حكم ملوك الطوائف فى الأندلس .



1848

Dear Mother

I received your kind letter of the 10th and was glad to hear from you. I am well and hope these few lines will find you the same. I have not much news to write at present.

I have been thinking much lately of the future and how I shall spend my life. I feel that I have a duty to perform and I want to do it as well as I can. I have not yet decided what I shall do, but I know that I shall not be idle. I have a great deal to learn and I want to acquire it. I have a great deal to do and I want to do it. I have a great deal to live for and I want to live it. I have a great deal to love and I want to love it. I have a great deal to be and I want to be it.

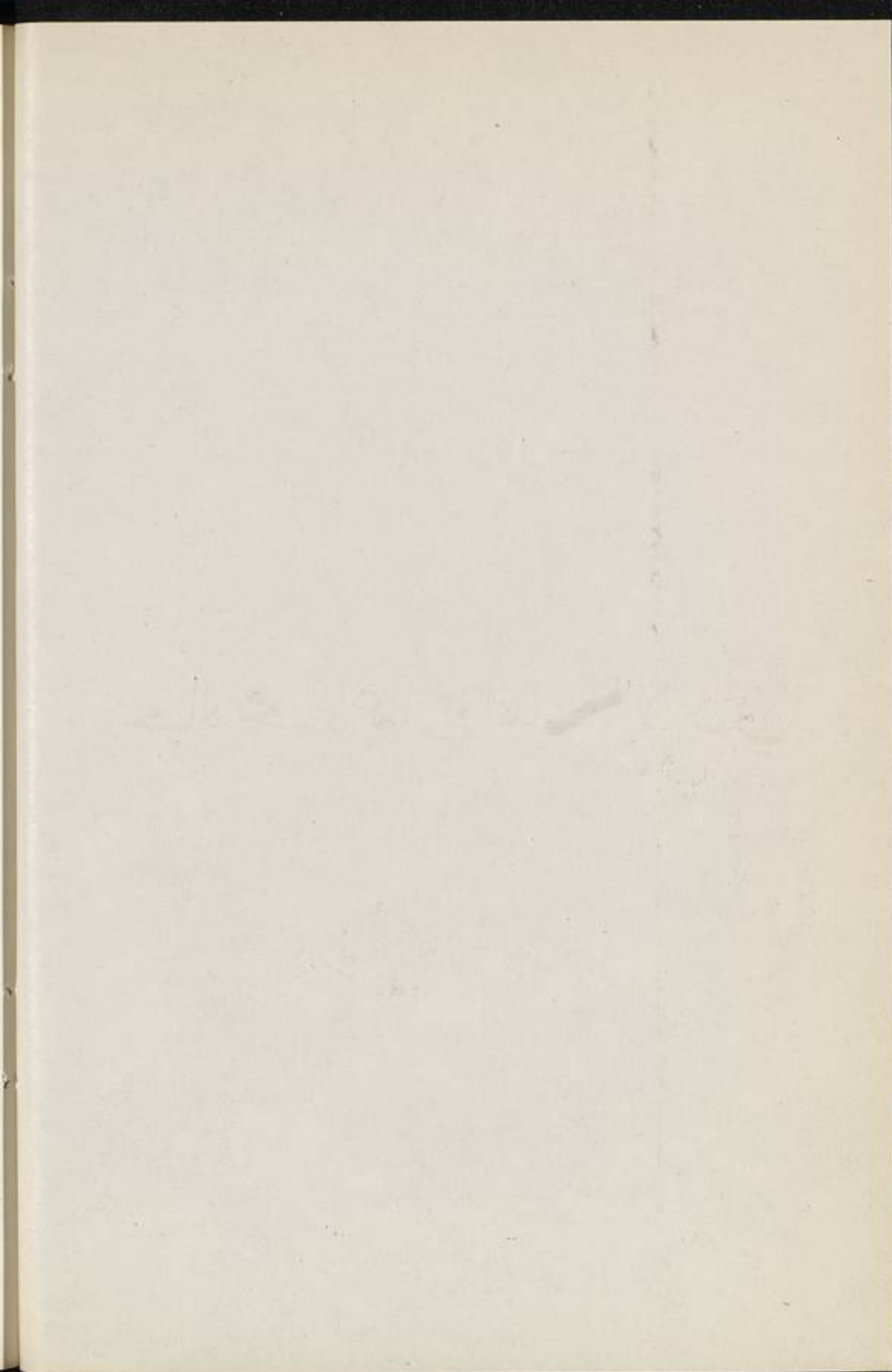
I have a great deal to be and I want to be it. I have a great deal to be and I want to be it. I have a great deal to be and I want to be it. I have a great deal to be and I want to be it. I have a great deal to be and I want to be it.

I have a great deal to be and I want to be it. I have a great deal to be and I want to be it. I have a great deal to be and I want to be it. I have a great deal to be and I want to be it. I have a great deal to be and I want to be it.

القسم الأول

حياة محمد عمار وانتاجه الأدبي

دراسة أدبية تاريخية



أسرة ابن عمار

في قرية شنتبوس (١) الصغيرة قرب شلب ولد أبو بكر محمد بن عمار عام ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) في عائلة فقيرة معدمه مغمورة الاصل، لا أمجاد لها تعزبها ولا مفاخر تدعيها. ولم نر مؤرخاً يتحدث عن دور أقامت به في ميدان السياسة او المرفه (٢). فكل ما نستطيع استخلاصه من أقوال المؤرخين المسلمين هو أن أباه كان يدعي عمار بن الحسين بن عمار (٣)، وأنه كان ينتسب الى قبيلة مهرة العربية التي ادعى الانتماء اليها آنذاك كثير من الناس. ومهرة هذه فرع من القبيلة العربية المعروفة قضاة اليمانية الاصل (٤). الا أنه مما يبعث على الدهشة ويثير الاستغراب أن ابن عمار نفسه لم يشر ابداً فيما وصلنا من اخباره واشعاره الى هذا الاصل العربي، كما أن جل ثفاة المؤرخين الاندلسيين كابن بسام وابن خاقان وعبد الواحد المرالكشي لم يشيروا هم ايضاً الى هذا النسب رغم أنهم أطنبوا في الحديث عن الشاعر وغنوا باخباره. وربما نستطيع الاشارة بهذه المناسبة الى بيت تعرض فيه الشاعر تعرضاً خفيفاً ليس فيه كبير غناء الى عروبتة حين قال في قصيدته الميمية التي نظمها في سرقسطة وارسلها الى صديقه المعتمد (٥).

وما حال من ربتة ارض أعارب والقت به الأقدار بين أعاجم

(١) نفع الطيب، ج ٥، ص ٣٦٠. الذخيرة، ق ٢، ف ابن عمار. انظر حول موقع شنتبوس

ابو الفداء، تقويم البلدان.

(٢) المعجب، ص ١١٤. الذخيرة، ق ٢، ف ابن عمار.

(٣) بنو عباد، ج ٢، ص ٨٨.

(٤) نفع الطيب، ج ١، ص ٢٧٨. بنو عباد (عن الوفيات) ج ٢، ص ٣٦٩.

(٥) شعر ابن عمار، قص ٩.

أما أمه ، فقد أشار المعتد في قصيدة هجا بها ابن عمار الى أنها كانت
تسمى « شمسة » او « شمسة » (١)

هذا كل ما نمتلك من أخبار حول أسرة أبي بكر بن عمار مع إجماع المؤرخين
على أنها كانت عائلة مغمورة فقيرة دون ماضٍ تعتد به ولا حاضر تزهو فيه
وقد كان لهذا الأصل المغمور اثر كبير في حياة الشاعر ، أسهم في تكوين
تفسيته وطريقة تفكيره . فلم تكن الحياة حينه يسيرة آنذاك لا مثاله من
الفقراء ، ولكنه عرف كيف يقود زورقه في خضم هذه الحياة لشاقه المتعبه
ليحقق مطامحه الواسعة العريضة . وقد نجح في ذلك بفضل الفترة المضطربة التي كان
يعيش فيها من جهة ، وبفضل نبوغه وذكائه الحاد ومعرفته بالناس والخبرات
الكثيرة التي زودته بها الحياة من جهة اخرى ، فقد كانت حال اسبانيا المضطربة
المعقدة تفسح المجال للمغامرين الطامحين امثال ابن عمار لأن يقوموا بأهم
الادوار ، محرزين أسطع النجاحات أو مقدمين نفوسهم ضحايا رخيصة على
مذبح الاطماع والشهوات .

الصفات المميزّة لشخصية ابن عمار

ظرف خلاب ، وطموح واسع ، وذكاء وقاد (٢) ، تلك هي الصفات البارزة
في شخصية أبي بكر بن عمار . فقد كانت ثقافته الأدبية وحديثه الممتع
ومعرفته العميقة بنفوس الناس ، سر نفوذه على كثير من رجالات زمانه .
أما ذكاؤه فقد ساعده على الاستفادة من تجاربه وخبراته وعلى تحقيق مشاريعه
كما سنرى في الصفحات التالية . وأما مطامعه فقد كانت السبب في بحثه

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٧٦ .

(٢) المعجب ، ص ١٢٧ .

دائماً عن أهداف أوسع ومنازل أرفع، متعرضاً الى المخاطر، حتى قاده في طرق
وعرة، وسارت به في مزالق خطره أدت به أخيراً الى نهايته المحزنة بين اعداء
ناقين وحساد شامتين، كان جلهم من اصدقائه القداماء وخلاله
الاصفياء (١). وقولنا هذا لا يتعارض مع ما أشرنا اليه من نفوذ على كثير
من رجال عصره، اذ يبدو أن علاقته القوية بهذه الشخصيات لم تسكن تمنع
الشك وسوء الظن اللذين كانت تفرضهما الظروف والمناسبات.

لقد وضع ابن عمار جميع كفاياته وذكائه في خدمة مطامعه واغراضه،
فلم تسكن المثل الخلقية والدين والصدقة، بل وحتى الشعر نفسه (٢) سوى
وسائل تعينه على بلوغ اهدافه وتحقيق مآربه. لقد جعلت منه هذه الصفات
شخصاً مخيفاً مرعوب الجانب، كثير المكر والدهاء (٣)، ولا شك أن
أصله المغمور وعائلته الفقيرة الى جانب كفايته وذكائه وفترته المضطربة
كانت عوامل فعالة في تكوين شخصيته الخاصة ونفسيته «الوصولية»
وتمكيره «الميكيا فيلي» الذي كانت الغاية بالنسبة له تبرر الوسيلة (٤)
وسنرى كيف تنعكس هذه الصفات في اعماله ومشاريعه واساليبه.

ولكن اعتمام ابن عمار لم يسكن محصوراً فقط بالمجد والمنصب الرفيع
والمركز السامي، بل كانت الحياة نفسها بكل ما فيها من متعة وأنس وفرح
وبهجة غرضاً من اغراضه ومآرباً من مآربه، كان يحب الخمر ويهوى حلقات
الانس ويتعشق الغلمان مستسلماً لجميع ملاذ الجسد.

وشأنه في ذلك شأن فتيان الطبقة الأرستقراطية الأندلسية التي

(١) المعجب ٤ ص ١٢٣ .

(٢) المعجب ٤ ص ١١٤ .

(٣) الذخيرة، ق ٢٢٠ ابن عمار: فلائد العقيان ١ ص ٨٦ .

(٤) بنوعباد، ج « ٤ ص ١٠٦ .

سنرى انه سيصبح جزءاً منها وعضواً من اعضائها . وسنرى حين نتبع ابن
عمار في مراحل حياته المختلفة صفاته هذه تبدو وتتضح وتنعكس في أعماله
وأقواله حتى اللحظة الأخيرة من حياته .

ثقافة ابن عمار

لقد كان في إمكان ابن عمار وهو طفل أن يتردد الى المدارس الابتدائية
التي كانت تعج بها المساجد في الأندلس رغم فقر عائلته . وما لك كان يتعلم
الاطفال القراءة والكتابة وتلاوة القرآن ومبادئ الدين وقواعد اللغة العربية
كما يستطيعون أن يحصلوا في الوقت نفسه على معلومات عامة في التاريخ
والأدب والحساب . وقد كان بوسع أولئك الذين يرغبون في التوسع في
العلم والتعمق في المعرفة أن يواصلوا الدرس والتحصيل ، فالحياة الثقافية
مزدهرة والعلماء الكبار منبثون في كل مكان ولا سيما في المدن الكبيرة ،
يجتمع حولهم طلبة العلم وعشاق المعرفة فيقدمون لهم ثمرات الحضارة الاسلامية
التي وصلت الى الأوج في هذا القرن .

وقد كان ابن عمار من هؤلاء الصبية الأذكياء الذين كانت لهم الرغبة
والمقدرة على الاستمرار في الدرس ولا سيما في ميدان الأدب والشعر .

ولسكى يحقق رغبته هذه فقد سافر الى شلب وهي مدينة اشتهر اهلها بقرض
الشعر (١) وتابع فترة من الزمن دروس أبي الحجاج يوسف بن الأعم أحد علماء
زمانه في علوم العربية ، ثم رحل الى قرطبة حيث واصل حضوره حلقات

(١) ابو الفداء ، تقويم س ١٦٦ ،

العلماء و اوساط المثقفين و الأديباء ، فمنت ثقافته الادبية و اللغوية و أبنمت .
 إن ما نعرفه الآن عن حياة ابن عمار وعن شعره لا يشير مطلقا الى أنه
 كان عالما متبحرا أو فقهيا موهوبا في التفقة ، فكل ما نستطيع تأكيده في
 هذا الموضوع هو انه كان شاعرا ، وشاعرا فقط . فلا نعرف عنه نشاطا
 غير نشاطه الشعري و السياسي و لا إنتاجا باهرا في غير الميدانين الأدبي و الاداري .
 و لكن من الانصاف أن نقول إن ثقافته الأدبية و اللغوية كانت من العمق و القوة
 بحيث تسمح له أن ينظم القصائد المتينة التركيب ، المتأسكة العبارات ،
 الصحيحة الوزن ، و نستطيع أن نلمس هذه الظاهرة في مفرداته و في تراكيبه
 و تعابيره و صياغته الشعرية .

ابن عمار قبل ان يلتقي بالمعتضد

عام ٤٤٥ للهجرة

وما كاد ابن عمار يشعر أنه قد بلغ في ثقافته الادبية حداً يؤهله لشق
 طرق في ميدان الشعر الى المجد الادبي ، حتى انطلق سالكا الطريق التقليدي
 الذي كان يفرضه المجتمع و تقاليد على الشعراء المدمين من ذوى الطموح ،
 وذلك بوضع قابلياته و كفايته الأدبية في خدمة الأرسقراطية الحاكمة
 يشيد بما أثارها و يتغنى باجادها ككثيرين من أمثاله .

الا أن ما نظم ابن عمار قبل التقائه بالمعتضد عباد ملك إشبيلية قد اختفى
 اختفاء تاما و لم يصل الى ايدينا منه شيء . و لم يكن ابن عمار نفسه

حريصاً على شعره هذا ، فمقد ذكر لنا ابن الأثير أنه أحرقه قبل مماته ، أيام مجده (١) ، لأنه لم يكن كما يبدو مصدر فخره . ولكن ما نعرفه عن حياة ابن عمار في هذه الفترة يمكن ان يشير الى أن جل هذا الشعر كان في مدح شخصيات عصره البارزة ، بل إن لدينا من الأسباب ما يجعلنا نعتقد أنه لم يكن يقصر مدحه على هذا النوع من الناس ، بل كان يقدمه لكل من يستطيع دفع الثمن (٢) . ولا بد لنا أن نشير هنا الى تأثير حاله الاقتصادية وعوزة المادى في دفعه لهذا الاتجاه أمنذ بداية حياته الادبية . فشاعر مثل ابن زيدون نشأ في وسط أرفع من وسط ابن عمار لا يهبط الى هذا المستوى ولا ينزل الى هذا الدرك . وهنا يبدو أثر الوسط الطبقي في توجيه الشعراء ، فالأمر المعتمد لا يمدح ، وإن فعل ذلك فللتعبير عن عاطفة شخصية . وابن زيدون الوزير يقصر مدحه على الملوك والأمراء . أما ابن عمار المعدم فيقدمه لكل من يدفع ثمنه . بل إن شاعرنا نفسه عندما علا مركزه وأصبح الوزير الاول لدولة بني عباد نراه يقلع عن التكسب بالشعر ويقصره على التعبير عن عواطفه الشخصية ومشاغله الخاصة .

إنطلق ابن عمار بجوب الاندلس قاصداً ملوك طوائفها عارضا عليهم بضاعته المبتدلة ، رغم تشجيع امراء الأندلس للشعر والأدب ، نظراً لكثرة الشعراء في هذا العصر الأدبي الزاهر . والاخبار القليلة التي لدينا عن هذا الشاعر في هذه الفترة من حياته تشير الى أنه قصد كثيراً من الناس ، منهم

(١) بنو عباد ، ج ٢ ، ص ٩٠ . الحلة السيرة ، ف ابن عمار .

(٢) المعجب ، ص ١١٤ .

ابن طاهر امير مصرسيه في حالة منهرية من العدم وراثية اللباس (١) ، إلا أن هذه الاخبار تسمها تشير الى أنه فشل فشلاً ذريعاً في جهوده هذه حتى لقي المعتضد عبداً ملكاً إشبيلية . ولكنها لا تمتثل لنا شيئاً من إنتاجه ولا تجدنا بشيء من اخباره ، خلا حادثة طريفة يغلب عليها الخيال القصصي ، تصف مع ذلك طرفاً من الحياة التميمية التي كان يحياها ابن عمه في هذه الحقبة القاسية .

ولدينا عن هذه الحادثة روايتان مختلفتان بعض الاختلاف ، الاولى رواها ابن بسام في كتابه الذخيرة (٢) ، والثانية ذكرها عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب (٣) .

تتفق الروايتان تقريباً في أن ابن عمار وصل في يوم من أيامه العصبية الى شلب ، لا يملك سوى بقلته التي كان حائزاً في ايجاد العلف لها ، فلم يجد سوى أن يكتب بضمة ابيات الى تاجر من معارفه يمدحه فيها ويصف له سوء حاله فلما تسلم التاجر الايات عطف على الشاعر وارسل اليه مخللة شعير .

الى هنا يتفق السكاتبان ، ولكنهما يختلفان في تصوير رد الفعل الذي تركته هذه الهدية في نفس ابن عمار . فيقول المراكشي إن ابن عمار كان راضياً كل الرضى بهذه الهدية ، لذا فقد كافأ التاجر عند رجوعه حاكماً على مدينة شلب مرسلًا من قبل المعتمد ، برسالة مخللة مليئة بالفضة قائلاً له « لو ملائمتها

(١) الحلة السبراء ، ف . ابن طاهر .

(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٢ ، ف . ابن عمار

(٣) المراكشي ، المعجب ، ص ١١٤ .

براً لملأناها تبراً». أما ابن بسام فيذكر أن الشاعر غضب غضباً شديداً لكرامته وعدها إهانة له ، وكاد يرفض هذه الهدية الوضيعة ، ولكنه تذكر بغلته فأرسل إليها الشعير . ثم يقول إن ابن عمار لم ينس هذه الإهانة عند رجوعه حاكماً إلى شلب ، فدعا التاجر إليه وعفاه على عمله ، فاعتذر هذا منه خائفاً من العقاب ، ثم أرى ابن عمار آياتهم منراً لاعتزازه بها وحرصه عليها . فرضي هذا عنه وأمر باعطائه مخلاته مليئة بالفضة قائلاً له : « لولا حرمتك لا وجعتك أدباً ، ولوملأت تلك امس رآ ملأنا هذه تبراً . » « ١ »
ورغم ان الخيال قد يكون لعب في هاتين الروايتين دوراً ما ، فاننا لا يمكن أن نعرض عنهما تماماً . فربما كان فيهما جزء من الحقيقة ، لاسيما ما يتعلق منهما بحياة ابن عمار البائسة في هذه الحقبة . إلا أن من المهم أن نلاحظ أن كلا من المراكشي وابن بسام صور شخصية ابن عمار بشكل يختلف عن الآخر . فالأول فقد وصفه رجلاً بائساً فقيراً يشر بوضاعة مركزه ، فهو لا يكاد يحس بالكرامة والاعتزاز لانفسه ولا ولا بشعره ، فيرضى بمخلاة شعير ويسر بالحصول عليها لقاء جزء من انتاجه الأدبي ، فأى بؤس واية وضاعة في النفس !

أما ابن بسام فيقدم لنا شخصية أخرى تفرض الاحترام والتقدير . شخصية ذات كرامة ونفس رفيعة لاتعدم نبلا وشهامة ، فهو يتردد في رفض هدية متواضعة جداً ويفض لكرامته وكرامة شعره ، ولكنه مع ذلك لا ينسى جميلاً أسدى إليه فيكرم صاحبه عليه .

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابن عمار .

إن مالدنيان من معلومات الآن لا تسمح لنا بأن نجزم بصحة إحدى هاتين الروايتين ، ولكن رغم أن ابن إسام كان أقرب عهداً لابن عمار وأنه غنى بأخباره وألف كتاباً عنه (١) ، فيبدو لنا أنه إنما عبر عن رأيه في موقف ابن عمار أكثر مما صور موقف ابن عمار نفسه حينما تحدث عن غضب هذا الأخير إكرامته . يدل على ذلك مخلاة الفضة التي قدمها للتاجر منبهاً إياه إلى أنه كان سيخطيه مخلاة ذهب ، لو كان قد أرسل مخلاة من القمح ، إذ ليس الفرق بين ثمنَي الشعير والقمح كبيراً بحيث يغير ابن عمار رأيه فيرضى ويهب الذهب ، لذا فرواية المراكشي أقرب إلى المنطق ، هذا فضلاً عن أنها أكثر انسجاماً مع ما نعرفه عن أخلاق ابن عمار وصفاته .

عدا هذه الحادثة ، ليس لدينا أية تفاصيل عن حياة ابن عمار أو عن شعره في هذا الدور من حياته . فقد ذكرنا سابقاً أن الشاعر أحرق جميع شعره الذي نظمه آنذاك ليطمس التذكريات المؤلمة التي خلفتها هذه الفترة من حياته القاسية ^٢ . يبدو من ذلك أنه لم يكن لهذا الشعر أية قيمة أدبية جديرة برفع قيمة قائمها حتى في نظر الشاعر نفسه .

بل يبدو أنه لم يحصل بنظر الآخرين على أي اعتبار يسدفعهم إلى الاحتفاظ به وتسجيله ، فلم نرمؤرخاً من المعنيين بأخبار ابن عمار وشعره يتطرق إلى شيء من ذلك ، كما أننا نعلم أن لأحدم من رجالات الأندلس أعجب به قبل إقامته بالمعتضد رغم أنه قصد قسماً كبيراً منهم .

إن هذا الحال يسمح لنا لحد ما بالقول ، إن فقدان شعر ابن عمار الذي نظمه في هذه الحقبة من حياته ليس خسارة كبيرة تستحق الأسف ، لأنه لم

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، ف ٠ ابن وهبون . بنو عباد ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) بنو عباد ، ج ٢ ، ص ٩٠ . الخلة السيرة ، ف ٠ ابن عمار .

يحفظ بتقدير معاصريه بل ولا حتى بتقدير الشاعر نفسه .
ولكن رغم أن هذه الفترة كانت قاسية مريرة ، تكبد فيها الشاعر مختلف
ضروب الشقاء ، فإنها كانت المدرسة التي عرف فيها ابن عمار الرجال وخير الحياة
واطلع على أحوال الاندلس ، مما كان له اكبر الاثر في حياته التي عاشها بعد
ذلك ومجده الذي بناه . إنها كانت فترة التحضير والاستعداد للفترات التي
تلت هذه الفترة من حياته . فهي وإن لم تسكن ذات قيمة بذاتها ، فإن قيمتها
في حياة الشاعر وفي إعداده كسيرة ذات اثر .

ابن عمار

منذ لقاء المعتضد هتني بجي ، المعتمد الى الحكيم

عام ٤٦١ للهجرة

إن هذا اللقاء يعتبر في الواقع حدثاً ذا أهمية خطيرة في حياة الشاعر المادية والأدبية . ويبدو أنه حدث في غضون عام ٤٤٥ هـ . (١٠٥٣ م) بعد الحرب الدامية التي خاضها المعتضد ضد الأمراء البربر ، كما يتبين بوضوح من قصيدة ابن عمار الاولى التي مدح بها المعتضد ، وهي رائيته الشهيرة ^١ .
إننا نستطيع أن نقسم ، تسهيلاً للبحث ، الفترة التي قضاها الشاعر في حكم المعتضد الى ثلاثة اقسام : الاولى ، في إشبيلية حيث تعرف بالامير محمد بن عباد (الذي اطلق عليه فيما بعد لقب المعتمد) وارتبط معه بصلة وثيقة وصداقة اصبحت مضرب الامثال . والثاني ، في شلب برفقة الامير محمد بن عيذه ابوه حاكماً على هذه المدينة . والقسم الثالث ، من هذه الفترة قضاه في سرقسطة وشمال شرقي الأندلس بعد اضطراره على مفارقة صديقه الامير محمد .

ان ما بينا يدينا من إنتاج ابن عمار الشعري يشير الى أن هذه الفترة من حياة الشاعر كانت احدى فترتين خصبت فيها قريحة الشاعر وجادت بخير مالدينا من أدبه . اما الفترة الثانية فهي الاخيرة من حياته والتي سنعرض لها بعد قليل .

(١) انظر قس ١ .

ابن عمار في اشبيلية

وصل ابن عمار إشبيلية بعد محاولات لارتقاء سلم المجد الأدبي قام بها في مختلف أنحاء الأندلس ، باءت جميعها كما يبدو بالفشل الذريع . فقد ظل الشاعر مغموراً يعاني مرارة الفاقة وبؤس الحرمان ، دون ان يفلح بالخطوة لدى أحد أمراء الطوائف . وما كاد يصل هذه المدينة حتى قرر اختبار حظه مع أميرها المعتضد عباد كما فعل مع غيره من قبل . لقد كان المعتضد آنذاك في قمة مجده ، فقد انتصر قبيل ذلك انتصاراً ساحقاً على ابن الأفطس أمير بطليوس ، ثم وجه اهتمامه بعد ذلك الى الأمراء الصغار من البربر وغيرهم الذين استقلوا بالامر بعد انحلال الخلافة في قرطبة ، فكانوا يحكون مقاطعات صغيرة مستقلة يقع جلها في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة ، فالحق بهم خسارة فادحة وضربات قاضية ووسع نتيجة ذلك رقعة مملكته توسعاً كبيراً . لقد كان ملك إشبيلية آنذاك في حاجة دون شك اكثر من أى وقت مضى الى أن تمجد انتصاراته ويخلد اسمه ويتغنى بأعماله ومآثره . ويروي لنا ابن بسام خيراً يظهر فيه بوضوح اتجاه المعتضد هذا وحاجته النفسية لتخليد مآثره والتغني بأعماله . فيقول ، إن المعتضد نظم بعد احتلاله لمدينة رندة قصيدة ذكر فيها هذا الحدث ، فافتخر بشجاعته وصلابته وذكر أنه « أعجب بهذه القطعة الرندية عجب حسان بن ثابت بقصيدته الميمية ، ، وأخذ الناس يحفظها وحملهم على ضبط معانيها ولفظها ... »^١ فقد كان المعتضد إذن يحس بالفخر والاعتزاز ، كان في حاجة لأن يمدح ويشاد بأعماله وتوصف

(١) ابن بسام ، الأخيرة ، ق ٢ ، ف المعتضد ؛ ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ف ابن عمار ؛ دوزي

بنو هدادج ، ٢ ، ص ٦

بطولاته . ومن الطبيعي أن يجد الشعراء في هذا الاحساس فرصة مناسبة
 يتمزونها لاشباع رغبة الامير الثرى فتتنظم القصائد الطويلة وتكتب الرسائل
 المستفيضة في ذكر مآثره . ولم يكن ابن عمار ليترك فرصة ثمينة مثل هذه
 تفلت من يديه ، فتقدم الى الامير بقصيدته الرائية المشهورة التي مطلعها :
 أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى
 فكان لها احسن الوقع في نفس الامير فاسني جائزته وضمه الى ديوان
 الشعراء .

الرائية

ورائية ابن عمار هذه كأكثر شعر تلك الفترة تدخل من حيث موضوعها
 في الاطار الذي صنعتة الأرسقراطية الحاكمة للشعر . فقد أشرنا الى أنها
 كانت استجابة لحاجات نفسية ومادية فرضتها طبيعة التكوين الطبقي للمجتمع
 الاندلسي ، ويبدو هذا الاتجاه لا في الموضوع فحسب بل في كثير من
 الافكار المتناثرة في ثنايا القصيدة كما ستأتى الاشارة اليه .

فعدا المقدمة التقليدية التي وقفها الشاعر ، كما يفعل اكثر الشعراء الاندلسيين
 على وصف الطبيعة ومساقتها في متعة الشاعر وأنسه ، فان قصيدة أبي بكر بن
 عمار هذه تشتمل على أربعة موضوعات رئيسية ، ثلاثة منها مهم المعتضد ،
 او بالاحرى نظمت لإرضائه واشباع رغبته ، والرابع خصصه الشاعر
 لنفسه .

اما الموضوعات الثلاثة ، فأولها الاشادة ببطولة الملك وانتصاراته الرائمة على
 أعدائه . وثانيها تمجيد كرمه وبسطة يده وكثرة عطاياه ، وثالثها هجوم

١ المراكشي ، المعجب ، ص : ٧٠

عنيف على أعدائه البربر ووصفهم بأشنع التعوت . أما الموضوع الرابع المتعلق
بالشاعر نفسه فهو تعبير عن الأمل الذي علقه على الملك وعلى كرمه واحسانه ،
والجهود الكبيرة التي بذلها في الوصول اليه والوقوف بين يديه وتقديمه
عصارة قريحته وزبدة فنه للإشادة بما آثره وتمجيد صفاته .

إتنا نلاحظ هذه الافكار متناثرة في المقاطع التي خصصها الشاعر لوصف
كرم الامير ومجمله في الحياة في آخر القصيدة .

ويمكننا ان نضيف الى ماتقدم من موضوعات تطرق الشاعر في أحد
الايات الى مدح الامير إسماعيل بن المعتضد ولى عهد ملك اشبيلية وقائد
جيوشه ، ملاحظين أن ابن عمار لم يشر مثل هذه الإشارة الى الأمير محمد
(المعتمد) الذي أصبحت صداقته للشاعر مضرب الامثال . ولاشك أن هذا
الاهمال يمكن أن يعزى الى أن الأمير محمد لم يشغل مركزاً هاماً يلفت
اليه الانظار في الدولة الا بعد مصرع اخيه اسماعيل ، فلم يكن جديراً إذن
يجذب اهتمام الشعراء ولفت انظارهم ، لاسباب وأن عمره لم يكن يتجاوز آنذاك
السنة الثالثة عشرة . هذا الى أن صداقة الأمير محمد لابن عمار لم تكن
قد بدأت بعد ، إذ أن هذه القصيدة قد نظمت في اول زيارة قام بها الشاعر
لبلاط إشبيلية والتي كانت سبباً لربط اواصر الوديعين الصديقين .

ان هذا الرأي يدحض رواية ابن بسام^(١) التي نقلها عنه دوزي^(٢)
وكونثالت بلانثيه^(٣) وغيرهم من المؤرخين^(٤) ، والتي تزعم ان الامير محمد

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ ، ف ابن عمار .

(2) Mus Esp. T III, P. 83

(3) Gonzalez Palencia, His . de la literatu Arabi ga
Enpanol, P. 77

(4) Pipuet, l'Espagne des Maures, P. 74

إتما تعرف بابن عمار في مدينة شلب عندما كان أحاكماً عليها ، وعلى ذلك فإنه نظم هذه الرائية بعد عودة الأمير محمد إلى إشبيلية مصحوباً بصديقه الشاعر . وعدم قبولنا لهذه الرواية مرده قبل كل شيء إلى هذا البيت الذي مدح به الشاعر الأمير اسماعيل بن المعتضد .

ياسائلي ما حمص الا خام
أبصرت اسماعيل فيه خنصرا

إذ أن الأمير محمد لم يعد إلى إشبيلية إلا بعد مصرع أخيه اسماعيل عام ٤٥٠ هـ (١٠٥٨) ، فلا بد أن يكون ابن عمار اذن قد نظم قصيدته هذه قبل عودة الأمير محمد من شلب إلى إشبيلية ، أي حين كان الأمير اسماعيل لا يزال على قيد الحياة . معنى ذلك أن ابن عمار قصد بلاط إشبيلية قبل أن يذهب إلى شلب بصحبة الأمير محمد ، وأن من المعقول جداً أن يكون قد تعرف به في إشبيلية لا في شلب . وهذا الرأي مضافاً إليه الإشارات التي وردت في القصيدة عن بعض المناسبات ، هي التي جعلتنا نحدد تأريخ نظمها بـ ٤٤٤ او ٤٤٥ هـ .

ولنعد إلى القصيدة نفسها لنبدي فيها بعض الملاحظات ونلفت الانظار إلى صفاتها المهمة .

إن أول ما يلفت النظر فيها على وجه العموم هو سطحية الافكار والشاعر وابتذالها ، فلها بما أكثر ترداده على السنة الشعراء راقلام الكتاب . وقد نستطيع مع ذلك أن نستثنى من هذا الحكم بعض الأبيات ، كقوله مثلاً يمدح الملك :

(١) المغرب ، ج ٤٣ ، ص ٩٢

أندى على الأكباد من قطر الندى

وألذ في الأجفان من سنه السكرى

فلا شك ان الشاعر عبر بنظمه لهذا البيت عن مجموعة معتمدة من العواطف والافكار . فالملك يتمتع بصفات هي مزيج من اللطف والطيبة وكرم النفس وغير ذلك مما نحسه حين قراءتنا لهذا البيت دون ان نستطيع تمييزه بوضوح ، لم يجد الشاعر السبيل لتصويرها الا بهذا الاسلوب الجميل المعبر .

وكثيراً ما يجأ به القارىء البسيط آيات المديح بالامتعاض والاعراض متمهماً الشاعر بالكذب والتلفيق وبذلك يجردا نتاجه من كل قيمة أدبية . وفي هذا الرأى ما فيه من تحين على المديح وسوء فهم لطبيعته وتسرع في الحكم عليه . فلو اقم أن الشاعر حين يمدح لا يعني بوصف شخصية الممدوح ، ولو كان هذا غرضه لوصف محاسنه ومساوئه ، ولسكنه يحاول أن يرسم صورة شعرية لمثل انساني عال تمليه عليه ظروفه الاجتماعية والطبقية ومرحلته التاريخية ، ثم يعطي هذه الصورة بعد ذلك اسم الممدوح او يربطها بمجوات وقعت في حياته . وعلى ذلك فكل قصيدة مدح جيدة صورة شعرية لنموذج انساني عال وضعه الشاعر تبعاً لمقاييسه الخاصة التي مصدرها دون شك المقاييس الاخلاقية للمجتمع الذي يعيش فيه .

فجودة هذا البيت اذن لا تعود الى أن الشاعر صدق في وصف المعتضد ، وأصاب في تحديد صفاته ، وإنما لأنه عبر تعبيراً قوياً حياً عن صفات انسانية سامية تقصر الالة المألوفة عن التعبير عنها باخلاص . اما أن الشاعر لكي يحظى بالجائزة أو هم المعتضد بانه يصفه ، فذلك مما لا يهمننا في تقدير قيمه

البيت الادبية ، بل قد تكون له أهمية تاريخية خاصة .

ومع هذه السطحية والابتذال في الافكار والمشاعر الذي يغلب على اكثر مقاطع هذه القصيدة ، فان فيها ما يلفت النظر وينتزع بمض الإعجاب واخص بالذكر بناءها اللغوي وتركيبها اللفظي . فان عمار متمكن من النظم واسع الاطلاع على اللغة ، فلا جرم إذن في أن تكون تعابير عن افكاره الهزيلة السطحية قوية متماسكة ، بل ان فيها براعة وحذقاً دفعت النقاد القدامى الذين عاصروا ابن عمار او جاءوا بعده ، الى تمجيد هذه القصيدة واعتبارها درة من درر الشعر . ولكن اختلاف مقاييس التذوق الادبي ولاسيما بيننا وبين نقاد ذلك العصر الذي ابتدأ فيه الادب يتجه الى العناية بالشكل فحسب دون الاهتمام بما يحتويه ، جعلتنا نقف منها موقفاً قد لا ينسجم مع ما قد قيل عنها حتى الآن .

والمستعرض بسرته هذه القصيدة لاقتين النظر الى ما يستحق الالتفات منها .

افتتح ابن عمار قصيدته كما افتتح كثير من الشعراء الاندلسيين قصائدهم ووصف مجلس من مجالس الانس حضره وتمتع فيه . ومن متمات مجالس الانس لدى الاندلسيين الحدايق الغناء والطبيعة الجميلة التي تكنتف هذه المجالس او تحيط بها :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى

والنجم قد صرف العنان عن السرى

والصبح قد اهدى لنا كافوره

لما استرد الليل منا العنبر

والروض كالحسنا كساه زهره
 وشياً وقلده نداء جوهره
 او كالفلام زها بورد رياضه
 خجلا وتاه بأسهن معذرا
 روض كأن النهر فيه معصم
 صاف أطل على رداء أخضرا
 وهزه ربح الصبا فتخاله
 سيف ابن عباد يبدد عسكرا

من الواضح أنه من العبث أن نبحث في هذه الايات عن عواطف قوية
 ومشاعر صادقة مثيرة او افكار عميقة ، فقد اختفي كل ما هناك من عواطف
 ومشاعر وافكار سطحية تحت حجب من الصنعة البيانية هي التي تلقت النظر
 وتجلب الانتباه ، لقد بذل الشاعر جهده في البحث عن التشبيهات وتركيب
 استعارات ، لم يستطع مع جهده هذا في أن يبتعد بها عما هو مألوف في
 عصره ، فالظلام كالغبر وضوء النهار كالكافور ، والروض كالحسنا والزهور
 كالوشي والبدى كالجوهر ، او هو أى الروض كالفلام يتيه بخديه الاحمرين
 اللذين يشبهان الورد وبالشعر النابت عليها والشبيه بالآس ، والنهر كالمعصم
 فوق الرداء الأخضر الخ... ثم انتقل بعد ذلك الى المدح انتقالا يصفه النقاد
 القدماء بالبراعة والخلق ، وان كان لا يتصل بالفن من قريب او بعيد .

ولا شك ان هذه المحسنات البيانية تساهم في تكوين القيمة الفنية للنص
 اذا كان الغرض منها زيادة قوة تعبيره عما يضمه من المشاعر والعواطف
 والافكار . أما أن تكون غرضاً في ذاتها فذلك مما يجعل النص الأدبي

شكلا اجوف ، قد يثير الإعجاب بتركيبه وحذق صياغته ولسكنه لا يمس الحاسة الفنية ولا يثير في النفس الشعور الجمالي (الاستيتيكي) الذي يحسه المرء أمام قطعة فنية حتمية .

بعد هذه المقدمة التقليدية ينتقل الشاعر الى غرضه الرئيس . وهو المدح فيقف جل القصيدة عليه . وقد حاول الشاعر ، كعادة المداحين من الشعراء ، أن يسبغ على المعتضد شخصية مثالية تتصف بكل مثل المجتمع العليا وتكاد تنحصر في اربع صفات : مجد باذخ ، ومكانة رفيعة ، وشجاعة منقطعة النظير ، وكرم لا يعرف الحدود . فلا يكاد يخلو بيت من بيوت القصيدة الاربعين الباقية من اشارة الى واحدة من هذه الصفات او عرض لها بشكل من الاشكال ، سواء أكان الحديث عن المعتضد ام عن ابنه اسماعيل ، ومما يلفت النظر براعة الشاعر في التعبير عن نفس الافكار بأشكال مختلفة وطرق متباينة ، إلا في العليل من الايات حيث يحطم هذه الحدود :

الحاجب المنصور سيف الدولة ال... (١) معطى... من الجباء الاكبر (١)

علق الزمان الأخضر المهدي لنا
من ماله العلق النفيس الأخطرا
ملك إذا ازدحم الملوك بمورد
ونحاه لا يردون حتى يصدرا
أندي على الاكباد من قطر الندى
وأند في الاجفان من سنق الكرى

(١) كنفيا في التخيبة وف ابن عمار

قداح زندالمجد لا يتفك من
نار الوغى إلا إلى نار القرى
يختار إذ يهب الخريدة كاعباً
والطرف أجرد والحسام مجورها
أيقنت أنى من ذراه بجنة
لما سقاني من نداء الكوثر
وعلمت حقاً أن روضي مخصب
لما سألت به الغم المطرا
يا سائلي ما حمص إلا خاتم
أبصرت اسماعيل فيه خنصرا
من لا توازنه الجبال اذا احتبي
من لا تسابقه الرياح اذا جرى
ماضي وصدور الرمح يكهم والظبي
تنبو وأيدى الخيل تعثر في البرى
لا شيء أقرأ من شفار حسامه
إن كنت شبهت الكتاب أسطرا
قاد المواقب كالسكواكب فوقهم
من لامهم مثل السحاب كنهورا

وهكذا يستمر الشاعر يجول حول ممدوحه بشكل لا تكاد نحسن تجاهه

بغير الارهاق الذي ارهق به الشاعر نفسه لكي يفتح من افكار سطحية
مبتذلة ابياتاً ذات قيمة لسامعيه . فبالإضافة الى التكلف البياني وجه الشاعر
جهداً غير قليل للمحسنات البديعية كالطباق والجناس ، ولكن التكلف
والتصنع فيها واضح بين يفقدها كل جمال فني او تأثير ادبي لقد كان عصر
ابن عمار مولعاً بالصنعة شغوفاً بزويق الكلام ، فلا جرم اذا رأينا تقاد
العصر يعجبون بالشاعر ويطنبون في مدحه ، بينما تنحصر أهميته لنا بالتركيب
اللغوي لأبياته ليس غير .

ولكن من حق الشاعر علينا ان نقول إن روحاً جديداً ابتدأ يظهر في ابيات
القصيدة الأخيرة حين انتقل الشاعر للحديث عن نفسه وتصوير لهفته الى نوال
الامير وجهده في ارضائه وجلب عطفه وامله في ان تحظى ابياته التي بسذل
فيها ما بسذل من جهد وبراعة بالتبول لدى الملك .

واليك يا منصور قادت همتي

بزمامها جرد المذاكي الضمرا

مدت سنانكها القوادح للصفاء

مرطاً على متن الظلام معصفرا

يجعلك قبلتك البهية قبلة

ويردن ساحتك البهية مشمرا

خذعاً اليك وروضها لك ناضر

اسقيته ماء النعيم فتورا

نمقتها وشياً بذكرك مذهباً

وفتقتها مسكاً بحمدك أذفرا

من ذا يفاخني وذكرك مندل
أوردته من نار فكري مجرا
ولئن وجدت نسيم حمدي عطر
فلقد وجدت نسيم برك أعطر
واليكها كالروض زارته الصبا
وحنا عليه الظل حتى نورا

ان هذه اللفظة وهذا التوسل والرجاء المنبث من هذه الالفاظ القوية التركيب
المتينة البنيان قد يمطي هذه الايات قيمة أدبية لا تجدها فيما سبق . ومع ذلك
فاننا نترك الحكم عليها للقارىء حيث يجدها كاملة في القسم الثاني من هذا
الكتاب .

لقد كان تأثير هذه القصيدة على المعتضد كبيراً جداً فاعجب بالشاعر
وقربه اليه وضمه الى ديوان الشعراء (١) حيث يتمتع برزق خاص .

الدالية

وبالاضافة الى هذه الرائية فان لدينا ست قصائد لا بد أن يكون الشاعر قد
كتبها في هذه الفترة من حياته ، أهمها قصيدة دالية تستحق أن نوجه نحوها
اهتماماً خاصاً وعناية كبيرة . مظهرها :

ألا للمعالي ما تعيد وما تبدى

وفي الله ما تخفيه عنا وما تبدى

(١) المعجب ، ص ١١٧

ويبدو أن الشاعر نظم هذه القصيدة بعد الانتصار الرائع الذي أحرزه الجيش
 الأشبيلي على البربر المقيمين في قرمونة قرب إشبيلية. ويبدو واضحاً في أبيات
 هذه القصيدة تحمس ابن عمار لهذا النصر وفرحه به، ولا غرابة في ذلك
 فقد كان بين الأندلسيين والبربر حقد متبادل جذير بأن يفرح كلا منهما بمصائب
 خصمه، وقد كان لهذا الشعور دون شك أثره في إعطاء هذه القصيدة قيمة
 خاصة ولنستمع إلى الشاعر في إحدى مقاطعها يصف هجوم الأمير اسماعيل
 بن المعتضد على قرمونه:

ورب ظلام سار فيه إلى العدى
 ولا نجم إلا ما تطلع من غمد
 أطل على قرمونه متبلجاً
 مع الصبح حتى قيل كانا على وعد
 فأرملها بالسيف ثم أعارها
 من النار اثواب الحداد على التقد
 فيأحسن ذلك السيف في راحة الندى
 ويأبرد تلك النار في كبد المجد

أفلا نحس برضى الشاعر وابتهاجه وبتشفيه بما حل بالبربر من ضيم؟!
 وعداء ابن عمار للبربر متأصل في نفسه وسنرى أنه كان ذا اثر كبير
 في اعماله وسياسته طيلة حياته، فلا عجب اذن في أن نحس بعواطف الشاعر
 واحساسه في ابياته التي يتحدث فيها عنهم. فيقول مشيراً إلى ابن اسحاق
 البرزالي حاكم قرمونه وباديس بن جبوس حاكم غرناطة، وكانا من اشد
 امراء البربر شكيمة واقواهم سطوة:

يهوداً وكانت بربراً فانتض الظبي
 وأنبتهم منها بالسنه لد
 أقول وقد نادى ابن اسحاق قومه
 لأرضك يرتاد المنية من بعد
 لقد سلكت نهج السبيل الى الردى
 ظباء دنت من غابه الاسدالورد
 كأنى بباديس وقد حط رحله
 الى الفرس الطاوى عن الفرس النهدي
 الى الفرس الجارى به طلق الردى
 سريعاً غنياً عن لجام وعن لبد
 يحن الى غرناطة فوق متنه
 كما حن مقصوص الجناح الى الورد
 ظفرت بهم فأنح وأومض كئوسها
 بروقاً لها من عودها ضجة الرعد

لقد كان النزاع بين الاندلسيين والبربر صفة بارزة من صفات القسم
 الاول من عهد ملوك الطوائف فى الأندلس . وما نلاحظه فى هذه القصيدة
 وامثاله ما هو الا انعكاس لهذا العداء المستحكم والنزاع الدامى .
 وكما فعل ابن عمار فى قصيدته الرائية السابقة ، فعل فى هذه القصيدة ،
 إذ خصص الأبيات الأخيرة منها لاستدرا عطف الملك واستجدائه وكسب
 رضاه ونواله . والواضح ان الشاعر لم يتورع عن الاستجداء الصريح والالحاح

في طلب هبة الأمير مبيئاً بوضوح أنه إنما يمدح ليحصل على الجزاء . ولا شك في أن أصل ابن عمار الطبقى وما كان يعانيه من فقر وعوزها اللذان دفعاه الى سلوك هذا السبيل في استجداء الأمير .

ولو قارنا اسلوبه هذا واسلوب ابن دراج وهو فقير مثله بأسلوب ابن زيدون مثلاً وبغيره من الشعراء ذوى المراتب الاجتماعية الأكثر سمواً ، لتبين لنا الفرق واضحا بين النفسيتين .

وابيات ابن عمار الأخيرة هذه قوية التركيب متينة البنيان ناجحة في التعبير عن لهفة الشاعر وأمله وشدة ثقته بالأمير واعجابه بما بذله هو نفسه من جهد في نظم قصيدته :

ودونكها من نسج فكرى حلة

مطرزة العطفين بالشكر والحمد

الذ من الماء القراح على الصدى

واطب من صل الهوى عقب الصدى

وما هذه الأشعار الا مجامر

تضوع فيها للتدى قطع الند

وكنت نثرت الفضل في وإنما

نثرت سقيط الطل في ورق الورد

وها انا باغ من نذاك بقدر ما

يضاف لتأميلي ويعزى الى ودي

فأقسم لو قسمت جودك في الورى

على قدر التأميل فزت به وحدى

قنعت بما عندى من النعم التى

يفسرها قولى قنعت بما عندى

ورغم أن هذه القصيدة تفوق سابقتها، كما اعتقد في قيمتها الأدبية، فإنها لم تحظ بالاهتمام الذى حظيت به القصيدة الراجزية من قبل المؤرخين عدا صاحب الخريدة فقد خصها بقسط كبير من المدح والأطراء. أما القصيدة الثالثة التى لدينا من هذه الفترة فهى رائية (١) من البحر « المتقارب » تتكون من ثلاث عشرة بيتاً يبدو ان الشاعر نظمها بعد معركة ناجحة خاض غمارها المعتضد ضد أعدائه، استعمل فيها الدهاء والرأى بالإضافة الى السلاح. وفى هذه القصيدة صور مليئة بالحركة والحياة. ساعد فى إعطائها هذه الصفة وزن القصيدة المتحرك وقافيتها « الساكنة »

(م) تعاطى الخوارج حتى برز

تقوم من خدها ما صعر

واقبلتها الخيل حمى البنود

دعم الفوارس بيض الفرر

فكروا فلم يفهم من مكر

وفروا فلم ينجهم من مفر

ودارت دماؤهم كالكوؤوس
وفاحت نفوسهم كالزهر
فماقر سيفك حتى انحنى
وعربد رححك حتى انكسر

اما القصيدة الرابعة (١) فهي كافية من البحر « الكامل » تتألف من
عشرة ابيات فقط يصف فيها الشاعر مجلساً من مجالس الأُنس حضره
المعتضد .

وتتضح في هذه الأبيات صفات شعر ابن عمار الرئيسه كاهتمامه بالمحسنات
البديعية والبيانية وتعلقه بالتزييق اللفظي مع براعة في اختيار الألفاظ
وصياغة الأبيات تلفت النظر .

اما بقية مالدينا من شعر هذه الفترة (٢) فلا يكاد يلتفت النظر فيه شيء
إلا أننا نلاحظ في احدى هذه المقطوعات ، وهي قطعة من قصيدة مظلمها :

أشاقك برق ام جفاك حبيب
فليلك فضفاض الرداء رحيب

امراً يلتفت النظر يتصل بعلاقة الشاعر بالملك .

ولا يمتلك من هذه القصيدة سوى أحد عشر بيتاً فقط ، يمدح فيها
الشاعر المعتضد ، والسكنه يعبر في الوقت نفسه عن خوف داخلي وحذر من
وقوع مكر ويحاول تجنبه بالتحدث عن الوفاء والغدر ولا سيما وفاء الملك

(١) ديوان قص ٤ .

(٢) انظر الديوان قص ٧٠٦ ، ٨٠٧ .

ومحافظته على اليهود وعزوفه عن الغدر .

مزحت فأنى يا ابنة القيل لم اكن
لأفشي سرأ ضمته قلوب

سأشهد قومي أن طرفك من دمي
برىء وإن كان الفتور يرب

وكيف أرى في للغدر نهجاً لسالك
وعهدى بالملك الوفي قريب

فتى نسخ الغدر اقتضاء وفائه
فلا تحمکن أن الوفاء غريب

ان الحاح الشاعر على هذه الناحية مع ما نعرفه من بطش المعتضد وغدره
ليترك في نفوسنا انطباعاً قوياً عن حذر الشاعر وخوفه واحساسه بتغير نفس
الملك تجاهه . مما ستبدو آثاره بعد ذلك كما سنرى .

ابن عمار والامير محمد بن عباد (المعتهد)

وفي إشبيلية تفتحت امام ابن عمار آفاق جديدة ، تربت عليها نتائج مهمة
كان لها اكبر الأثر في مستقبله . ففي بلاط المعتضد تعرف الشاعر بالأمير
محمد ابن الملك وخليفته على العرش . ويبدو أن صفات مشتركة وميولاً متشابهة
جمت بين الرجلين ومنت عرى صداقة وثيقة أصبحت فيما بعد مضرب

الأمثال (١)

وعندما أرسل الأمير محمد فاتحاً لشلب ثم حاكماً عليها، كان ابن عمار
ساعده الأيمن ورفيقه المقرب اليه (١) وهناك في شلب اصبح الشاعر البائس
الشريد شخصاً آخر لا يكاد يمت الى سابقه بصلة، فقد غيرت الحياة المترفة
التي كان يجيهاها الى جانب الأمير في قصر الشراييب كل مظهر من مظاهر
حياته القديمة البائسة. لقد استجاب الرفيقان لدواعي المتعة والأنس
واستسما للملذات والمباهج والغمر في التبذل والمجون بشكل بقيت ذكراه
عالقه في نفسها بعد ذلك بزمن طويل. فعندما أرسل المعتمد صديقه بعد
ذلك بسنوات حاكماً على شلب، خاطبه، بايات ذكر فيها هذه الحقبة السعيدة
من حياته، قال فيها (٢)

الأحبيي أوطان بشلب أبا بكر
وسلمن هل عهد الوصال كأدرى
وسلم على قصر الشراييب من فتى
له ابدأ شوق الى ذلك القصر
منازل آساد ويبيض نواعم
فناهيك من غيل وناهيك من خدر
وكم ليلة قد بت أنعم جنحها
بمخضبة الأرداف مجدبة الخصر

(١) المعجب، ص ١١٧

(٢) فلانث، ص ٥، ديوان المعتمد ص ١١

ويبيض وسمر فاعلات بمهجي
 فعال الصفاح البيض والأسل السمر
 وليل بسد النهر لهواً قطعته
 بذات سوار مثل منعطف النهر
 نضت بردها عن غصن بان منعم
 نضير كما انشق الكمام عن الزهر
 وباتت تسقيني المدام بلحظها
 فن كأسها حيناً وحيناً من الثغرا
 وتطربني اوتارها وكأني
 سمعت بأوتار الطلي نغم البتر

وابن عمار نفسه لم ينس هذه الأيام المهائلة فقد بقيت ذكراها عالقة في
 خاطره يستعيدها كلما حاقت به الكروب وداهمت المصائب، وها هو ذا
 يذكرها في قصيدته التي بعث بها إلى الأمير محمد بعد ذلك بسنوات وهو
 في سرقسطة خائفاً من غضب المعتضد وبطشه وطامحا بالحصول على عفوه
 ورضاه، قال (١) :

أشلب، ولا تنساب عبرة مشفق !
 وحمص، (٢) ولا تمتاد زفرة نادم !

(١) ديوان حمص ٩ .

(٢) يقصد بـحمص (اشبيلية) اذ كانت تسمى كذلك لان جنه حمص نزلوا فيها بعد الفتح .

كساها الحيا برد الشباب فانها
بلاد مها عق الشباب تماغي
ذكرت بها عهد الصبا فكأنما
قدحت بنار الشوق بين الحيازم
ليالي لا ألوى على رشد لأم
عنانى ولا أئيبه عن غي هام
أنال سهادى عن عيون نواعس
وأجني عذابي من غصون نواعم
وليل لنا بالسدين معاطف
من النهر ينساب انسياب الأراقم
بحيث أخذنا الروض جاراً تزورنا
هداياه في ايدي الرياح النواسم
تبلغنا انفاسه فتردها
باعطر أنفاس واذكى مناسم
تسر الينا ثم عنا كأنها
حواسد تمشي بيننا بالنوام
سقتنا به الشمس النجوم ومن بدت
له الشمس في جنح من الليل فاحم

وبتنا ولا واش يحس كأنما
حللنا مكان السر من صدر كاتم
هو العيش لاما أشتكيه من السرى
الى كل نفر أهل مثل طاسم

فيبدو واضحاً أن الصديقين الشابين لم يدعا سبيلاً من سبل الأنايس لم
يسلكاه ولم يتركا باباً من ابواب المتعة لم يطرقيه ، حتى اصبحا مضرب امثال
الناس وموضع حديث البعيد والقريب . لقد كان لهذه الأيام السعيدة وهذه
الحياة والصفات المشتركة أثرها الفعال في تشديد روابط الصداقة وتوثيقها
حتى اصبح احدهما كما يقال لا يكاد يفارق الآخر . ومع ذلك فقد كان مخالج
قلب ابن عمار الذي عرف الناس وخبرهم ، قلق عميق من مستقبل هذه الصلة
الوثيقة كما يقول دوزى (١) . تدل على ذلك القصة التي يرويها مؤرخو
الأدب الاندلسي والتي يقال انها حدثت في هذه الحقبة من حياة ابن
عمار ، ويبدو أن لهذه القصة اساساً من الصحة لأنها رويت في مصدرين :
ذكرها ابن بسام في كتاب « الذخيرة » (٢) نقلاً عن المعتمد بن عباد ،
ورواها عبد الواحد المراكشي في كتابه « المعجب » (٣) نقلاً عن ابن
عمار نفسه .

يقول ابن بسام ... ويتعلق بهذا القتل الشنيع خبر غريب المسموع من
ذلك الأوان وحديث طريف من الحدثان ، اخبرت به عن غير واحد من
وزراء المعتمد ، وذلك أنه لما مضت لقتل ابن عمار ايام ، حضروا مع المعتمد

(1) Mus. Esp, T.3P84 ,

(١)

(٢) الذخيرة ق ٢ ، ف . ابن عمار

(٣) المعجب ص ١١٧

في مجلس أنس . فلما طابت الأنف وأخذت منهم حيا الا كؤوس ، وراح
المعتمد وهز عطفه ، وبدا على قسامة عطفه ، سئل عن هذا الخبر المستظرف
الذي كانوا سمعوه من بعض السلف واقسموا عليه بتخليد ملكه في ان
يحدثهم بحديث كان اليه ينسب ، وقالوا هو من فم مولانا اطيب . فقال لهم
كلاما معناه ، لعل هذا الأستخبار عن شأن ابن عمار . قالوا : أجل . وطفقوا
يفدوناه بالأنف واكثروا في وداده من شرب الا كؤوس ، فأخبرهم أنه
كان أيام مقامه بشلب قد غلب ابن عمار على نفسه ، وأخذ بمجامع انسه ،
فأمسه واخذ عليه ، اذا دعا اصحابه أن يكون أول داخل وآخر خارج ،
ليأنس به ويتمتع بأدبه ، فيجده ينفر نفا العثار ويتسلل من مجلسه تسلل
الطريدة من يد الصائد . فلما ابى الا اطراداً عن اصله وطال عليه ذلك من
فعله ، تقدم الى اصحاب سدته ليلة في ترقبه ومنعه عن مذهبه ، وانذر
وتهدد وابرق في ذلك وارعد . وقام ابن عمار كما دته فلم يخفل المعتمد ليلته
بمكانه لما كان قد من شأنه . فلما انقض من كان عنده التمسه ففقده ، وطلبه
منتهى جهده فما وجد . واحضر من كان تقدم فيه ، فأخبر انه لم تقع له عين
عليه . فراه امره وخفي عنه سره ، فشره فيما بلغني سيفه واخذ الشمع بين
يديه ، وجعل يطلبه حيث يحسبه ولا يحسبه ، فلما انتهى الى بعض الدهاليس ،
اذا بحصير مطوى وابن عمار فيه اغمض من سرخفي ، عريان كالا فعوان .
فأمر بحمله وهو قد تعجب من فعله . فلما استقر بالمعتمد المجلس جعل
يبسط جانب ابن عمار ويؤنسه ، وابن عمار يبكي فيضحك ، ويشكو
فيشكك . فلما سكن قليلا وأفرخ روعه ورتى دمه ، سأله عن شأنه .

فاخبره أنه كلما كانت تأخذ منه الشمول يسمع كأن قائلاً يقول : يا مسكين
هذا يقتلك ولو بعد حين . كلاماً هذا معناه . فلا يزال يطلب الأئس بوسعه
فيبعد عليه ذلك ويمتنع حتى يصنع ما يصنع الى ان كان له معه الذي قد در (١)
هكذا يروي ابن بسام هذه الحكاية مستنداً على حديث للمعتمد مع
وزرائه . أما عبد الواحد المراكشي وهو أبعد عهداً عن عصر ابن عمار من
سلفه ، فقد رواها بشكل يختلف بعض الاختلاف عن رواية ابن بسام .
معمداً على حديث لابن عمار نفسه . قال المراكشي :

«وله معه (اى لابن عمار مع المعتمد) أيام كونها بشلب خبر عجيب .
وذلك ان المعتمد استدعا ليلة الى مجلس انسه ، على ما كانت العادة جارية
به ، الا انه في تلك الليلة زاد في التحفي به والبرله على المعتاد ، فلما جاء وقت
النوم أقسم المعتمد عليه : لتضعن رأسك معي على وساد واحد ! فكان
ذلك . قال ابن عمار فهتف بن هانف في النوم يقول ! « لا تغتر ايها المسكين
انه سيققتلك ولو بعد حين ! » قال : فانتبهت من نومي فرعاً ، وتعوذت ، ثم
عدت ، فهتف بن الهانف على حالته الاولى ، فانتبهت ، ثم عدت ، فسمعت
ثالثة ، فانتبهت ، فتجردت من اثوابي والتفتت في بعض الحصر ، وقصدت
دهليز القصر مستخفياً به ، حتى آتى البحر فاركبه واقتصد بلاد المدوة فاكون
في بعض جبال البربر حتى أموت . فانتبه المعتمد فافتقدني فلم يجدني . فامر
بطلي ، فطلبت له في نواحي القصر ، وخرج هو بنفسه يتوكأ على سيفه
والشمعة تحمل بين يديه ، فكان هو الذي وقع عليه ، وذلك أنه آتى دهليز
القصر يفتقد الباب هل فتح ، فوقف بازاء الحصير الذي كنت فيه ، فكانت

(١) الذخيرة ، ق ٣ ، ف ابن عمار

مني حركة فأحس بي وقال ما هذا يتحرك في هذا الحصار؟ ثم أمر به فنفض، فخرجت عرباناً ليس علي إلا السراويل. فلما رأني فأضت عيناه، دموعاً وقال: يا ابا بكر، ما الذي حملك على هذا؟ فلم ار بدأ من أن صدقته، فقصصت عليه قصتي من أولها إلى آخرها. فضحك وقال: يا ابا بكر اضغاث احلام، هذه آثار الحمار، ثم قال لي: وكيف اقتلك؟ أرايت أحداً يقتل نفسه؟ وهل انت عندى الاكفسي. فتشكر له ابن عمار ودعاه بطول البقاء...» (١).

ولا يهمننا الاختلاف بين الروايتين بقدر ما يهمننا اتفاقهما في وصف متانة عرى الصداقة بين الشاعر والمعتمد وشدة تعلق هذا الأخير بالأول مما سيكون له أكبر الاثر في حياته المقبلة.

وهكذا كانت حياة ابن عمار في شب، حياة كلها متعة وانس، وتترف وبذخ بين جدران قصور الاسراء حيث العيش فيها اشبه بالاساطير.

العودة الى اشبيلية

في عام ٤٥٠ هـ (١٠٥٨) قتل المعتضد ابنه اسماعيل لانهامه بالتآمر ضده ودعا ابنه الأمير محمد (المعتمد) حاكم شب ليحل محل ابنه القتل ولياً للعهد وحاجباً للخليفة هشام المزعوم (٢)، الذي اضطرنه ملوك بني عباد تبريرا لتسامهم مقاليد الحكم. وهكذا عاد الأمير الى اشبيلية يصحبه صديقه ابن عمار ليعيشافي بلاط المعتضد الملك المرعب.

(١) المعجب، ص ١١٧. الحجة السيرة، ف ابن عمار. بنو عباد، ج ١٢ ص ٩١١.

(٢) البيان المغرب، ج ١٣ ص ٣٤٨؛ المعجب ص ١٠٠.

ولسكن مقام الشاعر لم يطل من هذه المدينة إذ سرعان ما اضطر الى مغادرتها منفياً الى سر قسطة وشرق الاندلس . وقد ذكر ابن بسام في سبب هذا التفراق بين الصديقين أن ابن عمار « أرجس خيفة في نفسه من ابيه المعتضد ففر عن البلد ولحق بشرق الاندلس . . . (١) » اما عبد الواحد المرزا كشي فيتناول في سبب ذلك ان المعتمد « سلم اليه (اى الى ابن عمار) جميع اموره فغلب عليه ابن عمار غلبه شديدة ، وسامت السمعة عنها . . فاقتضى نظر المعتضد التفريق بينهما ففنى ابن عمار عن بلاده . . . (٢) .

وسواء أكان سبب ترك ابن عمار لاشبيلية خوفاً من بطش المعتضد ارضه منها ، فإنه لم يترك دون شك هذه المدينة وحياته الهائلة الرضية فيها ، مختاراً راضياً ، بل مكرهاً حزناً وخائفاً مترقباً . وواضح من قصائده التي نظمها بعد ذلك أنه لم يكن يستطيع الرجوع اليها دون الحصول على عفو الملك ورضاه .

ابن عمار في المنفى

عاد ابن عمار الى حياته الشاقة المتعبة ، تمسك بخناق الحاجة ويطارده الحرمان رغم رعاية المقتدر بن هود أمير سر قسطة له وعنايته به ، وطفق يتنقل بين هذه المدينة ومدن شمال شرقي الاندلس الأخرى ولا سيما لاردة حيث المستعين بن هود اكبر اولاد المقتدر ، دون كبير جدوى او نفع ، فقد كانت حياته عسيرة شقية تذكره دائماً بالايام السعيدة التي قضاه الى جانب صديقه في شلب وإشبيلية . لذا فقد كان هم الشاعر السعي بكل ما لديه

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، ف ١٠ ابن عمار

(٢) المعجب ، ص ١١٧

من وسائل واساليب للخطوة بعفو المعتضد والعودة الى إشبيلية مرتع احلامه
ومحط امانيه ، ولم تكن هذه الوسائل والاساليب تتمدى التوسل الى المعتضد
حينئذ والى ابنه الامير محمد حينئذ آخر والى هذا الصديق او ذلك ممن يتمتع
لدى ملك إشبيلية بخطوة وتأثير في اطوار اخرى . وهكذا كان بعد ابن
عمار عن إشبيلية وشوقه الشديد اليها مصدر إلهام مستمر ومبعث الهام شعري
دائم له مدة بقائه في هذه البلاد . فنترك لنا نخبه من خيره انتاجه الادبي
رغم أنه نزر قليل إذا ما قورن بالمدة الطويلة التي قضاه الشاعر في تلك الاصقاع
والتي يبدو أنها قاربت عشر سنوات .

إن ما لدينا من شعر ابن عمار الذي لا بد أن يكون قد نظم في هذه
الفترة لا يتجاوز في الواقع اربع قصائد ، واحدة كتبها الى المعتضد والثانية
ارسلها الى المعتمد والثالثة والرابعة ارسلها الى أبي الوليد بن زيدون
وزير المعتضد ومشارره الاول . وان كان هذه القصائد على قلتها نماذج قيمة
لاروع ما نظم ابن عمار من شعر وخير ما قدمه من مساهمة في التراث الأدبي
الأندلسي .

الطيمية

اما القصيدة الاولى قيمية (١) من البحر الطويل تشتمل على ثلاثة وتسعين
بيتاً ارسلها الشاعر من سرقسطه الى صديقه الأمير محمد (المعتمد) في إشبيلية
وضمنها كل ما كان يجول في نفسه من افكار وانطباعات ، وه يعتمل في قلبه
من مشاعر وعواطف واتصالات واحساسات ، كما سكب فيها كل ما يمتلك من

(١) ديوان قص ٩

مقدرة على نظم القصيد وبراعة في سبك الالفاظ ، حتى اتنا نستطيع اعتبارها النموذج الحى لشاعرية ابن عمار في وجوهها المختلفة ، فى قوتها وضعفها ، فى أصالتها ونكاتها ، فى تحليقها وهبوطها . إتنا نستطيع أن نكتشف خلال هذه الابيات الثلاثة والتسمين شاعراً مبدعاً جديراً بأن يحتل مكاناً احسن بكثير من هذا الذى يحتله الآن ، شاعراً يجمع بين غزارة الشعور وتدقيقه ، وتملك ناصية الصياغة الشعرية والضاعة الكلامية .

اما فاتحة هذه القصيدة فهى شكوى وتذمر ، ولكنها شكوى تحتفى فيها العواطف المتهبة خلف التكلف البيانى الواضح والتشبيهات المصطنعة التى تكاد تقرب من الابتذل ، بل وسكاد ابن عمار رد على قصيدة ابن زبدون اللامية المشهورة التى نظمها شاكياً مراره السجن وغنت الحياة وقسوة الدهر والتي قال فى مطلعها (١)

الم بأن أن يبكى الغمام على مثلى

ويطلب تأرى البرق منصلت المصل

وهلا اقامت انجم الليل مائماً

لتندب فى الآفاق ما ضاع من نبلى

فيقول (اي ابن عمار) :

علي والا ما بكاء الغمام

وفى والا ما نباح الحمام

(١) الاخيرة ، ق ، ج ، ١٦ ، ص ٢٧٣

وعني آثار الرعد صرخة طالب
لثأر وهز البرق صفحة صارم
وما لبست زهر النجوم حدادها
لغيري ولا قامت له في مآتم
وهل شققت هوج الرياح جيوبها
لغيري او حنت حنين الروام

ويستمر كذلك محاولاً تقليد الشعراء القدامى ، فيصف الخيل وسرعتها
الى أن يصل الى التحدث عن ذكرياته السابقة في إشبيلية وغلب ، فنلاحظ
آنذاك روحاً جديداً ابتداءً يسرى في القصيدة ، روحاً منشؤها الاخلاص
والصدق والمواطف الفياضة ، وقد مررت بعض هذه الأبيات عند حديثنا
عن حياة ابن عمار في شلب .

ينتقل الشاعر بعد ذلك الى ذكر حاله في سرقسطة ليتضح الفرق بين
الماضي السعيد والحاضر الشقي ، فهو يشكو من كل شيء : من صعوبة العيش ،
وجفاء الناس وجهلهم وما يحيط به من دسائس ونمام فيقول :

هو العيش لا ما أشتكيه من السرى
الى كل نفر أهل مثل طاسم
وصحبة قوم لم يهذب طباعهم
لقاء أديب او نوادر عالم

صماليك هاموا بالفلا فتدروا
جلود الأفاعي تحت بيض النعام
ندامي ولا غير السيوف أزاغري
لديهم ولا غير الغموم كما نمي
وما حال من ربته ارض أعارب
والقت به الافذار بين الأعاجم

ويغضب ابن بسام لتحامل الشاعر على اهل سر قسطة هذا التحامل العنيف
وهجوم هذا الهجاء المقذع فيقول : « وما ينقضي عجبى من ابن عمار أن
ينكر تلك الهية على اهل نجر ابناء قتلى وبقايا اسرى فما خلوا من غيبة من
النصارى اذ مسافة ما بينهم اقصر من ابهام الحبارى ، وبلدعم مجرعواليهم
وموقد صاليهم ونخفق اعلامهم ودرية سهامهم . (١) » ويستمر ابن
عمار قائلاً :

يقبح لي قوم مقامي عندهم
وقد رسفت رجل السرى في الادم
يقولون لي دع ايدي العيس انها
تؤدى الى ايدي الملوك الخضارم
فديتهم لم يبعثوا حرص عاجز
ولا نبهوا اذ نبهوا طرف نائم

(١) ابن بسام . الذخيرة . ٢٣ ، ف ابن عمار

ولم يكن لها الايام غير حوافس
نأرب اريب او حزامه حازم
وانى لأدعو لودعوت لسامع
وانى لأشكو لوشكوت لراحم
اريد حياة البين والبين قالمي
وارجو انتصار الدهر والدهر ظالمي

ثم يعود يبحث عن خلانه واصدقائه الذين يرجو منهم ان يقفوا الموقف
الذى يتطلبه الاخاء وتقتضيه الصداقة :

وبنيت اخوان الصفا . تغيروا
وذموا الرضى من عهدى المتقادم
لقد سخطوا ظالما على غير ساخط
عليهم ولا مورا ضلة غير لأم

ومع ذلك فان الذى يراود احلامه ويستهوئ خيالاته ، هو عفو المعتضد
ورضاء . عند ذلك فقط تبدأ حياته من جديد رضية مشرقة فيتمحى الماضي
بكل ما فيه من عنف وقسوة وآلام وتروى الضمائم من النفوس ويتسم
الدهر وتزهو الحياة :

ولو أن عفواً من هنالك زارني
لذرت وما عدو الزمان بدائم

أجر ذيول الليل سابعة الدجى
واركب ظهر العزم صعب الشكائم
فاورد ودى صافياً كل شارب
والبس حمدي ضافياً كل شائم
وأغضي لمن يلقي بوجه مكاره
حياءاً فألقاء بوجه مكارم
وما هو الاثم كف محمد
وتمكن كفى من نواصي المظالم
ان اتفقت لي فالعدو موافق
على كل حال والزمان مسالمي

بعد هذه الموضوعات الشخصية يفتقل الشاعر لمدهح الأمير محمد وإبيه
المتعضد فيطيل في ذلك كل الأطلالة ويفتنن في استعمال البديع والبيان وينغوص
خلف التشاويه النادرة والمجازات الغريبة فيستثير اعجاب نقاد عصره ومن
جاء بعدهم ممن اولعوا بالصنعة وشغفوا بتتميق الكلام . ولكن رغم
ذلك فأتنا نحس بلوعه الشاعر وتلهفه الى رضى الأمير ، نحس بشعور عميق
يحرك الشاعر ويدفعه الى التوسل والرجاء والاستعطاف ، بل وحتى الى
المبالغة في المديح . فيقول مقدماً قصيدته الى الامير محمد :

ابا القاسم اقبلها اليك فاعما
تناؤك مسكي والقوافي لطائمي

محملة عذراً فانك جملة
من الفضل لم استوفها بتراجم

فديتك ما حبل الرجاء على النوى
بواه ولا ربع الوفاء بقام

انا العبد في ثوب الخضوع لو اني
ارى البدر تاجي والنجوم خواتمي

وما عز في الدنيا طلاب لما جد
ولا اعتاص في الايام ورد لحام

ولسكن ذاك الظل اندى غضارة
لضاح وذاك البرق اوفى لشم

وانى - اذا انصفت، بعدك خادم
لدهرى وكان الدهر عندك خادمي

الى أن يقول :

وتقت بحظي منك لم اخش نبوة
عليك وأرم بالظنون الرواجم

ولو نهضت بي قدرة كل ساعة
لأديت من تقبيل كفك لازمي

لعل الذي أقضى بترحة راحل
 عيوناً سيجلوها بفرحة قادم
 فترجع أيام مضت وكأنها
 إذا امتثلتها النفس لذة حالم

ثم ينهي الشاعر قصيدته متمنياً للأمر السعادة والهناء وطول البقاء .
 لقد حظيت هذه القصيدة كما مررنا بمحاجب أهل عصر الشاعر وتقاده فاطنوا
 في أطرافها ومدحها واقتباس ما جاء فيها من المعاني والافكار والتشبيهات
 حتى ان ابن بسام يقول « اما معاني هذه القصيدة فحجة مسلوكة ومضغة
 ملوكة . قد كثرت مجاذب الشعراء أهدابها وقرعوا بابها حتى صارت كالجمل
 المذلل والمهبوع من السبل ... (١) ويذكر بعض مؤرخي الأدب الاندلسي
 كمعبد الواحد المراكشي (٢) أن ابن عمار نظم هذه القصيدة في سرقسطة
 وأرسلها من هناك الى الأمير محمد بن عمار ، الا أن ابن الأبار يذكر (٣)
 أن الشاعر كان في لاردة في شرق الاندلس حين نظم قصيدته هذه وارسلها
 لصديقه من تلك المدينة . رسوا . أصبح هذا القول ام ذلك فان من الواضح أن
 ابن عمار نظم قصيدته بمد مفارقتة لاشبيلية اثناء حكم المعتضد وأنه كان
 لا يزال قريب عهد بحياته السعيدة التي قضاها هناك .

أما القصيدة الثانية التي نظمها في هذه الفترة فلدينا منها ابيات غزلية
 لا بد ان تكون فاتحة قصيدة طويلة ارسلها الى المعتضد من منفاه . واهمية
 هذه الايات التي لدينا تنحصر في كونها خير نموذج لغزل ابن عمار

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابن عمار .

(٢) المراكشي ، المعجب من ١١١ .

(٣) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ف ابن عمار .

والأسلوبه في وصف مشاعر الحب والصبابة، وهو أسلوب قد يرضى تقاد
عصر الشاعر ولكنه بعيد جداً عن أن يحدث هذا الاثر في نفوس من
لا يكتفون بالتنميق اللفظي والعبث البياني والمبالغة المعلة، بل يبحثون عن
العواطف العميقة والتحسس النقي، يقول في مطلع هذه الايات (١)

جاء الهوى - فاستشعروه - عاره

ونصيه - فاستعذبوه - أواره

قالوا اضربك الهوى فاجبتهم

ياحبذاه وحبذا أضراره

الى ان يقول واصفاً حبيبه:

من قد قلبي اذ تنثى قدده

واقام عذرى اذ اطل عذاره

أم من طوى الصبح المنير نقابه

واحاط بالليل البوم خماره

غصن وانكن النفوس رياضه

رشاً وانكرن القلوب عراره

سخرت بيدر الهم غرته كما

أزرت على آفاقه اززاره

أتحسس في هذه الطباقات المتكافئه والجناسات المصطنعه أى أثر للشعور

(١) انظر ديوان قصص ١٠٠ .

الحى والاحساس العميق ؟ كلاطبعاً . . . إن هذه الظاهرة لدى كثير من الشعراء المتمكنين من النظم لتجلب اليها الانتباه . فما نعرفه عن ابن عمار يدل على انه كان منهمكاً باللذات مفرماً بالنساء ، حساساً تجاه الغلمان ، فلم لا ينعكس هذا الميل فى الشعر ؟! .. فنحن لانكاد نلحظ فى الشعر الذى نظمه الشاعر فى هذه المناسبات سوى معان مبتذلة وافكار اخلقها الشعراء اعادة وتكراراً . أفنستطيع القول إن ابتذال المرأة نفسها فى الاوساط الارستقراطية الاسلامية افقدها أثرها الروحى وجعل منها أداة للعبث واللعب والتمتع ؟ وهل يمكن ان تكون المرأة مصدر وحي والهام اذا لم تكن ذات منزلة رفيعة فى نفس الشاعر وموضع احترامه وتقديره ؟!

وعلى كل حال فما لنا نطلب من ابن عمار أن يخلص ويبدع وهو لم ينظم هذه الايات تفضلاً بحسنا ، او شوقاً الى جيب وانما اتخذها وسيلة يبدأ بها قصيدته لينتقل بعد ذلك الى غرضه الاصيل وهو الاعراب عن شوقه الشديد لاشبيلية ومدحه لمليكنها المعتضد عباد حيث يقول :

فوحسنه لقد انتدبت لوصفه

بالبخل لولا ان حمصاً داره

بلد رمتني بالمنى اغصانه

وتصجرت لي بالندى انهاره

بلدتمى أذكره هيج لوعتي

واذا قدحت الزند طار شراره

اما القصيدتان الاخيرتان اللتان لدينا من هذه الحقبة فقد ارسلها

الشاعر الى الوزير أبي الوليد بن زيدون الشاعر المعروف مستشار المعتضد الاول
ويده اليمنى . والقصيدتان تمثلان نموذجاً رائعاً من ادب الرسائل الشعرية .
فاما اولاهما فهي بائنة من البحر الطويل لدينا منها اثنا عشر بيتاً ، مطلعها (١)

تأملت منك البدر في ليلة الخطب

ونلت لديك الخصب في زمن الجذب

يقول فيها معاتباً صديقه القديم :

أحين سقى صوب اعتنائك ساحتي

فنعمها واهتز روضي في تربي

ننيت لعطف قد ننتيت مدانحي

عليه وسرب قد بدلت به سربي

أما انه لولا عوارضك التي

جرت في جرى الماء في الغصن الرطب

لما ذدت طير الود عن شجر القلي

ولا صنت وجه الحمد عن كلف العتب

والكن سأكني بالوفاء عن الجفا

وأرضي ببعده بعد ما كان من قربي

وان لفحتني من سمائك حرجف

سأهتف يا برد النسيم على قلبي

(١) ديوان، قص ٨

وإني إذا قلدت جاهك مطلبي
واخفقت فيه قلت يازمني حسي
أبظلم في عيني كذا قر الدجى
وتذبو بكفى شفرة الصارم العضب

وأما ثانيتهما فهي لامية من البحر الكامل المجزوء، فيها من الابداع
الشعري ما بلغت النظر ويحلب الانتباه، مطلعها (١) : (م)

كيف اعززت على الدليل
وقطعت أسباب الوصول

وفي الفصيحة عتاب مهير وشكوى قارصة من موقف ابن زيدون تجاه
صديقه القديم رغم ما يجمعهما من ذكريات وما تعتما به مشتركين من سويحات .

(م) أبرزت في خلق السكريد ...

م وراه خلق البخيل

(م) ودعوتى حتى أجب ..

.. تك ثم حدث عن السبيل

(م) جد بالقليل فان تف ..

سي منك تقنع بالقليل

(م) واذكر على زمن قطع

نناه بصافية شمول

(١) ديوان فوس ١١ . الذخيرة ، ج ١ ، ١١ ، ٣٧٣

اذ نسحب الاذيال ما
بين الخليج الى النخيل

(م) ونحل من سيف الغديب ..
ر بقبة الظل الظليل

والروض ممطور تم
عليه أنفاس القبول

(م) والشمس ترمقنا خلال
الغيم عن طرف كليل

أبان يحدو الرعد من
ورق السحاب كالجمول

(م) ويهز كف البرق في
الآفاق مرهفة النصول

(م) زمن ستبكيه الحمام
معي وتذهل عن هديل

يا برق أد رسالتى
تفديك نفسى من رسول

عرج بشلب محيياً
ماشتت من تلك الطلول

واطلع على شرفات همم
قرارة الشرف الاثيل
فاذا اجتلاك ابو الوليد
بناظر اليقظ النبيل
فاقرأ من قلبي سلاماً
يقتضى حسن القبول

ثم يمضي الشاعر بعد ذلك في مدح الوزير طالباً منه الشفاعة لدى الملك
المرب:

إشفع عنایتك الجليلة
لي لدى الملك الجليل (م)

وعاقداً أمله كله عليه .

وواضح أن في هذه الايات غير قوة التركيب ومثاته التعبير شيئاً آخر
يتفجر من الالفاظ فينغذ الى النفوس ، شيئاً نستطيع أن نقول إنه جزء من
نفس الشاعر نوح في أن ينزعه انتزاعاً ويصله باحساسنا ، ف شعرنا به دون
أن نستطيع تمييزه بوضوح .

هذا كل ما لدينا من شعر ابن عمار في هذه الحقبة العسيرة من حياته التي
قضاهها منفياً في سرقسطة وشمال شرقي الاندلس . إن مؤرخي الأدب الذين
عنوا بأخبار الشاعر لم يحددوا لنا بدايتها ، فكل ما نعرفه عن ذلك ، هو

أن ابن عمار نفي من إشبيلية كما ذكرنا بعد رجوع الامير محمد (المعتمد)
اليها عام ٤٥٠ بفترة من الزمن لاسبيل الى تحديد ما اعتاداً على ما لدينا من
أخبار . ولكن الشيء الذي اتفق عليه هؤلاء المؤرخون ، أن هذه الحقبة
المريرة من حياة الشاعر انتهت بوفاة المعتضد عام ٤١٠ هـ (١٠٦٩ م) وبحي
ابنه المعتمد على عرش إشبيلية . إذ سرعان ما استدعى ابن عمار من منفاه
ليحتل قرب الملك الجديد أعلى الراتب وأسمى المناصب

ابن عمار في أثناء حكم المعتمد بن عباد

لقد أحدث مجيء المعتمد الى العرش تحولاً خطيراً في حياة ابن عمار . فلم يعد ذلك الشاعر الأفاق الذي يمشى من إحسان الآخرين وعطفهم ، ولا ذلك الذي يتمد في حياته على رضى وارتياح كبار رجال عصره الذين سخر كل مواهبه ، ولا سيما شعره ، لخدمة أغراضهم والاستجابة لأهوائهم . لم يعد ذلك الشاعر البسيط ذا الأصل المغمور والمزلة التافهة والمكانة المزدرة ، وإنما أصبح شخصاً آخر يختلف كبير الاختلاف عن سابقه ، فقد استبدل بمهنته مهنة أخرى أسمى مركزاً وأعلى مقاماً ، واتخذ لنفسه ، بدل طبقة الوائجة طبقة أخرى أرفع جاهاً وأبهى حياة . لقد أصبح من خاصة الاشراف بكل ما يتطلبه الانتساب لهذه الطبقة من ترف وبذخ وحياة ناعمة ومشاعر خاصة . لقد أصبح رجل دولة وقابضاً على زمام حكم ، مع جميع ما تقتضيه هذه الرتبة من غنى وقوة ونفوذ . وأما الشعر فلم يعد وسيلة الأصيل للعيش ، وإنما حلية وزينة تتطلبها مقتضيات الحياة الأرستقراطية ومركزه الاجتماعى الجديد .

إنه لما يبعث العجب أن نلاحظ الى اى مدى هائل أثر تبدل طبقة ابن عمار ، أى تبدل حالته الاقتصادية ومزنته الاجتماعية في شعره . ولو أن ذلك لا يعنى أنه قطع صلته بماضيه ، بل على العكس من ذلك فقد بقي لأيامه

الماضية اثرها الكبير في حياته السياسية والأدبية . وسرى الشواهد على ذلك حينما نستعرض نشاطه السياسي والأدبي .

أبن عمار السياسي

لقد كان من ألمع شخصيات عصره السياسية ، بل إنه نموذج فريد من نماذج الساسة في العصور الإسلامية المختلفة ، يستحق منا كل عناية واهتمام . وقد كان لحياته الأولى ونشأته أثر واضح في سعة معرفته بالعصرالذين يعيش فيه والناس الذين يخاطبهم . وها نحن نحاول في السطور القادمة إيضاح الخطوط الأساسية في سلوكه السياسي قبل أن نتطرق الى أعماله السياسية التي هزت إسبانيا المسلمة طيلة تسلمه مقاليد الوزارة في إشبيلية .

لقد كان همهم الأول في هذا الميدان هو احتكار صداقة الأمير - إذا صح هذا التعبير - وتقوية نفوذه لديه (١) إلى أن شهد في نفسه القوة على العمل لحسابه الخاص والاستغناء عن سيده . ولم تكن الجهود التي بذلها للوصول الى هدفه هذا صعبة التحقيق ، إذ لم يكن أمامه عند رجوعه الى إشبيلية سوى أبى الوليد بن زيدون وزير المعتضد . ولدى المؤرخين الأندلسيين إشارات عديدة الى الشعور غير الودي الذي كان يعتل في نفس ابن عمار تجاه وزير دولة بني عباد المتنفذ ، والى المحاولات المختلفة التي قام بها للتخلص من غريمه . وقد نجح أخيراً في مساعاه عندما أقتع المعتمد برسالة ابن زيدون من قرطبة الى إشبيلية لاختتام ثورة قامت ضد اليهود هناك . ولم تكن حال ابن زيدون الصحية لتسمح له بتحمل مشقات السفر ومتاعبه فما كانت تمر بضعة أيام على وصوله الى إشبيلية حتى لفظ أنفاسه الأخيرة في عام ٤٦٣ هـ

(١) الذخيرة ، ٢ ق ، ف ابن عمار . ابو الوليد بن المصعبى .

لقد بقي ابن عمار صاحب الفوذ الأوحـد تقريباً على المعتمد ، مبعداً عنه كل من لا يرغب فيه . وقد قلنا تقريباً ، لأن شخصية اخرى في حياة الملك لم تكن قليلة لتأثير فيه حتى آخر أيام حياته ، ونقصد بها اعتماد الرميكية زوجة المعتمد الحسناء ، التي كان قد التقى بها على شاطئ الوادي الكبير في صرح النضة في ضواحي إشبيلية ، فتمت بحالها وشغف بها حباً ، فأشترها من سيدها رميك بن الحجاج وتزوج بها . لقد كانت الشخص الوحيد الذي شارك المعتمد في سرائه وضرائه حتى نهاية حياته في منفاه الدائسي .

إن ما نعرفه عن علاقة ابن عمار باعتماد يشير الى أن الشاعر كان مع المعتمد حين التقى بهذه الجارية الحسناء ، كما نعلم ايضاً أنها كانت عدوته اللدود في آخر حياته ، بل إنها كانت سبباً رئيساً من اسباب القضاء عليه . ويذكر المؤرخون الاندلسيون أن سبب هذا العداء العنيف هو قصيدة نظمها ابن عمار في هجاء المعتمد (٢) وكان لا اعتماد فيها من هذا الهجاء أو في نصيب .
حيث قال :

(م) تخيرتها من بنات الهجان
رميكية ما تساوى عقالا

(م) فجاءت بكل قصير العذا
.. رثيم النجارين عمماً وخالا

(١) الذخيرة ج ١ ، ص ٣٥٥ . عبد السلام الطود ، بنو عباد ، ص ١٤٢ .

(٢) انظر الديوان ، قص ٥٩ .

بصفر الوجوه كأن استها
رمام فجاءوا حيارى كسالا

ولسكن ، لنا أن نتساءل ، أكان ابن عمار يصل في الاقذاع الى هذا الحد لو لم يكن العداء بينها مستحكما منذ أمد طويل ؟! من الواضح أن كرهاً متبادلاً كان متغلغلاً في نفسيهما قبل ذلك بوقت ليس بالقصير ، أي في أثناء مقام ابن عمار في إشبيلية وهو في قمة مجده وعنفوان نفوذه ، وإلا لما اختارها ليصب عليها جام غضبه ويوجه اليها أفدع شتائم . ولا نريد أن نزعّم أن صداقة العتمد الشديدة لابن عمار أنارت غيره اعتماد فليس بين أيدينا من المعلومات ما يثبت ذلك ، الا أننا لانريد ايضاً ان نتناقل تماماً عن وجود أثر لعلاقة الملك بوزيره على علاقة زوجته به وشعورها نحوه وسلوكها تجاهه .

لقد استطاع ابن عمار أن يزجج من طريقه جميع منافسيه عدا اعتماد التي بقيت عدواً خطراً لم بكل عن محاربتة حتى قاده الى حتفه .

أما في ميدان السياسة العامة فقد كان ابن عمار يمثل اتجاهاً مهماً جداً في سياسة ملوك الطوائف في إسبانيا المسلمة آنذاك . لقد كان لا بد للسياسة المسلمين في تلك الفترة المضطربة من التأرجح الأندلسي أن يختاروا - كما اعتقد - واحداً من هذه الخطوط السياسية الرئيسة الثلاثة ، متخذين مصالح دويلاتهم التي تكون جزءاً لا يتجزأ من مصالحهم الشخصية قاعدة لسياستهم .

اولاً : سياسة إسلامية . باعتبار أن مصلحة دويلاتهم مرتبطة بمصلحة

الاسلام ، وعقدئذ لا بد لهم أن يضعوا نصب أعينهم توسيع نفوذ الاسلام ومحاربة المسيحيين ، وتضحية جميع الأهداف الثانوية الاخرى في سبيل هذه الغاية النبيلة السامية العليا . ولسنا الآن بصدد بحث إمكان تطبيق مثل هذه السياسة آنذاك ، ولكن ما نستطيع قوله ، هو أن أنصارها لم يكونوا كثيرى العدد بين الساسة الاندلسيين في حياة ابن عمار ، ولم يكن لهم تأثيرهم في حياة البلاد السياسية آنذاك . وعلى كل حال ، فلم تكن هذه السياسة مطلقاً سياسة ابن عمار .

ثانياً : سياسة مساومة وحفظ للتوازن . وذلك بقبول الحال الموجودة والمحافظة بكل الوسائل على التوازن السياسى ، والتشبث بفكرة التعايش السلمى بين جميع دول الطوائف . وربما كانت اسباب إتباع سياسة مثل هذه ، هي الضعف ، او عدم التمكن من عمل غير ذلك ، او الاكتفاء بالوضع القائم . وقد كان أنصار هذه السياسة عديدين بين حكام المقاطعات الصغيرة والحصون المستقلة القائمة هنا وهناك في أطرافها . وقد اتبعت في حياة ابن عمار السياسية بشكل يختلف قوة وضعفاً من قبل بنى الألفطس أمراء بطليوس ، وبنى زبرى أمراء غرناطة وبنى عامر أمراء بلنسية وبنى طاهر أمراء مرسية . الخ . ولكن تزايد خطر المسيحيين في الشمال في أواخر هذه الفترة وضع ملوك الطوائف امام ظروف جديدة تفرض عليهم تبديل سياستهم والاتجاه نحو سياسة تقارب في مظهرها السياسية الاسلامية التي مر ذكرها ، وستحدث عن ذلك في حينه . إلا أن سياسته التعايش السلمى هذه لم تكن هي ابدأ

سياسة ابن عمار .

ثالثاً : سياسة توسع وطموح ، تهدف الى توسيع رقعة المملكة بكل الوسائل الممكنة ، سواء أكان ذلك عن طريق الحرب او المؤامرات او الشراء او المعاهدات الخ ... وقد كانت أهم الدويلات التي اتبعت هذه السياسة بوضوح ممالك بني عباد في إشبيلية ، وبنى ذى النون في طليطلة . وبنى هود في سرقسطة . وكانت قوة هذه الدويلات النسبية حافزاً مهماً دفع رؤسائها الى اتباع هذه السياسة .

ولكن هذه الامارات لم تكن مع ذلك على مبلغ من القوة بحيث تستطيع الدفاع عن نفسها تجاه الأمراء المسيحيين الاقوياء من جهة : والتوجه نحو التوسع والفتح ومهاجمة الحصون القوية والمدن المنيعه التابعة للدويلات الاخرى من الجهة الثانية . فليس هناك اذن سوى سبيل واحد لاتباع مثل هذه السياسة ، وذلك بضمان صداقة الدويلات المسيحية الشمالية بالتنازل لرغباتها وشروطها ، بل وبانتعاش معها إذ اقتضى الامر . وقد كانت شروط الدول المسيحية ومتطلباتها الثقيلة سبباً مهماً من أسباب تحديد نطاق مثل هذه السياسة . ومع ذلك فقد كان ابن عمار بطلها الأول في أقصى حدودها واوضح مظاهرها .

ولا شك أن اتجاه ابن عمار نحو هذه السياسة وتشبثه بها كان مرجعه الى معرفته التامة بحال الملوك الاندلسيين ، هذه المعرفة التي اكتسبها من سفراته الطويلة وتجاربه الكثيرة والتي أملت عليه موقفه تجاه

الملوك المسيحيين عموماً ونجاء الفونس السادس على وجه الخصوص .
كان أبو بكر يعرف ضعف ملوك الطوائف المسلمين ويدرك قوة
ملك قشتالة النامية ، لذا وجه همه الى توثيق الروابط وتقوية الصلة بهذا
الاخير . فقد كان الفونس السادس في الواقع الحكم الوحيد القادر على
فرض وجهة نظره في النزاع المرير القائم بين الأمراء المسلمين ، فالجميع يدفعون
له الأناوات ويستميحونه الرضى والعطف ليتجنبوا هجماته ويحفظوا بصدافته .
ويبدو واضحاً من أقوال المؤرخين المسلمين أن ابن عمار كان يوجه عناية خاصة لأرضاء
الملك المسيحي واكتساب وده وأن جهوده هذه آتت ثمارها وعادت
عليه بنتائج لم يستطع نيلها غيره من ساسة المسلمين . فقد ذهب لزيارة
الملك مرات عديدة ، آتارسولا للمعتمد وطوراً بصفته الشخصية ، حتى
أن بعض المؤرخين ليقول ، إنه كان موضع إعجاب الملك وتقديره (١) ، بل
من المحتمل جداً أن لا يكون ابن عمار قد تمرد على المعتمد دون رضى الفونس
السادس وتشجيعه أو على الأقل ، دون مشورته . وروى ابو الطاهر
اليميني في هذا الموضوع أن الفونس السادس اهدى لابن عمار بعد احتلاله
لمرسية التي تمرد فيها ، وطرده لابن طاهر كما سيأتى ذكره ، خاتماً ، فلما سمع
هذا الاخير بذلك قال متهمكاً « أخاتم التأمر أم التأمين » فغضب ابن عمار عند سماعه
بذلك وهدده بقصيدة قال فيها (٢)

(١) المعجب ، ص ١١٩ .

(٢) بنو عباد ج ٢ ، ص ٩٨ . الحله السيراء ، ف . ابن عمار ، الديوان ، ص

بلغت دمايتك التي أهديتها
في خاتم التأمين والتأمين

ولا فريد أن نحمل هذه الحكاية أكثر مما تتحمله ، إلا أنها اذا اضيفت الى القرائن الأخرى التي لدينا عن علاقة ابن عمار بملك قشتاله ، فإنها توضح لنا دون شك جانباً من سياسة الوزير الأندلسي ، وتشعر بوجود علاقة خاصة بينها دفعت ابن خاقان الى وصف ابن عمار بالتبعية الألفونس ، اذ قال « واصطفاه العدو فاتق به السكون والهدوء ، وتمالك فيه كلناً وهياماً وامطره من الحظوة غماماً ، واهتصر منه موادة وائتلافاً ، استدر بها ملوك أوانه أخلاقاً ، فارتاعت منه الأقطار وطاعت له اللبانات والأوطار... » (١) . وأشار الى مثل هذا الرأي عبد الله بن زيرى ملك غرناطة في مذكراته التي نشرها ليفي بروفنسال في مجلة « الاندلس » (٢) الاسبانية ، واعطى أمثالا عديدة على الخدمات التي قام بها ابن عمار للملك المسيحي .

فقال مانصه « ولأنه (اى ابن عمار) قد استمال التنصاري واندخل معهم بحيلة فتى مادهمه أمر من قبلهم وجهه (اى المعتمد) اليهم فيجلى من امرهم ما يضييق الصدر به الخ... » .

إن من الطبيعي أن نعتقد أن علاقة الفونس بالوزير الأندلسي لم تكن نتيجة اعجاب شخصي وحب برىء ، وإنما كانت قائمة على اساس من المصالح

(١) فلاند البقيان ، ص ٨٦ .

(٢) مجلة الاندلس ، ١٩٣٥ ، ص ٣٢٤ .

المشتركة ، لذا نرى ملك قشتالة ينفذ يديه من نصرة ابن عمار بعد هروبه من مرسية ، كما سيأتي ذكره ، عندما لا يجد في هذا الأخير ما يغني أو يضمن من جوع . إلا أن هذا لا ينبغي بعد نظر ابن عمار ، ودقة حسابه في التمسك بصداقة الفونس السادس وتوثيق الروابط معه لتحقيق أهدافه التي لم تكن ، كما أوضحنا ، تتجاوز توسيع رقعة نفوذه وضرب منافسيه .

فبناء على ما مر اذن ، نستطيع القول إنه بالإضافة الى اسلوب ابن عمار الأول في العمل السياسي ، ونقصه به احتكار صداقه ملك إشبيلية ، كان همه الثاني ، توثيق الروابط مع الفونس وتقوية الصلات به وجلب رضاه إذ كان لا بد له من ذلك لكي يحقق مشاريعه ويطبق خطته وينفذ سياسته .

ونستطيع أن نضيف الى ما مر من أساليب ابن عمار شيئاً آخر حرص على التزامه والتمسك به ، وهو تقوية صلاته بالشخصيات الأندلسية وحرصه على ارضائها بمختلف الأساليب والطرق ، ونظرة سريعة على ما لدينا من إنتاجه الأدبي (١) خلال مدة وزارته يدلنا بوضوح على كثرة علاقاته وتعدد اتصالاته بها . ولكن محاولة ابن عمار لتحقيق هذا الهدف لا يعنى بأي حال من الأحوال ، أنه كان ناجحاً في ذلك ، كما لا يعنى أنه كان مخلصاً في علاقاته وفيما لصداقته : فالظاهرة الواضحة في هذه العلاقات أنها تبدأ قوية عميقة لتنتهي بعماء شديد وحمم متبادل عميق . لقد كان

(١) انظر الديوان ، قصص ٥١٤٣ ، ٤٦٤ ، ٤٨١ ، ٤٩١ ، ٥٧٢

ابن عمار «وصولياً» - اذا اصح هذه التعبير - مع أخلص اصدقائه . فقد خان المعتمد صديقه وولى نعمته ، واستغل ضعف ابن طاهر ، رغم ما بينهما من علاقات وثيقة ، ليوقع به . كما لم يسلم من لسانه السليط امير بلنسبة عبد العزيز ابن أبي عامر (١) . والمعتمد بن صامح اميردانيه نفسه ، الذى كانت تربطه بالشاعر اوثق الصلات ، غضب عليه واستنكر اعماله (٢) . وسرى انه أساء فى استعمال علاقته ببعض قواد الحصون ، فاستغل ثقتهم به ليقتله ويذترع قلعتهم . كما حاول أن يفعل الفعل نفسه مع بنى سهيل حكام حصن شقورة ففشل فى ذلك ووقع فى الفخ الذى نصبه لغيره حيث آل الامر به الى السجن ، فتلنت يبحث عبثاً عن صديق ينتشله من وهدهته ، فلم تصطدم عيناه بغير الشهامة والسخرية ، ولم ير سوى أعداء يتحينون له الفرص ويتمنون هلاكه .

قدييدو للقارىء بعض التناقض فيما قلناه عن محاولة ابن عمار كسب الأصدقاء وما ذكرنا عن كثرة أعدائه . والواقع ان محاولات ابن عمار كانت قليلة الأعمار ، وان اثمرت فان ثمارها آنية وقتية ، سرعان ما تجف ويشخر فيها الفساد ، إذ لم يكن الاخلاص مما ينسجم وسياسة ابن عمار واهدافه فقد كان ابو بكر رغم ذلكائه مندفعاً تعميه المطامع ويمتلك عليه نفسه حب السلطان ، فلم يكن فى حال يستطيع معها تحقيق غايته هذه فى

(١) انظر الديوان ، قص ٥٨

(٢) « « « ٥١٤

ميدان العلاقات الشخصية اذ لم تكن هذه الغاية نفسها سوى وسيلة لتحقيق غاية اخرى اكبر منها وهي تحقيق مطامعه . ولا بد من الإشارة هنا الى ان ابن عمار لم يقصر جهوده على الخطوة بصداقة الحكام والامراء ، وانما توجه الى كل من وجد في علاقته به فائدة وفعماً ، فوزع الهدايا وأغدق الاموال عند قدومه الى شلب والياً عليها وعند احتلاله لمرسية بعد خروج ابن طاهر منها ، وكان يهدف من كل ذلك الى الحصول على رضی الناس وتقريبهم اليه . وسياسة ابن عمار هذه التي حاولنا رسم خطوطها الاساسية العامة ، كانت مستوحاة من معرفته العميقة بحال الساميين في إسبانيا آنذاك . لقد كانت مستندة إلى ضرورة توسيع مملكة إشبيلية مع الحصول على رضی الملوك المسيحيين والتعاون معهم لتحقيق ذلك . وقد بدأنا واضحا أن هذه الغاية نفسها لم تكن هي آخر ما يطمح به ابن عمار ، بل كان طموحه يتجاوز ذلك ويجول حول شخصه ومصالحه الخاصة ، كما سنرى من تسلسل الحوادث . لذا نزاه أول من ازدري مصلحة مملكة إشبيلية وتمرد على أميرها المعتمد صديقه الحميم سابقاً ، عندما تهيأت له الفرصة وخلالها الجو .

ومع ذلك ، فإتينا ، رغم نهاية ابن عمار المفجعة ، لانستطيع أن نقول إنه قد فشل فشلاً تاماً في تحقيق غايته وتنفيذ مطامحه ، فقد كان اسمه يتردد في جوانب إسبانيا المساعة فيبعث الرعب والهلح في نفوس ملوك طوائفها وأمراء حصونها وقلاعها (١) . وكان نفوذه في إشبيلية لا يكاد يقل عن نفوذ الملك نفسه . واسكن طموحه الشديد وتعمد مشاكل تلك الفترة ،

(١) انظر فلاحه العبدان ، ص ٨٦ .

بل وربما مساعدة الفونس السادس له ، منعه من إدراك عواقب أعماله
والتنبؤ بمصيره . كما لا بد من الإشارة الى أن اعنف ضربة وجهت له لم
تأت من اعدائه وانما من اتباعه ومساعديه كما سنرى بعد قليل .

إذن فنستطيع القول إن ابن عمار كان مدركاً لكل الادراك لأهدافه
وللاسايب التي يستعملها لتحقيق هذه الاهداف . ولسكن اسبانيا المسلمة لم
تكن في حال يمكن فيها وضع خطة دقيقة مضمونة النتائج متمسرة التطبيق ،
أيا كان واضعها . فقد كانت النزاع محتدماً بين رؤساء المسلمين وامرائهم ،
والشك المتبادل ، الذي كان يزيد فيه شعورهم بالضعف والخور ، وفقدانهم
لأساس شرعي لسلطتهم يقربهم من رعاياهم ، أقول إن هذا الشك زاد في
تعقيد الحالة السياسية وشجع الغامرين من أمثال ابن عمار على إدلاء دلوهم
بين الدلاء وتجريب حظهم في المعركة . لقد كان هؤلاء الغامرون منتشرين
آنذاك في كل جوانب الاندلس ولا سيما في بلاطات الملوك وقصور الامراء
يتلمذون بانتظار فرصة سانحة وصفقة رابحة واقمة سائفة . وكان محتدماً
بينهم ، دون رحمة ولا شفقة ، نزاع مرر ترتبت عليه أفظع النتائج ، لاسيما
في حكم المعتضد وأبيه ، فقد صنع الأواحدية ملاًها برؤوس ضحاياها الذين
كان بينهم شدد غير قليل من وزرائه واعوانه (١) . ولم يكن أبو القاسم
أبو القاسم بن عباد بأكثر رحمة منه (٢) . أما في زمن المعتمد فقد استتب

(١) الفخيرة ق ٢ ، ف المعتضد .

(٢) - - - - - القاسم ابو القاسم بن عباد .

الأمر في المملكة لبني عباد واستطاع وزيرهم ابن عمار ان يقبض على زمام الامور بيد من حديد، فبدأ الحال اكثر هدوءاً داخلها واكل اضطراباً. فقد اختفى منافسو الوزير الشاعر خوفاً من بطشه وإدراكاً لقوة نفوذه منتظرين الفرصة السانحة لئيل منه. ومع ان هذه الحال المضطربة قد اوقمت ابن عمار ومنعته من مواصلة طريقه الشائك، فانها فسحت له المجال لاجتياز جزء مهم منه. ولم تكن نهاية الامراء الاندلسيين الآخرين بأسعد من نهايته على وجه الخصوص. فقد ذهب بعضهم كبني ذي النون وبني هود ضحية للعالم المسيحيين. وسقط الآخرون صرعى تحت سيوف المرابطين كبني عباد وبني الافطس وبني صامح، وفريق آخر كبني جهور وبني طاهر كانوا فرائس سهلة لجيرانهم الاقوياء وضحية نزاعهم مع بعضهم البعض. هذه هي الخطوط الرئيسية لنشاط ابن عمار السياسي وحياته الحافلة بالمطامع والاعمال والتنمّل والتعطش للسيطرة والسلطان.

ابن عمار حاكماً لشلب

ما ان طار ابن عمار من سر قسطة إلى اشبيلية وابتدأ حياته قرب المعتمد حتى بدأ نشاطه السياسي بأن طلب من صديقه الملك تعيينه حاكماً لمدينة شلب التي نشأ فيها (١). فقصدتها في موكب كبير مثقلاً بالهدايا التي وزعها على كل من رأى في اعطائه فائدة وجدوى. يجذب بذلك قلوب الناس

(١) المعجب، ص ١١٨

ويستميلهم نحوه ، فقد سبق أن ذكرنا أن هذه وسيلة من وسائل ابن عمار
واسلوب من أساليب عمله السياسي .

كما أشرنا أن كرمه امتد إلى من سبق أن اعطاه مخلاة شعير في أيامه
العسيرة فلأها بالفضة ، ولكنه كما يبدو لم يبق طويلا في شلب ، إذ
سرعان ماترك مدينته وتوجه إلى إشبيلية حيث تولى وزارة المعتمد الاولي
وبقي فيها يدير شؤون الدولة ، فيدير المكائد ويحوك الشباك حتى ضج
الأمراء منه وخافوا شره (١) ، اذ كما يقول ابن خاقان «فارتاعت منه الاقطار
وطاعتها اللبانت والأوطار» (٢) . حتى كان عام ٤٧٤ هـ (١٠٨٢-١٠٨٣ م)
فسافر في رحلة الى مرسية لم يمد يدها الى إشبيلية الا مكبلا بالحديد على
عمار بين عدلي تبين .

وقد عال المؤرخون العرب وتأبيهم في ذلك دورى عودة ابن عمار
السريعة الى عاصمة الملك بشوق العتد وتعلقه بصديقه وعدم استطاعته
الابتعاد عنه وتعليل عاطفي مثل هذا لا يمكن أن يبرر عودة الشاعر الغامر
الطموح ، رغم ما عرفه عن صداقته الملك إشبيلية وقوة ارباط التي تصله
به . فقد كان المعتمد آنذاك في الثلاثين من عمره ، وكان ابن عمار يبلغ
الناسعة والثلاثين ، فلم يكن ما يقوم به إذن في هذا السن يرجع لاندفاعات
عائمية فحسب ، هذا فضلا عن أن الصديقين سبق أن افترقا بضع سنين عندما

(١) مذكرات عبد الله بن زيري ، ج١ له لاندلس ، سنة ١٩٣٥

(٢) الفلاند ، ص ٨٦ .

كان الشاعر في المنفى هرباً من بطش المعتضد عباد . إذن فقد لعبت المصالح المشتركة للمعتد وابن عمار ، ولا سيما لهذا الاخير ، دوراً رئيساً في تسنم الاخير وزارة الاول وتعهده لشؤون الدولة .

فلم يكن من مصلحة ابن عمار في تلك الفترة القلقة الصاخبة أن يبقى بعيداً عن صديقه وملكه . فقد كانت كل مطامحه التي عرضنا لها قبل قليل ، والتي ابتدأت تتضح الآن ، تدفعه للذهاب الى إشبيلية والتمسك فيها قرب السلطان . وقد كان المعتد نفسه في أشد الحاجة لرجل مثل ابن عمار يساعده في الاخذ بزمام الدولة والسير بها في طريق التوسع والتقدم بعد أن استتبقت له الامور في الداخل نتيجة سياسة البطش والعنف التي سار عليها والده . لقد كان لابن عمار صفات قل ان تجتمع في غيره ، فذكاءه الوقاد ولباقته ومعرفة لأحوال البلاد وامرائها كانت خير مشجع للملك على اختياره لهذه المهمة الشاقة ولا نستطيع القول إنه أساء الاختيار نصل من ذلك الى أن عودة ابن عمار الى إشبيلية كانت بدوافع سياسية أكثر منها عاطفية .

ابن عمار وزير الاول ملهكتة اشبيلية

إذن فقد أصبح ابن عمار بسرعة رجل دولة بني عباد الاول . ولم يكن ثبوذه وتأثيره يقتصران في الواقع على هذه الدولة فحسب ، بل قد تجاوزاها الى أكثر مناطق إسبانيا المسلمة . ويبدو صدى هذه الشهرة الكبيرة والنفوذ الخطير اللذين حصل عليهما في الأوصاف التي أسبغها عليه مؤرخو العرب

والتي اشرنا اليها من قبل ، فهو مخيف (١) ، شديد الخبث ، واسع الشهرة (٢) ،
فاذا اضفنا ذلك الى رأى الملك عبد الله بن زيرى ملك غرناطة الذى اوضحه
في مذكراته (٣) والذى يبرر هذه الاوصاف بما يذكره من اعماله ، استطعنا
أن نتمثل الدور المهم الذى كان يلمبه في حياة الاندلس السياسية والتي سنرى
وجوها منها في الصفحات القادمة .

فعندما نتحدث عن سياسة إشبيلية او سياسة المعتمد بين ٤٦١ هـ
(١٠٦٩ م) و ٤٧٤ هـ (١٠٨٢ م) ، فلما نتحدث في الواقع عن سياسة
ابن عمار نفسه فقد كان فملا العصب المحرك لهذا الاضطراب الذى شمل
علاقات دولة بني عباد مع جيرانها حتى لقد أطلق عليه ملك غرناطة عبد الله
بن زيرى إسم « وسيط السوء » فقد أكد هذا الملك الذى قام من ابن
عمار الاميرين « ارتباط المعتمد الى الخير وايماره للصلح بعد زوال هذا
هذا الفاسق ابن عمار عن دولته . فلم ير بعد (أى بعد ابن عمار) فتية
فيما بيننا وبينه (اى بين ابن زيرى والمعتمد) ، فهو يعزو جميع الاضطرابات
التي قامت بين المعتمد وغيره من ملوك الطوائف الى سياسة ابن عمار وتأثيره
على الملك . ومع ذلك فعبد الله بن زيرى نفسه رغم عدائه الشديد للرزير
الاشبيلي يعترف بأنه قدم للملك خدمات جليلة فقد دفع النصارى عن

(١) فلائد العقبان . ص ٨٦ . درزى ، بنو عباد ج ٢ . ٦٩ .

(٢) المعجب ص ١١٩ .

(٣) مذكرات الملك عبد الله بن زيرى ، الاندلس ١٠٦٣ هـ ج ٣ ص ٢٢٥ .

إشبيلية بضع مرات ، آنا بدعائه ، وآنا بمكائده كما اشرنا الى ذلك من قبل
واسكن ملك غرناطة رغم اعترافه بأهمية النتائج التي توصل اليها ابن عمار ،
لا يريد ان يرجعها الى ذكاء ابن عمار وبراعته السياسية وإنما يقول ان
« كل ذلك بامرال رئيسه وسعادة إيمانه وهو (اى ابن عمار) بحيله يمتقده
أن ذلك لا يتبها إلا بسببه وبرد المس كله الى نفسه .. » (١)

ولا يريد ان نزع عننا أن سياسة ابن عمار لم تكن سياسة المعتمد
نفسه ، ارأ أن ذكر أن ماجرى من تبدل ، ببدنهاية دور ابن عمار في حكم إشبيلية
لا يرجع لرجل ابن عمار بقدر ما يرجع الى تبدل عام في الظروف التي احاطت
بمملكة إشبيلية دفع المعتمد الى تعديل سياسته . فسياسة التوسع التي
اتبها ملك إشبيلية ووزيره لم تكن الا امتداداً للسياسة التي سار عليها
المعتضد واسكن صنعتها الميزة الخاصة بها كانت التعاون مع النصارى ،
وذلك نظراً لأهمية الاعداء التي حاول الملك وزيره تحقيقها . ورغم هجمات
المؤرخين المسلمين على ابن عمار ورسم الروح « الانتهازية » التي كانت
تتمثل في الوزير ، ورغم النفقات الباعضة التي كانت تتطلبها سياسته (نفقات
حربية وأنارات الأمراء المسيحية) ، نول رغم ذلك فإن هذه السياسة نجحت
في توسيع رقعة مملكة إشبيلية الى حد كبير . لقد كان ابن عمار يضحي
للمسيحيين بمبالغ طائلة واسكنه فلما كان يضحي لهم بالأرض ، وفي هذا
الحساب دعاء وبراعة لا يمكن تجاهلها .

(١) مذكرات عبد الله بن زهرى ، الاندلس ١٩٣٥ ، ص ٢٢٥

ابن عمار وقرطبة

عندما ارتقى المعتمد عرش إشبيلية ، كانت دوله بنى عباد تسيطر على جنوب غربى شبه جزيره إيبيريا . وكانت قد نجحت في القضاء على الدويلات الصغيرة التي تكتنفها فضمتها تحت جناحها . ولم يبق في غرب شبه الجزيرة الاملاكة بنى الافطس في بطليوس الواقعة شمال غربى إشبيلية ، والتي نجح المعتضد عباد في توجيه ضربات قوية لها واقتطاع اجزاء كبيرة من ممتلكاتها . ولم يكن وضعا الجغرافى مما تحسد عليه ، إذ كانت متاخمتها لبلاد النصرارى تجعلها دائما مطمح انظارهم وموقع ضرباتهم . لذا فقد كان على المعتمد أن يولي وجهه نحو الشرق والجنوب الشرقى . اى نحو دويلتى قرطبة وغرناطة . أما في الشمال فتمد كانت مملكة طليطلة القوية التي يحكمها المأمون بن ذى النون الطموح ، صديق الفونس السادس ملك قشتالة وليون ، منافسا منافسا قويا يحسب له بنو عباد ألف حساب . فليس من المستغرب أن تكون قرطبة هي هدف المعتمد الاول .

ولا نريد أن نبالغ في دور ابن عمار في هذا الفتح ، إذ لم يكن قد مر على مجيئه سوى اقل من سنة ، إلا أن أثره لا يمكن أن يكون معدوما في هذه الخطوة الجريئة التي تنسجم كل الانسجام مع سياسته ، ففي عام ٤٦٢ هـ (١٠٧١ م) طلب بنو عمار حكام قرطبة العون من بنى عباد ، بعد مظاهر الصداقة التي أبداها لهم المعتمد ووزيراها ابن زيدون وابن عمار ، ضد جيش طليطلة الذي يقوده المأمون بن ذى النون والذي هاجمهم من الشمال .

وسرعان ما أرسل المعتمد جيشه استجابة للدعوة ، مما اضطر ابن ذى النون
على الانسحاب بجيشه . ولكن بدلاً من أن ينسحب الجيش الإشبيلي ،
هاجم المدينة واحتلها بالتآمر مع قسم من سكانها وضمها الى مملكة ابن
عباد . ولا نريد أن نغيب في وصف هذا الفتح فقد وجهنا نحوه اهتماماً
أكبر في بحثنا عن المعتمد ، وانما نكتفي بالتبويه باهمية قرطبة الكبرى ،
تلك المدينة التي كانت عاصمة الخلافة والتي بقيت حتى ذلك الوقت
مركز الاندلس العامي والثماني ومحط انظار الاندلسيين ، فكان لفتحها
أثر مادي ومعنوي كبير .

ابن عمار وغرناطة

ولم يكذب يثرب أمر قرطبة ويستتب الأمر فيها حتى وجه ابن عمار
انظاره نحو غرناطة ، التي كان يحكمها آنذاك أمراء بني زيري ، من قبائل
صنهاجة البربرية . وقد كان دور الوزير في هذا المشروع واضحاً ، إذ قد
تحدث عنه بمرارة ملك غرناطة نفسه في مذكراته . فقد ظل يتربص الدوائر
بهذه الدولة الصغيرة وينتظر الفرصة الملائمة ، حتى سنحت له عند ابتداء
التصادم والاحتكاك بين ملك غرناطة والقونش السادس ملك قشتالة القوي .
فقد أرسل هذا الأخير سفيره السكونت كاريون الى الملك عبد الله بن
زيري يطلب منه أتاوة سنوية قدرها عشرون الف دينار ، اسوة بما كان
يفعله ملوك الطوائف الاخرون ، فرفض ملك غرناطة ذلك ورد السفير المسيحي

طاباً يهدد بالويل والثبور . وفي طريق عودته وجد ابا بكر بن عمار
 يفتناره في باغته ، ليعرض له مشروعاً أسال لعابه . لقد كان الوزير الاشيبلي
 مستعداً لأن يدنح لآل قنوس خمسين الف دينار لقاء مساعدة هذا الاخير
 للجيش الاشيبلي على احتلاله غرناطة وضمها الى مملكة بني عباد . وبالإضافة
 الى ذلك فقد وند الوزير السنيير المسيحي بأن تكون جميع فانس وكنوز
 قصور بني زيري غنيمة باردة للتشتالين . فوافق السنيير على ذلك وأمضى
 مع الوزير الاشيبلي عقداً به . ولكن ابن عمار كان يعلم حق العلم أن
 مدينة حصينة كغرناطة سوف لا تترك نفسها فريسة سهلة للمهاجرين ، فقرر أن
 يبني بمساعدة المسيحيين حصناً قوياً أمام غرناطة يمد عليها السبل ويمنع
 عنها المؤن . وقد بنى فعلاً حصن ياملس . راتر الملك عبد الله بن زيري
 نفسه يروي لنا ما قام به ابن عمار ومدى نجاح خطته . إذ يقول في مذكراته
 « رأ كرى ابن عمار من عسكر العرنايس ما قوى به على البنيان باعداد من
 الأموال جسيمة ، يسوفهم فيها ناراً ، ويمدهم ويخادعهم حتى تم البنيان ،
 وجعل المعتمد يحاول ذلك بنفسه ويبرز أبدأ على مقربة من غرناطة مدة
 كونه ، طمأناً في أن يقوم معه أهل البلدة . فلما تم بنيانه ، قواه بالنذب
 واتخذ فيه جميع الأقوات وأمرهم بالتضييق وكانت الحال شديدة . . . وعند
 انصراف المعتمد عنه وعساكر الروم عيينا عسكراً كبيراً ونهض اليه فلم تقدر
 فيه على شئ . وانقطع رجاء الناس من دولتنا لاجتماع المظالمين عليها مع
 الرومي ، وندمنا على التفريط أولاً في معاقبته حسب ما سأل . . . »

فكان يلبس قد أفسد وضيق على فخص (اي سهل) غرناطة ... (١)
 وهكذا يبدو أن ابن عمار قد أحكم رسم خطته وقلبها من جميع الوجوه
 وضمن لها النجاح . ولكن شيئاً لم يمكن في الحسبان أفسد عليه خطته
 واضطره الى إيقاف تنفيذ مشروعه، ولو مؤقتاً . فقد قام عام ٤٦٧ هـ
 (١٠٧٥ م) أحد المغامرين من قواد الحصون المحيطة بقرطبة المسمى بابن
 عكاشه، متآمراً مع المأمون بن ذى النون ملك طليطلة، بمؤامرة استطاع فيها أن
 يفاجئ قصر الامارة في قرطبة ويقتل الأمير عباد بن المعتمد وقائد الجيش
 الاشبيلي محمد بن مرتين ويعلن انضمام المدينة الى مملكة ابن ذى النون
 الذى سرعان ما قصد قرطبة بجيشه وتمهياً للدفاع عنها ضد المعتمد بن عباد .
 ولكن القدر لم يمهله، إذ توفي بعد مقدمه بستة شهور فعاد المعتمد
 الى المدينة وبسط عليها نفوذه (٢) .

لقد كان لهذا الحدث أثره الكبير في خطة ابن عمار، إذ اضطر بعد
 دخول المأمون بن ذى النون قرطبة الى ان ينصرف عن غرناطة فيسحب
 من حولها جنوده ليستعين بهم في استرداد قرطبة او ملافاة ما قد ينتج عن
 احتلال ابن ذى النون لها من نتائج سيئة . فأخلى حصن يلبس وتنفس ابن
 زيرى الصعداء .

ولكن اطمئنانه هذا لم يطل اذ ما كاد الاشبيليون يستردون قرطبة

(١) مذكرات عبد الله بن زيرى ، الاندلس ج ٣ . سنة ١٩٣٠ . ص ٢١٨ .

(٢) انظر دراستنا عن المعتمد بن عباد . (تحت الطبع)

حتى عاد ابن عمار لمواولة مؤامراته لاحتلال غرناطة متوجها هذه المرة
ايضا الى الفونس السادس . ولترك ملك غرناطة نفسه يتحدثنا عن هذه
المحاولات ويصف لنا الوضع السياسي المضطرب الذي كان يسود البلاد آنذاك،
فيعطينا صورة واضحة للمسرح الذي كان يلعب فوقه ابن عمار ادواره .
ولا بد أن نشير هنا الى أن ركافة الاسلوب ترجع الى كون الملك البربري
كان يكتب مذكراته ببساطة وبلغته لانصنع فيها ولا تزويق .

يقول الملك ابن زيري (١) : « وبقي ابن عمار مرتها بما جعل على
نفسه لالنصراني (اي الفونس السادس) من كراهه يلبش في تبعات كثيرة
وجرايات جسيمة ، يقطعها له ، ويعده بها ، وادخل سلطانه (اي المعتمد)
من ذلك في تشنيب ، لأنه كان لا يريد أن يجعله يخلد الى راحة لكي يحتاج
اليه في تلك الفتنة ، لا يقر عن ادخال ضرر على المسلمين . ومتى ما كان المعتمد
يسمي في تهديد الامر ونزوم معه الصالح ، أو تنشأ مهادنة ، لا ينم في
نقضها واشمال نار الفتنة ، فعاد تازية الى النصراني اذ فونش وزين له غرناطة
وصورنا عنده في صورة من لا يقدر على كل شي من أجل الصبا ، وأنه ضامن
له اموال غرناطة لتصير له بأسرها ، على أن يعاقده ، إن تمكن من البلدة ،
أن يجعلها ملكه (أي ملك ابن عمار) وله (أي لالفونس) مالتى من
اموالنا . والتي يده في يد اذ فونش غاز ما عليه في الاقبال إليها ، واعطى
على ذلك اموالا جسيمة ، ووعدته بخمسين الف مثقال ، اذا تمت القضية ،

(١) مجلة الاندلس ، السنة ١٩٠٥ ، ص ٣١٩ .

ليعطىها زائدة على ما يجده لمساعدته على السير ، فأدرك الرومي من ذلك طمع
كثير ، وقال : هذه نسبة لست اخلو فيها من فائدة وإن لم تحصل الفائدة ، فأى فائدة لي
في اعطاء بلدة من واحد لا خيراً الا تقويته على نفسه ، وكما كثر الشوار ووقع بينهم
التنافس ، كان لي افأد (كذا) . فأتى على نية اخذ مال الفريقين ، يكسر رؤوس
بعضهم ببعض ، ولا كان ايضاً من امله ان يأخذ البلاد انفسه ، فانه عمل في ذلك
حساباً ، أن قال : انا من غير الملة ، وكل الناس يشنأني ، فبأي وجه أطمع
في أخذها ؟ ان كان من باب الطاعة فأمر لا يمكن ، وان كان من وجه القتال ،
فيعلمك فيها رجالي وتذهب اموالي وتكون الخسارة علي اكثر مما نرجوه
إن صارت إلي ، ولو صارت لم تمتسك الا بأهلها ، ثم لا يؤمنون ، ولا يمكن
أن نستبيح أهلها ونعمرها بأهل ملتي ، ولسكن الرأي كل الرأي تهديد
بعضهم ببعض ، واخذ أموالهم ابدأ حتى ترق وتضعف ، ثم هي تلقي بيدها
إذا ضعفت وتأتي عنواً ، كالتى جرى لتليطة ، إنما كانت من فقر أهلها
وتشتتهم مع اندبار سلطانها ، وصارت الى بلا مشقة ... »

ويواصل ابن زبيري كلامه في مذكراته فيقول :

« وكنا نحن نعلم هذا من مذهبه ، على ما كان يخبر وزراءه . ولقد
قال ذلك شيشلاندي في حال هذه السفارة : وشافهنا بذلك ، وقال :

« إنما كانت الاندلس للروم في اول الامر حتى غلبهم العرب والحقوهم
بانحس البقع جيليمية ، فهم الآن عند التمكن ظاهرين (كذا) بأخذ ظلاماتهم ، ولا
يصح ذلك الا بضمف الحال والمطالبة ، حتى اذا لم يبق مال ولا رجال

اخذناهم بلا تكلف .

فكان الجميع (اى ملوك المسامين وامراؤهم) يساير الامور ويدافع
الايام ، ويقول : من هنا الى ان تم الاموال وتملك الرعايا ، زعمهم ، يأتي الله
بالفرج وينصر المسامين . . .

فورد علينا من اقبال الفونش مع ابن عمار هول عظيم ، وصح عندنا
انه لم يأت الا طالباً لملكنا ، قد استوثق من الفونش على ما قدمنا ذكره
ثم ارسل (اى الفونش) الينا ينذر باقباله ويأمرنا بالخروج اليه ، يرى انه
يذهب الى تجديد العهد والاجتماع بنا ، على ما يفعله مع السلاطين . فلم
نضك ان ذلك للتقبض (كذا) علينا ، وانجاز ما عاقدهم (اى الاشبيلين)
عليه .

فاجتمع الينا اهل الراى والمشورة ، وقالوا : ما الذى تذهب اليه ؟ هذا
عدو قد جاء لطلبك ، ولا قدرة بك على منارأته ، وسواء عليك خرجت
ام بقيت ، فان انت بقيت حلت بك الداخية العظمى ، ووقعت المفاسسة ،
واصاب مطالبك سبيلا الى العمل ، وتكون هذه اشد من الاولى .

وقد رفضنا بطرة شولس (وهو سفير سابق لالفونش قدم لغرناطة يطلب
الاتاوة للملك المسيحى فرده ابن زبرى) والقى ابن عمار يده فيه حتى بنى
علينا يلبش ، والآن لم يتروح مخنقنا حتى نعود الى ما هو أدهى وامر .
فلورأت الرعايا بعض خلاف من هذا الجيش لم تبق ولا تذر لمشقة ماقددهوا
به قبل ، وكاد الرجاء ينقطع ويتلف الكل حتى تؤخذ وهنا باليد على غير

صلح ، فلا يرقب فينا إلا ولا ذمة . فالخروج اليه أيسر الأمرين . فان
كانت سلامه شكرت رأيك وثبت ملكك . وإن كانت الاخرى ، كان
خروجك عن أمان وصرت خيراً في العافية (كذا) فاعزم على لقاء (أى القونس)
وقل له قولاً ليناً ، والله أن ينفذ قضاءه .

فاستعدنا لذلك جهدنا واجتمعنا حوالينا من نثق به من رجالنا ، واخذنا
أهبة للحال ، ولقيناها على مقربة من المدينة ، وبالغنا بالضرورة في إكرامه ،
فاعرض علينا وجهاً بسيطاً وخلفاً حسناً ، ووعدنا ان يحامى عنا كما يحامى
عن بلده .

ثم وقعت المعاملة ، ومشت الرسل منا اليه ومنه الينا ، يدين ما عوقد
عليه ، وانه سيق سوقاً ، ويقول : اني قد تشبثت في الامر ، ولم نعجل حتى
نسمع ما عندكم ، فان جاملتموني ورأيتم اقصدى وجهاً ، انصرفت عنكم
على خير ، والا فها أنا مع من عاقدنى . وطلب خمسين الف مثقال . فشكرونا
اليه قلة البلاد ، وان ذلك لا يقدر عليه ، وفيه من القطع لنا ما يفترضنا به
ابن عباد (اى المعتمد) ، فانه لو أخذ غرناطة قوى عنصره . ولم يطع اليك ،
نخذ ما تقدر عليه واترك رمتاً لانستأصل من أجله ، وما تركت بحده
عندنا متى ما طلبت . فقبل العذر بعد جهد عظيم ، وقاطعناه لقصده بخمسة
وعشرين ألفاً ، نصف العدد ، ثم أعدنا له من القرش والدياب والآنية كثيراً ،
استدفاعاً لشره . وجمعنا ذلك كله في خباء كبير ، ودعواناه اليه . ولما رأى
الدياب استحققرها ووقع الاتفاق معه على زيادة خمسة آلاف مثقال لثم بها

ثلاثون (كذا) الفاً ، فأكلناها له لثلاً يفسد الاكثر عن الاقل . فشكر
 على ذلك كله وكاتب عليه تقيمه ، ورجع على ابن عمار يقول له : كذبت
 لي في قولك إن غرناطة في ضعف وإن صاحبها من صغر سنه لا يعقل .
 ورأيت من رتبها وأحوالها ما خالف قولك . فرجع ابن عمار يسأله أن
 يعقد بيننا عقداً يوقف عنده . واستماله على اخذ اسطبة من عندنا . وكان
 معقلاً عظيماً مما يلي جهات إشبيلية ، أخذه قائداً كباب في الفتنة ، وسألناه
 نحن خبر القلعة ، فوقع الاتفاق على أن تكون قلعة أسطير عوضاً عن أسطبة .
 وكانت قاشتره ومارتش العقليين على جيان ، ومن أجلها انقطع صاحبها
 عننا . ولم يسكن لجيان معنى إلا بهما . فتراعى ابن عمار في أمرهما على الفونش
 ووعده على مارتش بأموال ، أنه يشتريها ، فعزم (أي الفونس) علينا
 فيها للطعم في المال ، وعدنا نحن على قاشتره بالمطمر ، وكان (أي
 المطمر) أيضاً حصناً قد اشترك في نظره مع نظرنا ابن ذى النون . فضمن
 خبره (كذا) ان يعطيه لنا عوضاً منها (أي من قاشتره) . فدافعنا الأمر جهداً
 فلم نقدر على أكثر ، فعل القوي مع الضعيف ، ثم إنه عقد العقد بين يديه
 على ذلك ، وأنه لا يتعدى منا أحد على صاحبه . وذكر فيه ما نعطي كل عام
 من الضريبة . فجعل علينا عشرة الاف مثقال في العام وطيب لنا الكلام بأن
 قال : طمع ابن عمار أن نغدر بك ، ومعاذ الله من ذلك ، أن يشيع في الدنيا أن مثلي
 كبير في الروم يقصدك وانت كبير في جنسك ، ثم نغدر بك . فابق على أمان ، لا
 أكلفك الا الضريبة ، توجه الى بها كل عام دون مطر . وإن تأخرت بها أتاك رسولي

عنها، وتلزمك عليه ثقتك فبادر بها . فقبلنا قوله ورأينا إعطاء عشرة الاف
في العام ندفع بها مضرته ، خيراً من هلاك المسلمين وفساد البلاد . إذ لم
لم تكن بنا قدرة على ملاقاته ومكابرتة ولا وجدنا من سلاطين الاندلس
عوناً عليه ، إلا من يسوقه اليها لهلاكنا . فبقيت الأمور على مصالحة ومهادنة
ورفاهية لا يسمع فيها بفتنة .

ومما هياه الله ، ان فقدنا وسائط السوء بعد ذلك بفقد ابن عمار وشغله

في مرسية ... الخ ... (١)

في هذا الجزء القيم من مذكراته ، يوضح لنا ملك غرناطة عبد الله بن
زيري الدور الخطير الذي كان يلعبه ابن عمار في الحياة السياسية لاسبانيا
المسلمة في ذلك العصر ، والاسلوب الذي كان يلجأ اليه لتحقيق اغراضه
والوصول الى اهدافه ، عارضاً أثناء ذلك صوراً دقيقة للأوضاع السياسية
في تلك الفترة المضطربة من تاريخ المسلمين في تلك البلاد . إن المعلومات
التي يمكن أن نستخلصها من هذه السطور التي نقلناها عن الملك الأندلسي
ومن تلك التي لم نتملها ، لذات أهمية كبرى في إدراك كثير من تيارات
السياسة الأندلسية ودور الملوك المسيحيين الخطير وموقف امراء الطوائف
منهم ، مما لا يدخل الآن في صميم هذا البحث . ان ما يهمنا قبل كل شيء
هو إدراك سياسة ابن عمار ومعرفة اساليبه في العمل واعدافه التي سبق
أن أشرنا إليها ؟ ولا شك أن هذه الأساليب والأهداف تتمثل بأوضح

(١) الاندلس . سنة ١٩٣٥ . ص ٢١٩ . س ٣٢٣ .

وجوهها في مغامرة ابن عمار هذه ، ولا سيما ما يختص منها بعلاقته بالقونص
السادس وعمله معه ، مما سنأتى الى بحثه بشيء أكثر من التفصيل .
إذن فلم يستطع ابن عمار تنفيذ خطته التي وضعها لضم غرناطة الى مملكة
بنى عباد ، رغم الجهود الكبيرة التي بذلها في هذا السبيل ، ولكنه مع ذلك
لم يخرج من الصفقة صفر اليدين ، فضم بعض الحصون المهمة الى مملكة
إشبيلية متهيئاً لمغامرة اخرى وباحثاً عن فريسة جديدة . فوقع نظره على
مصرية المدينة الغنية الواقعة على ساحل البحر الابيض المتوسط ، والتي كان
يحكمها ، مستقلاً فيها ، الأمير الاديب ابن طاهر . ولكن قبل ان يبدأ
بهذه المغامرة كان عليه أن يتجنب خطراً كبيراً كان يهدد إشبيلية آنذاك
وهو خطر الفشتاليين مسيحيي الشمال الذين كانوا يرون في ضعف ملوك
الطوائف دوافع قوية تحثهم على استنزاف اكبر المنافع منهم . فزحفوا على
إشبيلية وهددوها بالويل والثبور ، فكان ابن عمار هو رجل الساعة .

ابن عمار ومسيحيو الشمال

لقد سبق أن ذكرنا أن الوزير الإشبيلي كان يدرك قوة المسيحيين
في الشمال الى جانب ضعف ملوك الطوائف المسلمين وتحاذيهم ؛ لذا فقد جعل
أول أهدافه السياسية التمرب من القونص السادس و جلب رضاه وتجنب خطره
بجمع الوسائل الممكنة ، وأعم هذه الوسائل المال . فكانت مملكة إشبيلية ،
كغيرها من الدويلات الأندلسية آنذاك ، تدفع للملك القشتالي ، أتاوة
سنوية معينة تجنباً لشره وحفظاً لسداقته . وكان القونص يعرف قوة مركزه

وضعف موقفهم ، فاستغل ذلك إلى اقصى حدود الاستغلال . فكان كلما وجد الفرصة سانحة للحصول على قطعة من الارض او مبلغ من المال لم يتركها تنلت من يديه ، فزحف بحذافله مرعداً مزبدأ ، يخرب الحقول ويحاصر المعقل حتى يخضع الأمراء المسلمون لإرادته فيهدئوه بما يقدمون اليه من مال .

ورغم جهود ابن عمار الكثيرة في الحصول على رضی الملك المسيحي فيبدو أن ألفونس بعد عقده اتفاقية التي أشرنا اليها مع غرناطة بفترة لانستطيع تحديدها ضبطاً ، رغم أننا نستطيع القول إنها لا يمكن أن تكون قبل ٤٦٨ هـ ، وهو التاريخ الذي يرجح أنه عقد فيه معاهدته مع غرناطة ، ولا بعد ٤٧٠ هـ ، إذ أن ابن عمار كان يدبر بعد هذه السنة مؤامراته ضد مرسية كما سيأتي ذكره . نقول ، رغم جهود ابن عمار ، فقد زحف ألفونس السادس بجيشه على مملكة إشبيلية وهددها بالدمار . ويروي لنا أحد المؤرخين المسلمين ، وهو عبد الواحد المراكشي ، في كتابه « المعجب » قصة ظريفة عن الدور الذي قام به ابن عمار في صد هذا الهجوم ، يبدو أن الخيال قد ساهم في نسجها لحد غير قليل ، ومع ذلك فنحن ننقلها هنا نصاً ثم نتناقش ماجاء فيها بعد ذلك . وقد نقلها عنه دوزي دون ان يشك فيها (١) .

قال عبد الواحد المراكشي (٢) :

ولم يزل المعتمد يعده (أي ابن عمار) اسكل أمر جليل ويؤمله لكل

- Mus Esp., T. 3. P. 102

(١)

(٢) المعجب، ص ١١٩ .

رتبة عالية . وكان ابن عمار مع هذا لا يناط به أمر الا اضطلع به وكان فيه
 كالمسكة المحماة . واشتهر أمره ببلاد الأندلس ، حتى كان ملك الروم
 الأذفنش ، اذا ذكر عنده ابن عمار قال : هو رجل الجزيرة ا وكان ابن
 عمار هو الذي رده عن قصد إشبيلية وقرطبة وأعمالهما . وذلك أنه خرج في
 جيوش ضخمة يقصد بلاد المعتمد طامعاً فيها ، فخافه الناس ، وامتلأت صدور
 أهل تلك الجهات رعباً منه ، وتيقنوا ضعفهم عن دفاعه . فتولى ابن عمار
 رده بألف حيلة وإيسر تدبير ، وذلك أنه أقام سفرة شطرنج في غاية الإبداع
 لم يكن عند الملك مثلها ، جعل صورها من الأبنوس والعود الرطب
 والصندل ، وحلها بالذهب ، وجعل أرضها في غاية الإتقان . فخرج من
 عند المعتمد رسولا الى الأذفنش ، فلقية في أول بلاد المسلمين ، فأعظم الأذفنش
 قدومه وبالغ في إكرامه ، وأمر وجوه دولته بالتردد الى خبائه والمسارعة
 في حوائجه . فأظهر ابن عمار تلك السفرة ، فرآها بعض خواص الأذفنش فنقل
 خبرها اليه . وكان الملج - أعني الأذفنش - مولعاً بالشطرنج ، فلما لقي
 ابن عمار سأل : كيف أنت في الشطرنج ؟ وكان ابن عمار فيه طبقة عالية -
 فأخبره بمكانه فيه . فقال له : بلغني أن بتلك سفرة في غاية الإتقان . قال
 ابن عمار : نعم ، فقال : كيف السميل الى رؤيتها ؟ فقال ابن عمار لترجمانه :
 قل له أنا آتيك بها على أن العب معك عليها ، فان غلبتني فهي لك ، وإن
 غلبتني فلي حكلي . فقال له الأذفنش : هلمها لننظر اليها ؟ فأمر ابن عمار
 من جاء بها . فلما وضعت بين يدي الملج صلب وقال : ما ظننت أن إتقان

الشطرنج يبلغ إلى هذا الحد! . ثم قال لابن عمار : كيف قلت ؟ فأعاد عليه
 الكلام الأول . فقال له الأذفونش : لا ألعب معك على حكم مجهول لا أدرى
 ماعو ، ولعله شيء لا يمكنني . فقال ابن عمار : لا ألعب إلا على هذا الوجه .
 وأمر بالسفرة فطويت . وكشف ابن عمار سر ما اراده لرجال وثق بهم من
 وجوه دولة الأذفونش ، وجعل لهم أموالاً عظيمة على أن يؤازروه على أمره ،
 فتملوا . فتعلقت نفس العليج بالسفرة ، وشاور خاصته فيما رسمه ابن عمار .
 فهو نوا عليه وقالوا له : إن غلبته كانت عندك سفرة ليس عند ملك مثلاً
 وإن غلبك فما عساه أن يتحكم ؟ وقبحوا عنده إظهار الملك العجز عن شيء
 يطلب منه . وقالوا له إن طلب ابن عمار مالا يمكن فنحن لك برده عن
 ذلك . ولم يزالوا به حتى اجاب ، وارسل الى ابن عمار فجاء ومعه السفرة .
 فقال له : قد قبلت ما رسمته . فقال له ابن عمار : فأجعل بيني وبينك شهوداً
 سماعهم : فامر الأذفونش بهم فحضروا ، وافتتحا يلعبان . وكان ابن عمار
 كما ذكرنا - طبقة في الاندلس ، لا يقوم له أحد فيها . فغلب الأذفونش
 غلبة ظاهرة لجمع الحاضرين ، لم يكن للعليج فيها مطمن . فلما حقت الغلبة قال له ابن
 عمار : هل صح أن لي حكيم ؟ قال : نعم ، فماعو ؟ قال : أن ترجع من هنا الى بلادك :
 فاسود وجه العليج وقام وقعد ، وقال لخواصه : قد كنت أخاف من هذا
 حتى هو تنموه على . . في أمثال لهذا القول . وهم بالثك والتمادي لوجهه ،
 فقبحوا ذلك عليه ، وقالوا له : كيف يجعل بك الغدر وأنت ملك ملوك
 النصراني في وقتك : فلم يزالوا به حتى سكن ، وقال : لا أرجع حتى

أخذ أتاوة عامين خلاف هذه السنة ا فقال ابن عمار : هذا كله لك .
وجاء بما أراد ، فرجع وكف الله بأسه ، ودفعه بحوله وحسن دفاعه عن
المسلمين ، ورجع ابن عمار الي إشبيلية وقد امتلأت نفس المعتمد
سروراً به . « (١)

هذه هي الحكاية التي رواها المراكشي وواضح أن الخيال قد يكون أسهم في
تكوينها لحد غير قليل ، لا سيما وأن المؤرخون الذين عنوا بحياة ابن عمار
والذين سبقوا المراكشي ، فكانوا اقرب منه الي عهد الوزير لم يشيروا لها
بوضوح رغم تولمهم بالبحث عن طرائف الاخبار . ومع ذلك فنحن
لانستطيع ان نعرض عنها إعراضاً تاماً ونضرب عنها صفحاً ، إذ يبدو أن
فيها نصيباً غير قليل من الصحة . لا سيما ما يتعلق منها بجهود ابن عمار الناجحة
في رد غارة الفونس بالوسائل الدبلوماسية وأهمية هذا العمل فدوزي يذكر
في كتابه عن المسلمين في اسبانيا ، أن أحد المؤرخين الاسبان قدّماء وهو
كاسكليس ، ذكر أن الفونس السادس كان يوفي برهانه عندما يلعب الشطرنج
فقد فعل ذلك مع احد المسلمين رغم عظم أهمية الرهان (٢) ويشير مندث بيدال
عند كلامه عن الفونس السادس في كتابه عن اسبانيا في القرن الحادي عشر
الي ان هذا الملك قد قام بغارات متواليه حوالي عام ١٠٧٩ (اى ٤٧٠ - ٤٧١ هـ)
على مملكتي بطليوس وطليلظه ويذكر تفاصيل ذلك .

(١) المعجب : ص ١٢١

1- Mus Esp., T. 3, P. 101

(٢)

2- M. Peñal, Es. ana del cid, T. 2

فإن الممكن جداً أن تكون إشبيلية قد نذرت علاقتها معه باتفاق كهذا الذي
 عتمده ابن عمار . والمعتمدة نفسها التي ذكرها المراكشي فتسجم كل
 الانسجام مع الأساليب الدبلوماسية المتبعة في ذلك العصر . وفضلاً عن ذلك
 فتمد مدح أحد شعراء البلاط الاشبيلي وهو حسان بن المصعب الوزيري ابن
 عمار وأشار الى جهوده العظيمة في دفع النصارى عن المملكة بالحياة والتديب . (١)
 وأوضح من هذا وذلك هو أن ملك غرناطة عبد الله بن زيري عدو ابن
 عمار المرددي ذكر نجاح ابن عمار في رد عادية النصارى عن البلاد فيقول : «ولانه
 (أى ابن عمار) كان قد استمال النصارى واندخل منهم بحيلة ، ففتى
 ما نغم أمر من قبلهم وجهه (أى المعتمد) اليهم ، فينجلى من أمرهم ما يضرق
 الصدر به ، وكل ذلك بأموال رئيسه وسعادة أيامه ... » (٢) .

كل هذه الاشارات واخرى غيرها تدل على دور ابن عمار السياسى فى
 دفع النصارى عن مملكة اشبيلية مستعملاً المال والحكمة السياسية ، وأما
 ما عدنا ذلك مما ورد فى حكاية عبد الواحد المراكشى فلا يهمنا الا قليلاً .
 يبدو لنا مما مر دور ابن عمار المهم فى حياة إسبانيا المسلمة
 فى ذلك الوقت ، والأسلوب السياسى الذى اتبعه فى عمله والذى حاولنا
 ايضاح خطوطه العامة فى صفحات سابقة ، فحزب نجاحاً غير قليل لاسيما
 اذا اخذنا بنظر الاعتبار الظروف الحرجة المضطربة التى كانت تمر بها
 البلاد آنذاك . ولا شك أن اهم مظاهر هذه السياسة هي أن مملكة

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، ف حسان بن المصعب .

(٢) الانلس ، ١٩٣٥ ، ص ٢٢٥ .

اشبيلية لم تدخل طيلة وجود ابن عمار في وزارة اشبيلية في نزاعات خطيرة مع مسيحيي الشمال كما كان شأن بطليوس وطليلة وسرقسطة . لقد اصبح ابن عمار بعد اعائه السياسية هذه ألمع الشخصيات السياسية في ايبانيا المسماة آنذاك ، وكانت له اليد الطولى في ادارة امور مملكة اشبيلية وتوجيه سياستها . لقد اصبح الشاعر البائس المتشرد المهمل محط الانظار ، يستدر رضاه ويتجنب شره ، اصبح الوزير الاول لا كبير بمالك الادلس واقواها نفوذاً واكثرها ثروة . ولكن مطامعه لم تكن لتقف عند حد ، فطمق يقلب نظره فيما حوله باحثاً عن فريسة يسيرة ، فملقت انظاره بمرسية المدينة الغنية في شرق الاندلس التي كانت يحكمها الابرال الكاتب ابن طاهر فخاك حولها الشباك ودير لها المكائد ، ورغم ما احرزته من نجاح في جهوده ، هذه فان نجمه ابتداءً يافل وينحدر نحو الافق بعد أن توسط قبة السماء زمناً ليس باليسير . إن حملة مرسية تعتبر في الواقع فاتحة صفحة جديدة في حياة ابن عمار سنأتى للحديث عنها بعد قليل .

نشاط ابن عمار الادبي أيام وزارته للمعهد في اشبيلية

بقي علينا أن نبحث في هذه الحياة الصاخبة التي قام فيها ابن عمار السياسي البارع باعم الادوار عن ابن عمار الشاعر ، ولكن جهودنا مع الاسف لانتكاد تحظى بما نأمله من ثمار . اذ يبدو أن حياة ابن عمار الجديدة ، ولا سيما تبديل طبقة قد وضعه في حال يختلف تماماً عما اعتاد سابقاً عليه . فلم يكن من السهل عليه أن يتكيف لها ولما توجيه من موضوعات شعرية لم يألفها في حياة الشباب المريرة . فن الطبيعي أنه لم يحتج

الى المدح والتكسب بالشعر كما كان يفعل سابقاً ، ولم يكن في حال يفتح فيه
 للعواطف النائرة والمشاعر المتبهة محلاً واسماً من نفسه ومشاغله . لقد كان
 الشعر حلية يتحلى بها الوزراء ويستخدمونها كلما تطلبت المناسبات والظروف .
 وهذه المناسبات والظروف لم تكن في اكثر الاحيان عميقة التأثير في نفس
 الشاعر بحيث تدفعه الى الابداع ، فلا بد مثلاً أن يرد الشاعر على صديق
 ارسل إليه قطعة شعرية بأخرى مثلها ، ولا بد له حين يتبارى الشعراء في
 مجالس لوصف منظر معين او حال معينة أن يدلي بدلوه بين الدلاء ، وأن يرهق
 قريحته لتجويد بما يتيسر لها من ايات ، ترضى ذوق الصحب وتحظى على وجه
 الخصوص بمحاجب الامير ، الى آخر ما هنالك من مناسبات مماثلة .

إننا في الواقع لانكاد نرى في هذه الفترة أثراً لناظم الرائية والميضية
 والدالية التي سمت في الفترة الاولى من حياته ، بل إن كل ما هنالك قطع
 أكثرها لا يتجاوز بضعة أبيات متناثرة ، نظمت لتحية صديق اولرد على
 رسالة او استجابة لرغبة غير منبمثة من نفس الشاعر بل منروضة عليه من
 خارجها ، او غزل مبتذل بحسناء او غلام . وهذه الأبيات في أغلبيتها الساحقة
 تسيطر عليها نزعة عقلية ، ونعني بها جهداً فكرياً مقصوداً في رصف الكلمات
 وانفاها بالخرقة اللظنية والبيانية والصنعة الظاهرة البادية التكلف . فالشاعر
 يقصر جهده على ابداء براعته المفوية ، ومقدرته على اللعب بالالفاظ ،
 فلا تكاد نلحظ شعراً تجاها بأى احساس فنى أو قيمة أدبية الا فى متداولات
 قليلة وأبيات متناثرة هنا وهناك تحاول فيها العواطف أن تشق طريقها بجهد

خلال البهجة الكلامية والتصنع الانظمي ، نذكر منها على سبيل المثال قوله
بصف جدولا يصب في غديره : (١) .

ومطرده الأجزاء يصقل مته
صبأ أعلنت سرالندى في ضميره

كان حباباً ربع نحت حبابه
فسارع يرمي نفسه في غديره

جريح باطراف الحصى كلما جرى
عليها شكى أوجاعه بخبره

شربنا على حافاته دور سكرة
واكثر سكرأ منه عينا مديره

وقد لاح نجم الصبح باد كأنه
مطرق جيش مؤذن بأمره

الأ أن من الواضح أن حكمتنا هذا على شعر ابن عمار في هذه الفترة يعوزه
كثير من الدقة والاحكام ، إذ لا شك أن مالدينا من انتاج الشاعر لا يعدو
أن يكون قليلا من كثير اختفى ولم يصلنا منه الا النزر اليسير . فقد
يكون لما اختفى قيمة ليست لما بين يدينا منه ، وإن كان المؤلف أن يكون
مؤرخو الأدب عنوا باختيار أحسن ما لديه واكثره تأثيراً في نفوسهم .
على أن ما سبق أن ذكرناه حول موقف المؤرخين القدامى ، ولا سيما منذ

(١) ديوان ، قص ، ٠٨

القرن الخامس الهجري يجعلنا لا نعتد كل الاعتداد بأذواقهم واختيارهم ،
فقد يكون في ما اهلوه أصالة وإبداع يفوقان ما في الذي نقلوه . ومع ذلك
فإن في حياة ابن عمار في هذه الفترة ما يبرر لحد ما هذا الضمف الذي أشاعده
في شعره وهذا الهزال الذي نراه في قصائده .

فأولاً ، لم يعد ابن عمار شاعراً متمهناً كما كان سابقاً ، بل أصبح وزير
دولة كثير المشاغل والمهام ، فن الطبيعي جداً أن تأخذ الإدارة والسياسة
جزءاً غير قليل من وقته وتمكيره وأن يفتدو الشعر بالنسبة له وسيلة هلو
وتسلية ، ينظمه غالباً عندما يخلو لنفسه ويسمر مع ندمائه مستجيباً لحاجة
المجتمع الأرسقراطي الأندلسي الذي سبقت الإشارة إليه فنجده المراسلات
الشعرية أو ما يدعى بالأخوانيات تشغل جزءاً غير قليل من إنتاجه الأدبي ، كما
يحتل وصف مجالس الأانس والأشبيب جزءاً مهماً آخر . أما المديح فقد كان
ينظمه أيضاً . ولا سبباً في أول هذه الفترة ، ولكنه يختلف عن مديحه في القسم
الأول من حياته ، فهو في الغالب مدح صديق لصديقه أو وزير للملكة ،
يغلب الولاء فيه على الاستعفاف والاستجداء . وهذه الإنتاج بجملته كما
ذكرنا لا يسكاد يقف على قدميه أمام المقاييس الأدبية الحديثة اذ يغلب
عليه كما قلنا سابقاً التصنع والتكلف والزخرفة اللفظية والبيانية بشكل
غير مستساغ في أكثر الأحيان .

وثانياً . فقد كان لتبدل طبقة ابن عمار تأثيره أيضاً في إضماف
إمكانياته الأدبية . فلم يكن من عادة ابن عمار أن ينظم إلا نادراً في
غير المديح وما يتعلق به من موضوعات كالشكوى والاستعفاف ، أما الآن

فقد وجد نفسه أمام موضوعات جديدة ، عليه أن يجيد في وصفها ، ثم
الطبعي أن لا يستطيع القيام بذلك بسهولة ويمر ، لا سيما وأن الدوافع التي كانت
تدفعه سابقاً كالحاجة أو الخوف لم يعد لها وجود الآن . وسنرى أن شعر
ابن عمار يكتسب حيوية وقوة عندما تتوافر له هذه الدوافع ويحمد نفسه
ثائر المشاعر مضطرب العواطف . لقد سبق أن ذكرنا أن الشعر لم يكن عند
ابن عمار غاية في ذاته وإنما كان وسيلة لتحقيق آماله وبلوغ مآربه ،
وقد كانت مآربه وغايته تنحصر في كسب المال والجاه والحصول على المنصب
والتقرب من السلطان ، وقد تحققت أمنياته هذه وتوافرت بين يديه . فلم
يعد الشعر إذن ذلك السلاح الفعال والسبيل الذي لا بد منه للحصول على
ما يطمح فيه ، بل أصبح كما ذكرنا مسلاة وهوا .
وعلى ذلك فعلينا أن نمتظر الفترات التالية من حياة ابن عمار حين تجتاح
حياته العواطف التي قابليانه الأدبية تنفتح وتثمر .

ابن عمار

بين عامي ٤٧١ و ٤٧٧ للهجرة

(١٠٧٨ - ١٠٨٤ للميلاد)

إن هذه السنوات الست من حياة ابن عمار حافلة بالاحداث مليئة بالمفاجآت ، بل إن أحداثها ومفاجآتها ذات أهمية حاسمة في حياة الشاعر ، نقلته من طور الى طور جديد ومن حال الى حال يختلف عن سابقه ، حتى قاده اخيراً الى مصيره الذي سنأذي الى ذكره . أما ما لدينا من إنتاجه الادبي في هذه الفترة فهو نزر يسير ، إلا أنه يلفت النظر آنا لقيمة الادبية ، وحيناً لفائدته التاريخية والايخبارية ويمكننا أن نضم في القسم الاول بائيتيه (١) اللتين أرسلها الى المعتمد معتذراً ، وثائيته (٢) التي توخت نفس الغرض ، إذ أنها تحتل مكانها في الصف الاول من إنتاجه الأدبي .

ابن عمار ومرسدية

أما البائيتان فقد نظمهما بعد محاولته لاحتلال مرسية . ولهذا الحدث أهمية خاصة في حياة الشاعر ، فقد مر ذكره لدى جميع المؤرخين الذين تعرضوا لابن عمار وتحدثوا عن حياته مع بعض الخلاف في التفاصيل .

(١) الديوان ، قص ، ٥٤ ، ٥٥

(٢) » ، قص ، ٥٦

فقد كانت مرسية الهدف الجديد للوزير الاشبيلي بعد أن فشلت جهوده
لاحتلال غرناطة، واكتفى بضم بعض حصونها إلى مملكة إشبيلية، وبعد
أن استطاع أن يبعد، ولو لأمد محدود، الخطر المسيحي فيقوى مركزه
ويعلو شأنه.

نظر ابن عمار وهو في قمة مجده حوله باحثاً عن فريسه جديدة يرضى
بها طمعه ويحوك حولها مؤامراته، فوجدها في أمانة مرسية المتاخمة لمملكة
إشبيلية من الشرق. وكانت مرسية هذه تكون، بعد انحلال الخلافة في
قرطبة، جزءاً من أملاك زهير العامري، ثم ضمت بعد مصرع زهير في
حروبه مع غرناطة إلى مملكة بلنسية. أما في هذه الفترة التي نتحدث
عنها فكانت مستقلة يرأسها أمير عربي ينتسب إلى قيس، يذكر المؤرخون
عنه أنه كان واسع الثراء لحد كبير، إذ أن أملاكه الخاصة كادت تبلغ نصف
المقاطعة^(١)، هو أبو عبد الرحمن بن طاهر. وابن طاهر علم من أعلام الأدب
الاندلسي في القرن الخامس، فقد كان كاتباً طويل الباع في مضمار
الترسيل، واسع الاطلاع في ميدان الادب^(٢)، خصص له مؤرخو الأدب
العربي الاندلسي^(٣) فصولا مسهبة، وحفظوا لنا من كتاباته ورسائله
نماذج تستحق كل اهتمام وتقدير، بل إن ابن بسام نفسه وقف عليه كتاباً

(١) الذخيرة، ق ٢، ف ابن طاهر.

(٢) الحجة السيرة، ف ابن طاهر.

(٣) نفس المصدر. الذخيرة، ق ٣، ف ابن طاهر. قلائد المقبابس ٥٨. المعجب، ص ١٢١

خاصاً وسمه بـ « سمط الجواهر في ترسيل ابن طاهر » (١). ولكننه كان
 في سياسته ، من الأمراء الذين يحرصون على العيش بسلام بعيداً عن مطامع
 الطامعين ، تصله ببقية أمراء الطوائف روابط الود والصدقة . وقد يكون
 السبب الأول في انتهاجه هذه السياسة ضعفه ووهن قواه العسكرية . وكان
 هذا السبب ذاته من الأسباب التي شجعت ابن عمار على أن يتجه بنظره
 نحو مرسية دون غيرها من الإمارات . وقد تأكد ابن عمار من ضعف ابن
 طاهر عن المقاومة عند ما مر عام ٤٧١هـ (١٠٧٨ م) (٢) بمرسية في طريقه
 الى برشلونة لمقابلة أميرها الكونت رايموند بيرانجيه الثاني ، إذ انتهر فرصة
 وجوده في مرسية فأصل بطائفة من وجهائها الذين وجد لديهم استعداداً
 لضرب ابن طاهر فعقد معهم الصفقات وضمن منهم المؤازرة والتأييد . وفي
 برشلونة بذل ابن عمار جهده لاقتناع الكونت رايموند بمساعدته وصورله
 سهولة الفتح ويسره ووعدته بمبلغ عشرة آلاف مئقال من الذهب ثمناً
 لمؤازرته وتأييده (٣). وتم عقد اتفاق بين الأمير المسيحي والوزير الأشبيلي
 حول هذا الموضوع . ولكي يضمن كل منها تنفيذ العقد ، فقد وضع ابن
 عمار الرشيد بن المعتمد رهينة لدى رايموند ، وقبل هذا الأخير إعطاء
 ابن أخيه رهينة لدى ملك إشبيلية .

ويقول دوزي ، إن المعتمد كان يجهل تفاصيل هذه الاتفاق ، وإن

(١) الذخيرة ق ٢ ، ف ابن وهبون .

(٢) بني عباد ، ج ٢ ، ص ٩٣ .

(٣) مذكرات الملك عبدالله بن زيري ، الاندلس ، ١٩٣٥ ، ص ٢٢٤ .

ابن عمار لم يشأ أن يخبره عنه ، لأنه كان واثقاً من وصول المال في الوقت المحدد له . ولكن قولاً مثل هذا يصعب الأخذ به ، إذ أن ابن أخي رايموند كان رهينة لدى المعتمد لهذا الغرض ذاته ، كما كان ابنه نفسه لدى الأمير المسيحي ، وليس من المعقول أن تقوم حملة مهمة مثل هذه ، عقد عليها المعتمد آمالاً كبيرة ، بل وساهم فيها شخصياً لحد كبير ، دون أن يكون له علم بأهم شروطها . بل إن تسلسل الحوادث نفسها لا يدل مطلقاً على مثل هذا الجهل . إلا أن من الواضح كما سنرى أن هذه الحملة كانت سبباً في اساءة العلاقات وتعكير الجو بين الملك ووزيره ، ومناشبة لتبادل رسائل أدبية شعرية قيمة مما سنأتى لذكره في حينه .

وهكذا توجه الجيش الاشبيلي ، يسانده عدد من الجنود البرشولونيين لمحاصرة مرسية ، ولكن المدينة لم تستسلم للغزاة بالسهولة التي كان ينتظرها ابن عمار . وما لبثت أمور الجيش الاشبيلي أن ساءت عندما استفحل الخلاف بين المسيحيين والاشبيليين لأسباب لا نعرفها بدقة ، وان كانت الاشارات الواردة في كتب التاريخ تشير الى أن سببها الرئيس كان الخلاف حول المبلغ الذي تمهد به الوزير الاشبيلي للأمير المسيحي والتأخر في اعطائه من جهة ، والخبية التي شعر بها هذا الاخير عندما رأى صعوبة قهر المدينة بعد أن صورها له ابن عمار فريسة سهلة يسيرة المنال من جهة اخرى (١) .

فكان أن ألقى الرشيد بن المعتمد في السجن وقبض على الوزير الاشبيلي وشنت شمل قوته حين حاولت اتقاذه ، وطالب رايموند فظلاً عن ذلك بثلاثين ألف

(١) ملذكرات الملك عبد الله بن زيرمي ، الأندلس ١٩٣٥ ، ص ٢٢٣ .

ديثار لقاء مجيئه واطلاق أسيريه .

وفي هذا الوقت ذاته كان المعتمد يسير على رأس جيشه متقدماً ببطء نحو مرسية ومعه ابن أخي الكونت ريموند . ولكنه ما كاد يصل قرب جيان حتى قدمت عليه فلول جيش ابن عمار تنبئه بما حدث ، فأشتد غضبه على وزيره وأمر بالقاء ابن أخي الكونت ريموند في السجن مكبلاً بالحديد ، ثم توجه الى مدينة جيان حيث أرسل الى الامير المسيحي المبلغ الذي طلبه لكي يطلق سراح ابنه ووزيره ، وما كادت النقود تصل حتى اطلق سراحها . ويذكر فريق من المؤرخين أن المعتمد سلك نقوداً ناقصة الوزن خدع بها الكونت ولم ينتبه هذا الأخير لهذه الخدعة إلا بعد إطلاقه لسراح أسيريه (١) .

أما ابن عمار فقد خرج خائفاً يترقب . لقد عرف أن الملك لا بد غاضب عليه ، ناغم لفشله . ولم يجد في موقفه الحرج هذا من سبيل يلجأ اليه لانتقاذ نفسه من محنته وتخليصها من ورطته سوى الشعر .

وهنا تبدو ظاهرة ذات معنى في إنتاج ابن عمار الأدبي سبق أن اشترنا اليها وهي أن شاعرنا لا يجيد إلا إذا تملكه الخوف وملا نفسه القلق واستبد به الرعب ، إذ أن أبياته لا تصبح مجرد عبث لغظي وزخرفة بيانية او بديعية مصطنعة ، وإنما تزخر بالشعور الصادق وتفويض بالاحساس العميق والعاطفة الجياشة . ومرد ذلك طبعاً الى الاخلاص في التعبير ، إذ قل ما نراه في الشعر

(١) الحلة السيراف ابن عمار

الذى تفرضه المناسبات والذى يكون القسم الأكبر من انتاج ابن عمار الأدبى . فاذا وجد هذا الاخلاص وأضيف الى تمكن الشاعر من ناصية النظم وقبضه على زمام اللغة ، جاء شعره رائعاً ينفذ الى النفس ويحرك أوتار القلب ويبعث فيها ذلك الشعور بالارتياح والمشاركة العاطفية ، ذلك الاحساس الذى نطلق عليه المتعة الادبية اوالتذوق الفنى .

البائيتان

ويبدو أن الشاعر كان قلقاً حقاً ، تملأ نفسه المرارة والحيرة ، فقد فشل مشروعه بعد أن أفق في سبيله ما أفق من جهة ، وفقد من الجهة الاخرى ثقة ملكه ورضاه . ومن المحتمل أن لا يصل الألم والقلق بابن عمار الى هذا الحد لو لم يكن في مثل هذا الموقف الحرج يعصر قلبه الخذلان وتملاه مرارة الهزيمة . ولنترك ابيات الشاعر نفسها تصف لنا النزاع الذى كان يعاينه والصراع الذى يتجاذبه والقلق الذى كان يملك عليه نفسه ويستحوذ عليه ، إذ يقول (١) :

أأركب قصى أم أعوج مع الركب ؟

فقد صرت من أمرى على مركب صعب

وأصبحت لا أدرى أفي البعد راحتى

فأجعله حظى أم الخير فى القرب ؟

(١) الخلة السيرة . ف ابن عمار ، Mus . Esp . T . 3 . P . 109 - 1

على أنني أدري بأنك مؤثر

على كل حال ما يزحزح من كربى

فهو رغم ترده وقلقه ، يدرك أن الملك أقرب الى العفو عنه والتجاوز
عن إساءته ، بل إنه لا يتصور أن المعتمد يمكن أن يقف غير هذا الموقف
أو يسلك معه غير هذا المسلك ، فهو رغم جريته التي سببها الحظ العاثر لم
يخن الملك او يقوم بعمل يقصد به النيل منه وإضعاف سلطانه ، كما لم يكن
ضعف الرأى او العجب والكبرياء سبب نكبته وإنما هي ظروف أقوى منه
واشد بأساً من من رأيه وتديره :

أيظلم في عيني كذا قر الدجى!

وتنبو بكفى شفرة الصارم العضب!

حنانيك فيمن انت شاهد جده

وليس له حاشا انتصاحك من حسب

وما جئت شيئاً فيه بغى لطالب

يضاف به رأى الى الضعف والعجب

سوى أنني أسلمتني للمعة

فلت بها حدى وكسرت من غربى

أما أنه لولا عوارفك التي

جرت في جرى الماء في الفصن الرطب

لما سميت تهمي ما أسوم من الأذى
 ولا قلت إن الذنب فيما جرى ذنبي
 ساستمنح الرحى لديك ضراعة
 وأسأل سقياً من تجاورك العذب
 وإن تفحنتني من سمائك حرجف
 سأهتف يابرد النسيم على قلبي

ففضلا عن قيمة هذه الايات التأريخية ، لأنها تعكس لنا مرحلة من
 مراحل العلاقة بين المعتمد ووزيره ، فان قيمتها الأدبية لا يتطرق اليها الشك .
 ولعل مصدر هذه القيمة الاخيرة ، هي في أن الشاعر لم يتقصد اللعب بالألفاظ
 وإظهار براعته في رصف الكلمات وزخرفة العبارات واستعمال المحسنات
 البديعية ، بل اراد التعبير فعلا عن شعور عميق كانت تضحج به نفسه ويفيض
 به قلبه ، كان يريد ان تنعكس في كلماته مشاعر الألم والخوف والخيبة والحذر
 والرغبة في استرضاء الملك وكسب وده ، كان يريد أن يهز مشاعر المعتمد
 ويحلب إعجاباه ويستدر عطفه ، ولذلك استكملت القطعة الأدبية عناصرها
 الاصلية وهي مضمون قيم ناضج في شكل رائع منسجم .

وقد كان لهذه القطعة أثرها في نفس المعتمد فلجابه قائلا (١) .

لدى لك العتبي تزاح عن العتب
 وسعيك عندي لا يضاف الى ذنب

(١) الديوان ، قس ٥٥ .

وأعز علينا أن تصيبك وحشة
 وأنسك ما تدريه فيك من الحب
 فدع عنك سوء الظن بي وتعمده
 الى غيره فهو الممكن في القلب
 قريضك قد ابدى توحش جانب
 فجاوبت تأنيساً وعلمك بي حسبي
 تكلفته أبغني به لك سلوة
 وكيف يعانى الشعر مشترك اللب

ومما يتصل بهذه الايات والتي سبقتها آيات اخرى تشابهها في الوزن
 والروى ، بل إن مؤرخى الأدب كثيراً ما خلطوها بعضها بالبعض الآخر
 وأوردوها في المناسبة نفسها ، ولا نجد غير ابن الأبار وحده يميزها من
 الايات المارة الذكر ، ويذكر نقلاً عن أحد جامعي ديوان ابن عمار ،
 ابى الطاهر التميمي أنها قيلت في حال أوجبت إيجاشاً بين المعتمد ووزيره (١) ،
 وهي لا تقل عن الأيات السابقة من حيث قيمتها الأدبية ، وتكاد تعكس
 نفسها تشبه تلك النفس التي جادت بالاولى ، كتب ابن عمار :

أصدق ظنى أم اصيخ الى صحبي
 واقضى عزمي أم أعوج مع الركب
 إذا انقدت مع رأبي مشيت مع الهوى
 وإن أتمقبه نكصت على عقبي

(١) الحقة السيرة ، فابن عمار ، رواية ابى الطاهر التميمي . الذخيرة ق ٢ ، ف ابن عمار .

وإني لثنيي إليك مودة
 يغيرها ما قد تعرض من ذني
 فما أغرب الايام فيما قضت به
 تروني بعدى عنك آانس من قربي
 أخافك للحق الذي لك في دمي
 وأرجوك للحب الذي لك في قلبي
 وكم قد فرت يمينك بي من ضريبة
 ولا بد يوماً ان يفلل من غربي
 وأعلم أن العفو منك سجية
 فلم يبق إلا أن تخفف من عتي
 ولي حسنات لوأمت ببعضها
 الى الدهر لم يرتع بنائبه سري
 ولا بد ما بيني وبينك من
 يطبقها ما بين شروق الى غرب

ويبدو ابن عمار ، في هذه الايات ، التي ربما تكون قد قيلت بهذه
 المناسبة أو في أخرى مثلها ، رغم قلته وتردده ، أربط جأشاً وأشد نقة
 بنفسه ، بل إنه يمتن على الملك بما ثره واعماله ويذكره بخدماته وحسناته
 التي يذكرها له الدهر .

وعلى هذه الايات أجاهه المعتمد بقوله (١) :

تقدم الى ما اعتدت عندي من الرحب

ورد نلقك العتي حجاباً عن العتب

متى تلتقني تلق الذي قدس بلوته

صفوحاً عن الجاني رؤوفاً على الصحب

سأوليك منى ماعهدت من الرضى

وأصفح عما كان إن كان من ذنب

فما أشمر الرحمن قلبي قسوة

ولا صار نسيان الأذمة من شعبي

وهذه الأيات كما ذكرت كثيراً ما تختلط لدى المؤرخين مع الايات

السابقة وتخرج بها بحيث يصعب إثبات ما قيل منها في هذه المناسبة او ما يقل.

ولكن ما نستطيع تأكيده هو أن روحاً واحداً تقريباً يتخللها ويكسبها

قيمة ادبية متقاربة ، مصدرها شعور الشاعر المتدفق واخلاصه في التعبير

ومقدرته عليه .

وكان في جراب المعتمد لابن عمار ما يطمئنه ويبعث في نفسه الثقة برضاه

وعفوه ، فيقدم اليه وينال الصفح منه . وقد حاول المعتمد حل المشكلة التي

اوقعه ابن عمار فيها باتفاقه مع حاكم برشاونة المسيحي ، مرسل اليه عشرة

آلاف قطعة من الذهب التي اتفقا عليها ، ولكن الامير المسيحي لم يعد

(١) الحلة السراء ، ف ابن عمار . الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابن عمار .

يقبل بغير ثلاثين ألفاً ، فلم يكن من المعتمد ، كما يقال . الا أن ارسل اليه
الثلاثين ألفاً التي طلبها واسكن بوزن أقل من الوزن المقرر ، فتسلمها راجعاً وند
ولم ينتبه اليها اليها الا بعد اطلاقه سراح الرشيد ، ولات حين غضب (١) ،
كما سبق أن اشرنا الى ذلك من قبل .

ولدينا حول هذا الموضوع وثيقة تاريخية لا بد من الاشارة اليها وهي
رسالة كتبها ابو بكر بن القصيرة على لسان المعتمد الى صديق له نجدها في
مخطوط الذخيرة لابن بسام ، القسم الثاني ، يقول فيها : « لم يغيب عنك من
مجلى الحال بمرسية وجه أجلوه ، ولا الطوى من فحواه امر أشتره وأبديه ،
وها أنا أعرض عليك من باطنها ، ما ربما خفي ، وأنهى اليك من بخواد ما لعله
لم ينم وجهه ولا انهى ، وذلك أن الافرنج ايام تلومهم على صاحبها وإحداقهم
بجانها أرسلوا الى من اعيانهم من قرب على وجه سراها . فاستجبت لندائهم ،
ولم يكذب بخلاج ببالي شك في صدق أنبائهم ، واذا الامر بخلاف ما ذكرته
وعلى غير ماسهلوه . ووقع من الطاولة ما وقع ، وآلت الحال معهم الى ما قد
فشى وسمع ، فأعدت لها الخيل مع فلان ، لاطاله حصرها والاباح ، بنقرها ،
وصاحبها مع ذلك أعمى عن رشده ، يقدم رجلاً ويؤخر أخرى في إعطاء
صنقه يده ليقتضي الله تعالى قدره ويبلغ امره (٢) .

فهو يبرر في هذه السطور القصيرة فشله في حملته الاولى على مرسية ويعرب
عن تصميمه على حصارها وقهرها وقراره بايداع هذه المهمة الى ابن
عمار نفسه .

(١) - الحلة السيرة ، ف ابن عمار . بنو عباد ، ج ٢ ، ص ١١٥ .

(٢) - الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابو بكر بن القصيرة .

الحملة الثانية على مرسية

ان ما عرفه مما نقله لنا المؤرخون العرب (١) ، هو أن ابن عمار كان المحرض الأكبر على القيام بهذه الحملة والمصمم عليها ، فقد ادعى أنه تسلم كثيراً من رسائل التأييد والتشجيع من أشرف مرسية ونبلائها واستعدادهم لمديد المعونة والمساعدة له اذا ما غزا مدينتهم . فما كان من الاعتماد الا أن استجاب لهذا الاغراء ووافق على مشروع ابن عمار وعهد اليه بتنفيذه . ويذكر ابن قاسم الشليبي عند تحذنه عن هذا الموضوع ان ابن عمار ذكر للمعتمد أو زور أن اهل مرسية قد داخلوه وخطبوه وأظهر له كتباً — أمر أنهم كتبوها اليه .

وسار بعد استعداداته الخطيرة هذه الى قرطبة حيث ألحق بجيشه جزءاً مهماً من حاميتها وقضى ليلة بنسجبة أميرها الفتح بن المعتمد حاكم المدينة ، حتى اذا ما بدت خطوط الفجر قدم اليه أحد اتباعه ينهبه الى ان وقت السفر قد حان فيجيبه ابن عمار :

اليك عنى فليلي كله صبيح
وكيف لا وسميري الحاجب الفتح

ويترك الجيش الاشبيلي قرطبة متوجهاً الى مرسية ، وفي طريقه اليها يمر بمحصن بلج . وبلج قائد عربي من شقير قدم على رأس حملة تأييدية عندما

(١) الفخيرة ، ق ، ف ابن عمار

٧
ثار البربر في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) مرسلًا من قبل الخليفة
في دمشق وقد قام بدور مهم في حياة الاندلس قبل الامارة الاموية لاجال
للتحدث عنه الان . وكان يحكم حصن بلج هذا حاكم من سلالة عرف بابن
رشيق . فما كان ابن عمار يصل الحصن حتى استقبله ابن رشيق بخفاوة
وترحاب وقدم له من ضروب المساعدة والتأييد ما اقنع ابن عمار باخلاصه
له وتآزره معه ، فالتحقه بركابه وتعاونوا وياه على تنفيذ غرضه .

وسار ابن عمار بجيشه يعاونه ابن رشيق وضرب حصاراً محكمًا حول
مرسيه ، ولا سيما بمد استيلائه على حصن موله الذي كان يحمي الطريق
الرئيس الذي يمون المدينة بالزاد والطعام (١) . وكان لاحتلال حصن موله
اثر كبير في اهل المدينة ، فشعروا بالضيق والحرج ولاشك ان تأثر
العامة بمثل هذه الازمات يأخذ شكلاً مؤلماً في غالب الاحيان . بل ان
نصيهم هو الاوفر عادة من النتائج السيئة التي تترتب على هذه المشكلات .
فاذا اضغنا الى ذلك ما بذه ابن عمار من المال والوعود لوجهاء المدينة ونبلائها
أدركنا أن المدينة لم تكن لتستطيع الصمود طويلاً امام جيش اقوى منها
عدة واكثر عدداً ، اذا لم يتيسر لها من يساعدها ويشد أزرها من يجاورها
من الأمراء الاقوياء . ولكن لم يكن من سبيل للحصول على هذه المساعدة
والمؤازرة ، فابن عمار قد ضمن صداقة الفونس السادس وحياده . ولم يكن
لابن عبد العزيز ابن ابن عامر أمير بلنسية قدرة على حشر نفسه في

(١) الحلة السيرة ، ف ابن عمار .

مأزق مثل هذا رغم صداقته لابن طاهر أمير مرسية ورغبته القوية في مساعدته ورغم مقتته لابن عمار وتفوره منه ، فقد كانت المشكلات الداخلية والخارجية تهدده بالويل والثبور وقل مثل ذلك عن عبد الله بن زيري أمير غرناطة الذي لم يكذب يصدق أنه تخلص من مؤامرة ابن عمار ومن مكائده ، فلم تكن له رغبة إذن في الدخول معه في صراع جديد ، رغم أنه كان ينظر الى حركة الاشبيليين هذه بغيظ وحسد (١) .

بعد أن أحكم ابن عمار حصاره لمرسية وتأكد من عدم قدرتها على الصمود وأدرك ان سقوطها أصبح مسألة زمن ليس غير ، عاد لاشبيلية تاركاً لابن رشيق أمر قيادة جيشه وتنفيذ خطته وبقي هناك ينتظر ورود الانباء . روى ابن القاسم الشلي ، قال (٢) « وما زال ابن رشيق يناديها ويراوحها بالغارات ويدخل اهلها في القيام على ابن طاهر ويمنيهم الحظوة ، حتى لان قيادهم وصرحوا له بالانحياز ووصلت كتبهم على يديه الى ابن عمار وهو باشبيلية . قال ابن قاسم ، واقد شهدت ابن عمار في القصر باشبيلية يقرأ هذه الكتب وكانت أزيد من عشرين ، فلما استوفأها قال لنا كأنكم بفتح مرسية من غد الى بعد غد ، فكان كذلك » وقد حدث ذلك فعلاً ، فلم تكمد تمضي ايام حتى استسلمت مرسية نتيجة تمرد في داخل المدينة أسنده وأيده المحاصرون ، فأسقط في يدي ابن طاهر ولم يستطع حتى الفرار فوقع اسيراً في أيدي أعدائه .

(١) مذكرات الملك عبد الله بن زيري ، الاندلس ١٩٣٥ ص ٢٢٤ .

(٢) بنو عباد ، ج ٣ ، ص ٨٥ .

وما كادت الأنباء تصل إلى ابن عمار في أشبيلية حتى استأذن المعتمد بالرحيل وترك أشبيلية في موكب حافل تخفق فوقه الرايات وتضرب حوله الطبول . تتبعه مئات المطايا والبغال المحملة بنفائس الهدايا وفاخر الثياب . ويمتاز هذا الموكب الرائع قرطبة في احتفال كبير يحف به الناس تملأه نشوة النصر ويشيع في نفسه الزهو والخيلاء . ومنها يمضي إلى غيرها من المدن التي تقع في طريقه حتى يصل مرسية . إن من الطريف أن يبقى هذا المشهد ماثلاً في ذاكرتنا بضع سنوات بعد ذلك عند عودة ابن عمار إلى قرطبة حاسر الرأس بين عبدلي بن علي حمار هزيل والاس تلي في وجهه الشتائم وترميه بالحجارة .

وصل ابن عمار مرسية فدخلها بموكبه المهيب نائراً الدخان والهبات ، سالكاً مسلك الملوك في توقيعاته (١) حتى إذا كان اليوم الثاني جلس في قصر الإمارة يستقبل المهنئين ويوزع الجوائز ، وقد ارتدى فلنسواً طريفة اعتاد المعتمد أن يختص بلبسها وكان يكتب بان يكتب في ذيل ما يقدم إليه . . . « ينمذ هذا إن شاء الله » ، دون أن يذكر المعتمد سيده أو يشير إليه كما تقتضي الأصول الإدارية المتبعة آنذاك وكانت هذه بادرة خطيرة لسلسلة من أعمال العصيان والتمرد قام بها ابن عمار وكان لها أكبر لآثر في مستقبله السياسي .

الجلد السراء ، ف ابن عمار

تمرد ابن عمار في مرسية

لاشك أن بذور التمرد كانت متمكنة في نفس ابن عمار منذ زمن ليس بالقليل قبل دخوله لمرسية . وكانت أغذى هذه البذور وتدفعها الى الانبات عوامل عديدة أهمها :

أولاً :- الفترة المضطربة التي كانت تعيش فيها بلاد الأندلس آنذاك ، فلم تكن نعمة حكومات قوية تستطيع فرض سياستها وسلطانها على جميع البلاد ، بل كانت الخلافات والنزاعات الداخلية تفعل فعلها في إضعاف شوكة ملوك الطوائف وفل تزمهم والفت في معضدهم ، وكان ابن عمار يعرف ذلك حق المعرفة ويدرك أن اشبيلية نفسها ليست في وضع يساعد على أن تدخل منفردة في نزاع حاد وصراع عنيف .

ثانياً :- اعتداد ابن عمار بنفسه وإيمانه بمحكته السياسية ودعائه في إدارة دفة الحكم - بل لانبالغ اذا قلنا إنه كان يعتقد أن إدارة دولة بني عباد وتوسيع نفوذها يرجع الفضل فيها اليه ، لذا فلا يرى أنه مدين لسيدته بشيء . وقد رأينا أنه كتب للمعتمد يوماً من قطعة :

ولي حسنات لو أمت بيمضها

الى الدهر لم يرتع بذائبه سربي

وسنراه وهو في أحرج - اعائه يطلب من المعتمد العفو والمغفرة مذكره

بخدماته السابقة حين يقول في قصيدة :

وإن رجائي أن عندك غير ما
يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح
ولم لا وقد أسلفت وداً وخدمة
يكران في ليل الخطايا فيصبح

ويتحدث عن غروره هذا عبد الله بن زيري ملك غرناطة فيقول ،
عدا ما ذكرنا سابقاً من رأيه حول نجاحه في رد المسيحيين عن إشبيلية
وإرجاع ابن عمار كل الفضل الى نفسه ، « إنه (اى ابن عمار) بفسوقه
كان يتكبر على اولاده (اى اولاد المعتمد) ويضيق عليهم ويسيء الصنيعة مع
من يجب عليه إكرامه من قرابة سلطانه، والمعتمد في هذا كله يصبر » (١) .

ثالثاً : - صداقة ابن عمار لآلفونس السادس ملك قشتالة وثقته

بتأييده وإسناده . وكان الوزير الاشبيلي كما ذكرنا يدرك أهمية الفونس في
الاندلس وتأثيره الكبير على توازن القوى . فضمانه لصداقته وتأييده ،
كسب ذو قيمة خطيرة وتشجيع كبير له على الاستغناء عن سيده السابق .
ولدينا في هذا الموضوع قصة طريفة يرويها لنا ابن الأبار فيقول ، إن ابن
عمار كان يتختم بخاتميين . وإنه حكى أن ابن طاهر غمز على رسول ابن عمار
المعلم بخاتميه وأنه نسب أحدهما للمؤمن بن هود والثاني لآذفونش بن
فردلند ! ! وقال أبو الطاهر التميمي إن الوزير أبا بكر بن عبد العزيز قد

(١) مذكرات الملك عبد الله بن زيري ، الاندلس ، ١٩٣٥ ، ص ٣٢٥ .

« ندر فيه حين بلغه أن أذفونش ملك الروم أعطاه خاتماً عند اجتماعه به
ولياذه فراراً من الوحشة الواقعة بينه وبين ابن عباد وتخوفاً منه ، فقال
« أخاتم التأمرام خاتم التأمين » (١) فقال ابن عمار عندما بلغه ذلك قصيدته
التي مطلعها « قل للوزير وليس رأى وزير » والتي سنعرض لها فيما بعد .
رابعاً : - غنى مرسية و ثروة ابن طاهر كما ذكرنا ، فقد كان واسع
الثراء وتقدر املاكه بنصف كورة مرسية .

خامساً : - عدم وجود أساس شرعى للسلطة غير المال والقوة في
الأندلس آنذاك . فمن امتلك المال استطاع تجنيد المرتزقة وجمع الاتباع
وضم الاعوان ، ونظرة بسيطة على الاصول التي انحدر منها ملوك الطوائف
تثبت لنا هذه الحقيقة . فلم يكن ابن عمار إذن يتحرج عن طلب الملك
والسلطان مادام المال متوفراً لديه وما دامت ظروف البلاد تشجعه على ذلك كل
التشجيع .

كل هذه العوامل وأخرى غيرها دفعت ابن عمار الى التفكير في التمرد
في مرسية وقطع كل علاقة تربطه بالعمد بن عباد . وقد بدت مظاهر هذه
الرغبة كما رأينا منذ بدء قدومه الى مرسية ، بل إن اشارات كثيرة
سبقت هذا القدوم كانت تعرب عن نيات الوزير المبيتة ، وتدل على أن
العمد نفسه ، لم يكن غافلاً عن هذه النيات ، حتى ان ابن الابار يروى لنا
رواية تبعث على الدهشة والاستغراب فهو يقول نقلاً عن أبي بكر محمد بن

(١) ابن الأبار الحلة السبويه ، ف ابن عمار .

القاسم الشليبي ما تلخيصه « إن ابن رشيق لما قرىء كتابه المضمن دخول مرسية ، باشبيلية ، ارتاح ابن عمار واعمل نظره في اللحاق بها وأشار على المعتمد بذلك ، فما خالفة فواقاً ، فلم يترك ابن عمار باشبيلية في ملك سلطانه ولا ملك أحد من معارفه فرساً عتيقاً ولا مطية ولا زاملة إلا استخرج ذلك من أيديهم رغبة ورهبة وأحضر له التجار ما بأيديهم على اختلاف بضائعهم من الديباج والخزالي ما دون ذلك من نفيس الكساء ليعم بذلك أهل مرسية على قدر منازلهم عنده ، ولم يخف عن ابن عباد وجه مراده ، فلما سلم عليه مودعاً ، قال له : سر الى خيرة الله ولا تظن أنني مخدوع ، فقال (ابن عمار) : لست بمخدوع ولسكنك مضطر . فسلم عنه وخرج من إشبيلية ، وأقام بظاھرھا أربعة ايام يستوفي أغراضه ثم رفع ألويته وقرع طبوله ، وسار لا يمر ببلد من اعمال ابن عباد الا استخرج منه كل ذخيرة حتى وصل الى مرسية ٥٠٠ » (١)

ويذكر ابن زيري ملك غرناطة في حديثه عن محاولة ابن عمار فتح هذه المدينة أنه « كان الناس يتوقعون عليه الفساد عند محاولة أمرها (اي مرسية) » (٢) .

ابتدأت شقة الخلاف تتسع بين المعتمد وابن عمار وازداد الخلف بينهما شدة وقوة ، لا بسبب الأعداء ، كما يدعي ابن عمار في أبيات بعث بها الى المعتمد

(١) الحجة السيراه ، ف ابن عمار . دوزي ، بنو عباد ، ٢٦ ، ص ٩٧ .

(٢) مذكرات الملك عبد الله بن زيري ، الاندلس ، ١٩٣٥ ، ص ٢٢٤ .

حيث يقول (١) :

أظن الذي بيني وبينك أذهبت
حلاوته عنى الرجال الخبائث
تكرت لا أنى لفضلك ناكر
لدى ولا أنى لهدك ناكت

ويؤيده في هذا الادعاء دوزى (٢) . وإنما بسبب ما اوضحناه من مطامح ابن عمار ومطامحه واعتداده بنفسه ورغبته القوية في أن يشيد لنفسه سلطاناً مستقلاً يناسب ما يعتقد أنه يمتلك من عزم وحزم ودهاء . لقد كان وانتماً كما قلنا ، من استطاعته الصمود في مقله الجديد لاسيما وأن الفونس يقف الى جانبه . وسنرى أن شعره في هذه الفترة يعكس نفسيته واعتداده الشديد بنفسه وغروره الذي قد يبعث على الاستغراب من رجل في مثل مركزه قد خبر الحياة وعرف حلوها ومرها . ولسكن العوامل التي كانت تحيط به والتي سبق أن أشرنا اليها تخفف الحد كبير من هذا الاستغراب . لقد كان ابن عمار يعتقد بأنه قادر بما يملك من قوة ومن تأييد على أن يقف في وجه جميع ملوك الطوائف في الأندلس . ولم تكن علاقته سيئة مع المعتمد بن عباد ملك إشبيلية وسيد القديم فحسب ، وإنما كانت كذلك مع ملوك الطوائف الآخرين . فابن عبدالعزيز ابن أبي عامر أمير بلنسية يبطن له الحقد

(١) ديوان قص ٥٦ .

2 - Mus . Esp , T . 3 , P ; 109

(٢)

والضعيفة (١) . والمعتمد بن صامح أمير المرية وحليف المعتمد كان ينظر
إليه برؤية وحقد وقلق (٢) . وقل مثل ذلك عن علاقته بابن زبري أمير
غرناطة (٣) . ومع ذلك فلم يكن يعتقد أنهم سيكونون مصدر خطر عليه
وسبباً في آذاه ، فكان يسلمهم بلسانه ، ويكبل لهم الشتم والسباب ويهددهم
بالويل والثبور .

وعلى ذلك فقد سلك ابن عمار في مرسية بعد أن نما شعوره بقوته
واعتماده بنفسه ، مسلك الأمراء المستقلين متمرداً على المعتمد وناكثاً
عنده ممة . وعندما عاتبه هذا الأخير متمثلاً بالبيتين التاليين :

تغير لي فيمن تغير حارث

وكل خليل غيرته الحوادث

أحارث إن شوركت فيك فظالما

نعقنا وما بيني وبينك ثمان

أجابه ابن عمار بقصيدة من خيرة قصائده يتنصل فيها من مسؤولية
المرء ويلقي بتبعها على الخشامين والخبثاء ، ويحاول أن يستعيد ثقة
المعتمد به ، مظهر آ في الوقت نفسه خدماته الجليلة للملك وتضحياته السابغة
في سبيله . وليس في هذه قصيدة اعتذار وألم وإنما فيها عتاب ومنه ،
فلنستمع إليه يجيبه على بيتيه السابقين (٤) :

(١) ديوان ، قص ٥١ .

(٢) « » ٥٦ .

(٣) مذكرات الملك عبد الله . الأندلس ، مرجع رقم ٢٠٠٠ ، ص ٢٠٠ .

(٤) ديوان ، قص ٥٦ .

لك المثل الأعلى وما أنا حارث
ولا أنا ممن غيرته الحوادث
ولا شاركتك الشمس في وإنه
لينأى بحظي منك ثان وثالث
فديتك ما للبشر لم يسر برفه
ولا تهت تلك السجايا الدماث

ثم يشير كما ذكرنا سابقاً إلى أن الوشايات والنهائم هي التي سببت هذه
القطيعة وأوجدت سوء الظن . ويعود بعد ذلك ليذكر ملك إشبيلية بخدماته
السابقة وتضحياته الكثيرة في سبيل تقويم دعائم مملكته وتوسيع رقعتها
معاتبه على عدم تقديره لخدماته ومكافأته على تضحياته :

أبعد مضت خمس وعشرون حجة
تجارت بنا تلك الخطوب الكوارث
مضت لم ترب مني أمور شوائب
ولا نليت عنى مساع خبائث
حللت يداً بي هكنا وتركتني
نهاباً وللأيام أيد عوابث
وهي أنا إلا عبد طاعتك التي
إذا مت عنها قام بعدي وارثا

ويحذره ، لا بلهجة التابع لسيدته ، وإنما بلهجة النداء ، تحذيراً فيه
شدة وأمتنان ، يدل على أن الوزير لم يعد يحمل لمليكة ما كان يحمله له من
ارتباط وثيق وطاعة تامة وإخلاص لا تشوبه الشوائب .

أعد نظراً لأنوم من الرأي إنه
قدماً كباهاى وأدرك راءت

ستذكرنى إن بان حبلى وأصبحت
تئن بكفيك الحبال الرثامت

وتفلىنى إن غاب للرأى حاضر
وقد غاب منى للخواطر باعث

أعود بعهد نطته بك أن ترى
تحل عراء العاققات الوافث

وقصيدة ابن عمار هذه ، من أدب الرسائل الشعرية التي كانت سائدة
آنذاك . ولا شك أنها نموذج جيد من نماذج هذا الأدب ، إذ أنها تعكس
لنا بالإضافة الى أفكار الشاعر ، عواطفه وأحاسيسه ، بل إنها يمكن أن تنمى
خلالها حالة الشاعر النفسية وموقفه الحقيقي من الملك . كل ذلك بأللوب
متراك ينسجم مع غايات الشاعر ومتناسد من نظم الأبيات .

إذن فقد ساءت العلاقات بين المعتمد وابن عمار وه بدأ هذا الأخير
يسلك سلوك الأمير المستقل ويظهر بوادر تمرد ، دفعت الأول الى أن

يظهر امتعاضه واستيائه في مناسبات مختلفة ، ومن الطبيعي أن تتسع شقة الخلاف يوماً بعد يوم وأن ينتهي كل ذلك بمساء مستحکم وحققد عنيف كما سنرى .

قلنا إن ابن عمار بمد دخوله لمرسیه اعتقل أميرها السابق ابن طاهر . ويذكر أنه بمد أن سلبه ملكه وأملاکه حاول مجاملته فبعث إليه وهو في الأسر بكسوة حسنة ، ولكن ابن طاهر رفضها وقال للرسول (١) إنه لا يريد سوى سروال قصير وكساء رث وكان ابن عمار أيام عسره وفقره في مطلع حياته الادبية قد قدم على ابن طاهر يستدر عطنه ويستجدي كرمه بشعرة وهو مرتد ملابس رثة تألف من سروال مهلهل ورداء قصير ، فتمص ابن طاهر تذكيره بماضيه والتهم من منبته ، فامتعض ابن عمار وذكر لجلسه غرض ابن طاهر من تعريضه هذا .

ثم أمر باعتقال ابن طاهر في قلعة مونتيكادو . وكان ابو بكر (٢) بن عبد العزيز بن ابي عامر أمير بلمسية صديقاً حميماً لابن طاهر ، فشفع له لدى المعتمد . وبعد مناورات حول هذا الموضوع تم الاتفاق على إطلاق سراح ابن طاهر بشرط أن ينزل عن إحدى القلاع التي كان يحكمها عند اقرباء هذا الاخير ، وهو ابو بكر بن موسى ، لابن عمار . وما كاد ابن طاهر يتملص من القيود ويقصد بلمسية حتى نكث باتفاقه ورفض تسليم القلعة ، يجرسه

(١) الخة السيراه ، ف ابن طاهر ،

(٢) الخة السيراه ، ف ابن عمار .

2 - Mus . EsP . T.3 , p.111 .

على ذلك ابن عبد العزيز أمير بلنسية وعدو ابن عمار اللدود (١) . وأخذ
 الغضب من ابن عمار كل مأخذ فنظم في ذلك قصيدة (٢) ، ضمنها كل حقه
 على ابن طاهر وابن عبد العزيز مندداً بهما وتهماً إيهمما بشتى التهم ، ولا
 سيما بنقض العهود والوعود ، ولم يكف بذلك ، بل هدد بلنسية بالويل
 والنهور . يقول فيها :

خبر بلنسية وكانت جنة
 أنت قد تدلت في سواء الفار
 غدرت وفياً باليهود وقلمها
 عثر الوفي سعى الى الغدار
 ويدعو أهل المدينة الى الثورة والمرد ضد حكامها :

يا أهلها من غائب أو حاضر
 وقتينها من حاضر أو سار
 جازوا بنى عبد العزيز فاهم
 جروا اليكم أسوأ الاقدار
 نوروا بهم متأولين وفلذرا
 ملكاً يقوم على العدو بثار

ثم ينتقل للتحدث عن ابن طاهر ذا كراً مخلصاً لعمه للعهد :

(١) الحلة السبراه ، ف ابن عمار

(٢) ديوان ، قص ٥٨ .

جاء الوزير بها يكشف ذيلها
عن سوءة سوى وعار عار
نكت اليمين وحاد عن سنن التقى
وقضى على الاقبال بالادبار

الى أن يقول :

ما كنتم كأمة صالح
فرماكم من طاهر بقدر
هذا وخصمكم بأشأم طاهر
ورمى دياركم بأسوأ جار
لا بد من مسح الجبين فانما
لطمته غدرأ غير ذات سوار

ويقتل بعد ذلك لانتصر بنفسه ، وامل هذه الايات أحسن ما محتويه
القميدة . إذ تلوح خلالها بوضوح غطرسة ابن عمار وكبريائه واعتداده
بنفسه والصورة التي لديه عنها . وسنجد أننا نستطيع أن نرى خلال هذه
الاصناف مميزات شخصية ابن عمار كما حارلنا رسمها في السطور السابقة
والتالية ، وسنرى أنها كانت سبباً في إثارة المعتمد نفسه ودفعه الى التهم
بوزيره القديم :

كيف التفلت بالخديمة من يدي
رجل الحقيقة من بني عمار

رجل تطعمه الزمان فجاءه
طرفين في الاحلاء والامرار

سلس القياد الى الجميل فان يهيج
فدع العنان طبة التيار

طبن بأغراض الامور محرب
فطن لأسرار المكائد دار

ماض اذا برزت اليه مصمم
هون اذا التفت عليه مدار

كشاف مظلمة وسائس أمة
نقاع أهل زمانه الضرار

عجباً لأشمط راضع ندى الوغى
منه وطوراً في القنا الخطار

شراب أكواس المدام وتارة
شراب أكواس الدم الموار

وأظن أت ابن عمار نجح كل النجاح في رسم صورة رائعة قوية
للسياسي البازع في ذلك العصر، وذكرنا بوضوح الصفات التي يجب ان

تتمثل فيه ، يدل ذلك على أنه كان مدركاً لكل الإدراك لما يجب أن
 يكون عليه رجل السياسة وأهم بذلك جهده في أن يكون كذلك ، ومما
 يلفت النظر في هذا الموضوع البيت الأخير ، والواقع أن هذه الصفة كانت
 مصدر نخر واعتزاز في الأرستقراطية الأندلسية ، بل إنها صفة من صفات
 الرجل المثالي لهذه الطبقة وهو المترف في اللهو في ساعات الأوس والمصرف
 في الشجاعة عندما يتطلب الأمر ذلك .
 وفي آخر هذه القصيدة يمدح ابن عمار بلهزمة بالول والثبور ويتوعددها
 بالشر المستطير ؛

جران أذبال القنا ظنوا به
 قد جاءكم في الجحفل الجرار
 وكانكم بنجومه ورجومه
 تموى اليكم من سماء غبار

الى آخر القصيدة .

وكان لهذه القصيدة نتائج خطيرة جداً ، إذ ما كادت تصل الى المعتمد
 وكان الموقف بينها آنذاك قد بلغ حداً كبيراً من التوتر حتى خطرت له خاطرة
 سرعان ما نفذها ، فقد رأى في اعتداد ابن عمار بنفسه وافتخاره بها ، وهو
 الذي انتشله آل عباد من وهدة النقر والتشرد ، رأى في ذلك سخيرة مما
 بعدها سخيرة ، فأذا به يكمل بيت الوزير المدعى ؛

كيف التفت بالخدمية من يدى

رجل الحقيقة من بنى عمار

لهذا ابتد بالروى نفسه والقافية عنها ، يقولها على لسان الشاعر معتداً
بنسبه الكريم وماضيه اللامع واهجاده اسرته العتيده ، بل إنه ليذهب الى
أبعد من ذلك فيذكر شمس أم ابن عمار وقصرها المنيف وحياتها الباذخة ،
كل ذلك بتهمك لاذع وسخرية مرة ، فإكان لابن عمار كما رأينا مجد يعتد به
او اسرة يذكرها ، وانما قضى حياته الاولى فريسة للهقر وضحية للحرمان ،
وعانى من قسوة اليمش وفضاضة الزمن ما جعله مغرب المثل في الرجل
المغمور يرقى سلم المجد والشاعر الشريد يصل بمناف العظماء والوزراء والحكام
لذا فتمدست فيه ابيات المعتمد جرحاً كاذباً زمانياً بأبي عليه ، فإنا به كما
يذكر مؤرخو الاندلس يشور ويسخط وأخذ منه الحق والغضب كل مأخذ
فينظم أحياناً لاذعة كلها شتم وسباب للمعتمد وذويه مطلعها :

ألاحي بالغرب حياً حلالاً

أناخوا جمالاً وحازوا جمالا

فمن أجداد المعتمد الذين يعتد بهم نسير رعاة الابل في بطون الصحراء
أهكمهم الجذب وأضناعم العدم :

وعج بيومين (١) أم القرى

ونم فعسى أن تراها خيالا

(١) يومين ، هي القرية التي نشأ فيها بنو عباد .

لتسأل عن ساكنيها الرما
د ولم تر للنار فيها اشتعالا

ويذهب الى أبعده من ذلك فيتناول اعتماد الرميكية زوج المعتمد ويصمها
وأولادها بأقبح الصفات :

أيا فارس الخليل بازيدها
حيت الحلى وأبجت العبالا

(٢) أراك توري بحب الذسا
وقد ما عهدتك تهوى الرجالا

(٢) نخبرتها من بنات الهجا
ن رميكية ما تساوي عقالا

(٢) فجاءت بكل قصير المذا
ر لئيم التجارين عمأ وخالا

بصفر الوجوه كأن استها
رمام فجاءوا حيارى كسالا

قصار الضدود ولسكنهم
أقامرا عليها قرونا طوالا

ويتلو ذلك بهجاء متمدع ، شديد الاقتداء المعتمد نفسه فيصفه
بأقبح الصفات وينعته بأبشع الذموت . (١)

(١) الحجة السبوا ، ف . ابن عمار .

ويذكر مؤرخو الأدب الأندلسي أن ابن عمار حرص على أن لا تتجاوز هذه الآيات خاصته المقربين إليه ، فقد كان على اعتداده بنفسه يخشى غضب المعتمد ، إلا أن القصيدة مع ذلك تسربت لابن عبد العزيز أمير بلنسية فأرسلها هذا بدوره مسرعاً الى المعتمد ، فإمن فرصة أحسن من هذه لانتارة حقد ابن عباد على عدوه اللدود . ويقولون إن ابن عبد العزيز حصل على قصيدة ابن عمار هذه بفضل تاجر يهودي من أهل الأندلس عهدت إليه هذه المهمة لقاء جائزة مغرية ، فتسرب الى حاشية ابن عمار وحصل على نغته وانخرط في سلك خواصه ، فسمع فيمن سمع هذه القصيدة ، بل ويقولون إنه نجح في الحصول على نسخة منها بخط ابن عمار نفسه (١) .

ومها كان شأن هذه الرواية التي قد تكون ضرباً من الحكايات النادرة والفكك المختلفة ، فان قصيدة ابن عمار هذه وصلت الى يدي المعتمد فأثارت حفيظته وألهمت غضبه وأضمرت حقدته وقنت على آخر ما تبقى من ذكريات صداقته لوزيره القديم . وكان شأن اعتماد ، التي خصها ابن عمار في قصيدته بنصيب وافر من سبابه وشتمه ، شأن زوجها ، بل وربما كان حقدما أعمق ازراً وأقوى جذوراً ، فقد سبق أن ذكرنا علاقاتها السيئة بوزير زوجها المقرب اليه ، ويؤكد سوء هذه العلاقة ، تخصيص ابن عمار هذا الجهد في ابيانه للتبيل منها والغض من قدرها ومنشئها .

وقيل إن ابن عمار لم ينظم هذه الآيات ، وإنما إنما قيلت على لسانه

(١) الحلة السيرة ، ف ، ابن عمار .

لا تارة غضب المعتمد وإضرار نار الحقد في قلبه ، وذكر أن ابن عبد العزيز هو مدبر هذه المكيدة وملق هذه التهمة (١) .

ولسكننا نرحح أن ابن عمار قد قال هذه الايات فملا فيهم تلتئم مع نفسيته وبذبح أسلوبها وافكارها مع أسلوبه وأفكاره . ثم إن المعتمد ذكر بصراحة ووضوح في رسالته بعث بها لأحمد مكارفه من الحكام أن ابن عمار قد اسرف في الكلام النبيح والسباب الشائن لحد لا يمكن التغاضي عنه (٢) . ولا نعتقد أن هجاء ابن عمار لابن عباد كان يصل لهذه الدرجة من الخطورة لو لم يكن هذا الشكل الذي رأيناه في هذه القصيدة .

إذن فقد انقطع آخر خيط يصل بين ملك إشبيلية وحاكم مرسية المتعرد . وأصبح المعتمد يتربص الدوائر بوزيره القديم وينتظر الفرصة السانحة للانتقام منه والبطش به ، ولم يعد في الامكان أن يغتفر هو ولا اعتماد واولادهما سباب ابن عمار وشتائه .

ولسكن شاعرنا الذي كان يعرف حق المعرفة حال ملوك الطوائف آنذاك ، لم يكن ليكثرث كثيراً بفضيهم أو رضاهم ، فانطوى على نفسه يتمتع بملكه الجديد ويعب كؤوس التهمة والاهو بكل وسائلها المتيسرة وسبلها المعروفة . وابن عمار ، كما عرفناه ، شديد التعلق بالخر ، قوى الميل لمجاس الأنس وما فيها من لهو وطرب منعطف نحو اللذات الحسية لانكاد تفوته منها واحدة ولعل احساسه بأنه بعيد عن متناول أيدي أعدائه شجعه على الانصراف الى طوه

(١) الحقة السيرة ، ف ابن عمار

(٢) الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابو بكر بن القصيرة .

وعبثه وأنسه . فترك أمور الإدارة في أمارته لمساعدته ابن رشيق الذي لم يتوان عن تقوية نفوذه ووضع أتباعه وأعوانه في المراكز الحساسة والوظائف المهمة (١) .

وليس بين أيدينا مما أنتجه ابن عمار في هذه الفترة غير القصائد التي صرحت الإشارة إليها (١) ، وهي كما يبدو بوضوح غير ذات قيمة فنية كبيرة ، فليس فيها سرى طائفة من الأفكار المضطربة حاول الأديب سردها قاصداً الاغراب في السب والاغراب في التحقير ، ولكن قيمتها التاريخية في حياة الأديب ذات خصلتين . إذ أنها كشفت عن ناحية مهمة من نفس ابن عمار ، ورسمت لنا صورة عن حاله مع أمراء الطوائف المسلمين وموقفه منهم .

ورب سائل يسأل ، كيف جاز لابن عمار وهو الذكي الأريب أن يخلق لنفسه الأعداء ويحيطها بهم ، دون أن يخشى على سلطته منهم ويحذر من تأييدهم عليه . والجواب عن ذلك أنه ، بالإضافة الى ادارته مدى قوتهم ، كان واثماً بتأييد أمراء النصارى ولا سيما العونى السادس ملك قشتالة ومناصرتهم له . وكان العونى كما سبق أن ذكرنا هو المحرك الوحيد لميزان القوى - قبل تدخل المرابطين - في تلك البلاد التي تقطعت أوصالها وهدت النزاعات الداخلية والهجمات الخارجية قواها .

(١) الحلة السراة ، ف ابن عمار ، مذكرات عبد الله بن زيري ، الاندلس ١٩٣٥

ص ٣٣٤ ، بنو عباد ، ج ٢ ، ص ١٠٢

(٢) ديوان ، قس ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ .

ابن عمار و طليطلة

في هذا الوقت الذي استقر فيه الأمر لابن عمار في مرسية كانت مدينة طليطلة نجتاز أزمة عنيفة جداً ، هي تلك التي أودت بها وأخرجتها من حضيرة الاسلام ، فقد اندلعت في المدينة عام ٤٧٤ هـ (١٠٨٢ م) ثورة صاخبة قام بها فريق من شيوخ المدينة ضد ملكها القادر بن ذى النون . وفي الوقت نفسه كانت جنود ألفونس السادس حليف القادر تحوط المدينة لمنع أهلها من الخروج منها ولتنتظر فرصة مناسبة للانقضاض عليها وانزاعها من أيدي المسلمين . ودامت هذه الحال في طليطلة مدة سنتين دون أن تحل الأزمة ودون أن يستطيع الملك أو أهل المدينة الثأرون القبض على زمام الامور (١) . فليس من الغريب إذن أن نرى ابن عمار وهو رجل المؤامرات والدسائس يأبه للأمر ويحشر أنفه فيه محاولاً استغلاله لمصلحته ، بل العجيب أن لا يحدث ذلك .

فما كادت له تستقر في مرسية حتى قرر حوالي ٤٧٥ هـ (١٠٨٣) او في اوائل ٤٧٦ هـ (١٠٨٤) التدخل مباشرة في أمر طليطلة ، فتوجه اليها تاركاً في مرسية مساعده ابن رشيق يدير الامور ويرتب شؤون المدينة . وفي طليطلة اتصل ابن عمار بأشراف المدينة وادعى أنه رسول من ملك قشتالة المسيحي ألفونس السادس واقترح عليهم مشروعاً أمل أن يحظي هو عند تنفيذه بحصّة الأسد . ويقول عبد الله بن زيري ملك غرناطة آنذاك في

1 - Levi - proveual , Islam d' occident , p. 127-132

مذكراته ، وهو الوحيد الذي روى لنا هذه الحادثة (١) ، إن ابن عمار كان مرسلًا من قبل الملك المسيحي وأنه كان في خدمته . إلا أن كره ملك غرناطة الشديد لابن عمار وتسلسل الحوادث كما سنرى وطبيعة المشروع الذي عرضه كلها تشير إلى أنه كان يعمل قبل كل شيء ، لحسابه الخاص وإن كان لم يغفل الفونس من هذا الحساب ، وربما كان واثقًا من رضاه وموافقته على اقتراحاته .

ويتلخص مشروع ابن عمار الذي قدمه لتبلاء طليطلة وأشرافها ، في أن يطرد أهل طليطلة أميرهم القادر بن ذي النون ويحكموا أنفسهم مباشرة بواسطة مجلس من الأشراف على أن يؤدوا لألفونس السادس أتاوه سنوية معينة ، أسوة بما يفعله الأمراء الأندلسيون الآخرون ليأمنوا شره ويحظو بحمايته . واعتقد فريق من الأشراف الطليطليون بصحة مهمة ابن عمار ووافقوه عليها واتخذوا الأهبة لتنفيذ مشروعاتهم ، إلا أن القادر علم بالمؤامرة قبل تنفيذها فأحبطها ، ونكل بالمأمورين ففروا ملتجئين إلى الملك المسيحي . أما ابن عمار نفسه فتوجه نحو سرقسطة ، وهناك وردته الأنباء المريعة بثورة ابن رشيق مساعدته وحليفه في مرسية وتمرده عليه واغتصابه حكم المدينة واستيلائه على ثروة ابن عمار الطائلة لنفسه وطرده لعائلة هذا الأخير من المدينة ، فأسقط في يد ابن عمار ولم يجد وسيلة لاسترداد ملكه السليب . نظر حوله فلم يجد سوى أعداء يكيدون له ويتربصون به الدوائر ، بل إن

(٢) مذكرات الملك عبدالله بن زيري ، الأندلس ، ١٦٣٥ ، ج ٣ ، ص ٣٢٤ .

ألفونس نفسه استقبل هذا الحدث ببرود تام، حتى ليقال إنه علق عليه بقوله، إن ابن عمار كالسارق الذي سرق منه ماسرقة (١) ويبدو أن ابن رشيق لم يهمل ألفونس من حسابه حين قام بحركته فاسترضاه بما يكفل بقاءه محايداً على الأقل (٢).

ويذكر الملك عبد الله بن زيري في مذكراته بعد أن يروي مغامرة ابن عمار في طليطلة أن « ليس كل الناس علم سر الامر كما نصفه » (٣).

ولعل في هذا التفسير لعدم ورود هذه الحادثة فيما رواه لنا المؤرخون من حياة ابن عمار والغموض الذي احاط بخروجه من مرسية.

ورغم أننا لا نستطيع تحديد غرض ابن عمار من مغامرته في طليطلة، ولا نعرف فيما اذا كانت لحساب ألفونس السادس كما يذكر ملك غرناطة أو كانت لحساب غيره، فإن ما نعرفه عن تقسية ابن عمار وأغراضه يدفعنا الى التساؤل فيما اذا كان شاعرنا لم يجد في طليطلة وهي في أزمته الحارقة، فريسة سهلة المنال يرضى بها طموحه ويقنع مطامعه؟ وعلى كل حال فقد كان حصيد ابن عمار من هذه المغامرة فشلاً ذريعاً وضربات قاصية، فمفضلاً عن فشل مؤامراته فإن نيبه عن مرسية كانه غالباً وفسح المجال لابن رشيق الطموح لكي يضرب ضربته محذوق وبراعة.

وكان ابن رشيق كما قدمنا قد أحكم تنظيم خطته فوضع أصدقاءه

(١) الحلة السيرام، ف ابن عمار، بنو عباد، ج ٢، ص ١٠٤.

(٢) الحلة السيرام، ف ابن عمار، بنو عباد، ج ٢، ص ١٠٤.

(٣) مذكرات الملك عبد الله بن زيري، الاندلس، ١٩٣٥، ج ١، ص ٣٢٥.

واقرباءه في المرا كز المهمة ، وولاهم إمرة القلاع الحصينة ، وجمع حوله الجند (١) ، ثم ولى وجهه شطر أنفونس السادس حليف ابن عمار الوحيد فأرضاه بالمال والهدايا كما ذكرنا ، حتى اذا تم له الأمر في الداخل والخارج وجه ضربته الى رئيسه وأغلق أمامه ابواب المدينة .

ابن عمار في سر قسطة

لم يجد ابن عمار بعد أن يئس من الرجوع لمرسية من ملجأ يأوى اليه سوى سر قسطة في الشمال الشرقي من اسبانيا المسلمة حيث يحكم المؤتمن بن هود الذي يكاد يكون الوحيد من بين الامراء الاندلسيين المسلمين الذي لاتزال علاقته طيبة بابن عمار ، فاستقبله استقبالاً حسناً وخصص له منزلاً يسكنه هو وأهله ومنحه رزقاً يساعده على العيش (٢) .

ولسكن الإقامة لم تكن ممتعة في سر قسطة بعد فقد المال والاصدقاء وزوال الملك والسلطان ، فأزمع السفر الى الاررة التابعة لأمارة سر قسطة ، حيث يقيم حاكماً فيها المظفر بن هود . ولسكن الإقامة هناك لم تكن اشد إمتاعاً له من إقامته في المدينة الأولى فعاد بعد فترة وجيزة الى كنف المؤتمن يتحين الفرص للقيام بعمل ما يظهر فيه براعته ودهاءه ويرضى به حاجته الى الحركة والعمل .

ورغم حال ابن عمار السيئة والضربات العنيفة التي حاقت به ، فإنه لم ييأس من

(١) الخلة السبويه ، ف ابن عمار ، بنو عباد ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٢) الخلة السبويه ، ف ابن عمار . بنو عباد ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

استعادة نموده وتحقيق مطامعه ولم يفقد ثمنه بنفسه ، ولكن الفرص لم تكن كثيرة والظروف لم تكن مواتية .

وأخيراً سنحت فرصة نادرة لم يتوان ابن عمار عن انتهازها ، فقد تمرد أحد قواد الحصون المنيعه في أماره سرقسطة على المؤمنين . وكان من معارف ابن عمار ، فأفترح هذا الأخير على الأمير أن يكفيه شراً ويعيد الحصن الى الطاعة والخضوع . فانسح المؤمن المجال لابن عمار لابتداء دهائه وبراعته في هذا الامر ، فلم يطالب شاعرنا منه غير عدد قليل من الجنود سار على رأسها الى الجبل الوعر حيث يقوم الحصن المنيع .

كان ابن عمار يعرف عن صاحب الحصن الشيء الكثير ، يعرف أنه عبيد ، وأنه الحاكم الوحيد في الحصن وأن لا أحد غيره ينازعه القيادة و يجراً على طلبها . واستناداً على معلوماته هذه وضع خطته . فما كاد يصل مع جنوده أمام الحصن حتى دلب مقابلة قائده للمفاوضة ، فوافق هذا الأخير اعتماداً على سابق المعرفة التي بينهما : على أن يذهب ابن عمار نفسه الى الحصن ، فوافق ابن عمار على ذلك وذهب مع اثنين من رجاله الأشداء . فارتقى حتى وصل الباب ففتحت له ودخل القلعة المنيعه . وكان قد أوصى رجليه بأن يهجا على قائد الحصن حالما يمسك هو بيده ، ويقتلاه . وحدث هذا ، اذ ما كاد يتقدم القائد لاستقبال ابن عمار صديقه القديم حتى هجم الرجلان عليه وأوسماه طعناً فسقط مضرجاً بدمائه قبل أن ينتبه أتباعه من

المفاجأة فيتدخلوا لمنعها وإيقافها . ولكن فات أوان التدخل ، فبهت الجميع ووقفوا حائرين ولم يجدوا بداً من طلب الأمان من ابن عمار لأنفسهم فنجحهم إياه ، وعاد الحصن خاضعاً للمؤمنين ، فسر بذلك وأعجب بدعاء ابن عمار ومكره (١) .

وحسب ابن عمار أن محنته انتهت ، وأن ابواباً من الأمل تفتحت أمام عينيه . وكان المؤمن نفسه يرجو منذ آرى ابن عمار ، أن يستطيع الاستفادة منه واستغلال مواهبه لتنفيذ أغراضه (٢) ، لذا ما كاد ابن عمار يقترح على المؤمن ويتمهد له باخضاع قلعة شقورة العصاة بأسلوبه الخاص حتى وافقه الملك على ذلك وأرسله مع جيش صغير لتحقيق هذا الغرض . وقلعة شقورة هذه القائمة على قمة جبل وعرة بقيت مستقلة بعد أن استولى المقتدر بن هود على مملكة علي بن مجاهد العامري أمير دانية . وكان يحكمها أحد أبناء علي السمي سراج الدولة ، ثم تولى إدارتها بعد موته بنو سهيل الذين كانوا يشرفون على آبية اولاده الصغار ، وكان بنو سهيل يرغبون في بيع القلعة الى أحد الأمراء المجاورين ، ولكن ابن عمار وعد المؤمن بأنه سيحصل عليها بأيسر سهيل .

سار ابن عمار الى الحين يقود كتيبة صغيرة من الجنود ، وما كاد يصل الى القلعة الشاخنة حتى طاب من نبي سهيل أن يأذنوا له بمقابلتهم ، مصححاً كما يبدو على أن يستعمل الأسلوب نفسه الذي لجأ اليه في القلعة السابقة .

(١) الحلة السيرة ، فابن عمار . بنو عباد ، ٢٣ ، ١٠٥ ص .

(٢) مذكرات عبد الله بن زبري ، الأندلس ١٩٣٥ ، ص ٣٢٦ .

ولكن حدث في هذه المرة ما لم يكن يتوقعه الشاعر المغامر . إذ ما كاد يصل باب الحصن مع تابعيه ويسحب هو أولاً لمداخله المرتفعة حتى ألقى جنود القلعة القبض عليه وأنذروا صاحبيه اللذين فرّا هاربين ليعودا بجنود سرقسطة من حيث أتوا بعد أن يتسوا من انقراضه . أما هو فسيق متبيداً الى بني سهيل الذين كانوا يحقدون عليه لايات هجاءم بها قبل ذلك بوقت قصير ، فألقوا به في السجن ووجدوا فيه غزيمة باردة قد تدر عليهم الريح الوفير (١) .

ابن عمار في سجن شقورة

لقد حدث القبض على ابن عمار في شقورة في ربيع الاول من عام ٤٧٧ هـ (آب ١٠٨٤ م) . ولهذا التاريخ أهمية خاصة إذ أنه يحدد نهاية النشاط السياسي لابن عمار ، ولكنه في الوقت نفسه يشير الى ابتداء فترة أدبية خصبة في حياته رغم قصرها . فلم يكن لابن عمار اثناء إقامته بسرقسطة وشمال شرقي الاندلس نشاط أدبي يستحق الذكر - اذا استندنا الى ما وصلنا من إنتاجه في هذه الفترة ، فكل ما انتجه مقطوعات صغيرة لا تثير الاهتمام ولا تسترعي الانتباه (٢) . وقد اعتدنا ان نرى الخوف والقلق

(١) الحجة السيرة ، ف ابن عمار ، بنو عباد ، ج ١ ، ص ٠٠٨ .

1 - Mus Esp . T. 3 , p. 114 .

(٢) الديوان ، قص .

والهلع من الموت تثير في الشاعر أعنف المشاعر واعمق الأحاسيس ، وتدفعه الى الانتاج الأدبي القيم ، فلا عجب إذن إن رأينا قريحته ابن عمار تنفجر في هذه الفترة بعد نضوب ، ولا غرابة في أن نراه يلوذ بالشعر مرة أخرى حين ضاقت به السبل وأعبته الخيل ، مستثيراً عطف وشفقة آسرية ، ونادياً حظه العائر ومصيره التمس .

واعم مالدنيا من انتاج ابن عمار في سجن شقورة رائية (١) جميلة كتبها الى صديقه القديم الفضل بن حسداى يصف له فيها حالته البائسة الشقية وافتقاد الصحب والاصدقاء :

أدرك اخاك ولو بقافية

كالطل يوقظ نائم الزهر

فلقد تقاذفت الركاب به

في غير مومة ولا بحر

طفحت صحابته بلا سنة

وتساقطوا سكرى بلا خمر

ثم ينتقل الى وصف قلعة شقورة النبعة وصفها به كثير من الروعة والابداع وقوة التأثير :

بمارج أدت الى جرد

حتى من الأنواء والقطر

(١) ديوان ، قص ٦٧ .

طال كأن الجن إذ مررت

جعلته مرهقاً الى النسر

وحش تناكرت الوجوه به

حتى استربت بصفحت الهدر

قهـر تمهد بين خافقتي

أسرين من فلك ومن وكر

متحير سـبال الوقار على

عظيمة من كبر ومن كبر

ملكك عنان الريح راحته

فجباذها من تحته نجري

ويستمر في قصيدته منتقلاً بعد ذلك الى التوسل الى صديقه بأن لا
يقطع بينها الأسباب ، ففي الكتابة اليه عزاء عماليقه من غمت الدهر .

وأعم ما نلاحظه في هذه القصيدة هو أن شاعرية ابن عمار تفتتح بعد
أن منعته مشاغل السياسة والادارة من الظهور والتدفق ، فيبدو لنا خياله
الخصب وعواطفه الزاخرة ومقدرته على التعبير ، كل ذلك بأسلوب متين رائع .

حارل بنو سهيل بعد أن القوا ابن عمار في الاغلال والقيود ان ينتفعوا
منه . وكانوا يعاونون حق العلم أن كثيراً من ملوك الاندلس وامرائها
يدفعون ثمناً غالباً للحصول عليه والانتقام منه ، فعرضوه للبيع وقرروا

تسليمه لمن يدفع الثمن الأكبر . وحاول هو ان يستجير بمن تبقى له من
الاصدقاء (١) ، فلم يحظ بغير الاعراض وعدم الاكتراث ، وقال هو واصفاً

هذا الحال :

أصبحت في السوق ينادى على

رأسي بأنواع من المال

فهل فتى يبتاعني ما جد

أخدمه مدة إمهالي

والله ما جار على نقده

من ضمنني بالثمن الغالي

فلم يكن بين امراء الاندلس من يرغب في منافسة المعتمد بن عباد في
هذا المضار ، كما لم يكن في أخلاق ابن عمار وماضيه ما يشجعهم على اصطناؤه
والاستفادة من خدماته . وأدرك هو هذه الحقيقة بعد أن فشل في استنجاؤ
الاصدقاء ، وعرف أن المعتمد سيطلبه وأنه سوف لا يكون رحيماً به . فاستبق
الحوادث وكتب اليه يستجير به ويرجو منه شراءه واطلاق سراحه (٢) .
والكن المعتمد لم يكن في حاجة لهذا الطلب ، فما كاد يعلم بوجود ابن عمار
في شقورة حتى ارسل ابنه الراضي الى بني سهيل ، فماده اليه في حال مزريه
مكبلاً بالاعلال ، بل واشترى القلعة نفسها منهم ، ولم تجد الابيات التي نظمها
في مدح الراضي (٣) عند قدمه شيئاً في استشارة عظمه . ورحمته .

(١) ديوان ، قص ٦٩ .

(٢) ديوان ، قص ٧٠ .

(٣) ديوان ، قص ٧١ .

ابن عمار في سجن المعتد

وصل ابن عمار قرطبة حاكم الراس ثنثة الزيود ، وقد وضع على بغل بين عدلي تبين ، وقدم الياس من كل أنحاء قرطبة ليشتاعدوا ذلك الذي خرج قبل سنوات قليلة في موكب حافل كواكب الملوكة قائداً الجيش الاشبيلي لاحتلال مرسية ، وهو يعود الآن ذليلاً مهاناً يسخر منه الناس وترجمه العامة ، بل يقال إن جوارى المعتد أنفسهم اللاتي سبق أن مسهن بهجانه خرجن ليسخرن منه ويضحكن لمراه على هذه الحال (١).

واقفد الى المعتد فوبخه وأنبه وذكر له افضاله وعدد ماآثره ثم سرد خيانات ابن عمار ، بل ويقال إنه اخرج اليه قصيدته الهجائية (اللامية) مكتوبه بخط يده ويصف عبد الواحد المرآ كشي - صاحب المعجب - دخوله لقرطبة فيقول : « فدخلها (اي قرطبة) ابن عمار أشنع دخول وأسوأه ، على بغل بين عدلي تبين ، ويود ظاهرة للناس ، وكان المعتد أمر باخراج الناس خاصة وعامة حتى ينظروا اليه على تلك الحال : وقد كان قبل اذا دخل قرطبة اهتزت له ، وخرج اليه وجوه أهلها وأعيانهم ورؤساؤهم ، فالسعيد منهم من يصل الى تقبيل يده او يرد عليه ابن عمار السلام ، وغيرهم لا يصل الى تقبيل ركابه او طرف ثوبه . ومنهم من ينظر اليه على بهمد لا يستطيع الوصول اليه . فسبحان محيل الاحوال ومدبيل الدول » ويستمر عبد الواحد المرآ كشي قائلاً :

1 - Mus , EsP , T,3 , p,115 .

(١) بنو عباد ، ٣٣ ، ص ١٠٨ .

« فدخل ابن عمار قرطبة كما ذكرنا ، بعد العزة القمصاء والملك الشامخ
والرياسة الفارعة ، ذليلاً خائفاً فقيراً لا يملك الاثوبه الذي عليه ، فسبحان
من سلبه ما وعبه ومنعه ما كان به أمتعه » . ويذكر المؤرخ في هذا الباب
حادثة حدثت لابن عمار رواها بعض الموككين به والتي تدل على فطنته وذكائه
كما يقول المؤرخ « قال : لما قربنا من قرطبة بحيث يرانا الناس ، خرج فارس
من البلد يركض يقصدنا ، فلما رآه ابن عمار وكان معتماً - أزال العمامة عن
رأسه ، فجاء الفارس حتى وصل إلينا ، فنظر الى ابن عمار ودخل معنا في الصف
فشي : فسألناه فيم جاء ؟ فقال : الذي جئت فيه صنعته هذا الرجل قبل أن
أصل إليه ، فعامنا أنه ارسل ليزيل عمامته » .

ثم يتحدث المراكشي عن إلقاء ابن عمار بالمعتمد فيقول : « فأدخل على المعتمد
على الله على الحالة التي ذكرت ، يرسف في قيوده ، فجعل المعتمد يعدد عليه أياديه
ولعمه ، وابن عمار في ذلك مطرق لا ينبس : الى أن انقضى كلام المعتمد ، فكان
من جواب ابن عمار أن قال : ما أنكر شيئاً مما يذكره مولانا - أبقاه الله -
ولو أنكرته لشهدت به على الجمادات فضلاً عن ينطق ، ولكن عثرت فأقل ،
وزلت فاصنح . فقال : هيهات ، إنها عثرة لا تقال . وأمر به فأحدر في
النهر الى إشبيلية ، فدخل به إشبيلية على الحال التي دخل عليها قرطبة . وجعل
في غرفه علي باب قصر المعتمد المعروف بالقصر المبارك ، - وهو باق الى
وقتنا هذا (اي الى وقت المؤرخ في القرن السابع) - فطال سجنه

هناك « (١) . وقد فتح أمامه امتداد مدة سجنه باب الأمل ، لاسيما وأنه علم أن بعض الشخصيات الكبيرة تحاول التأثير على المعتمد للعتو عنه ، منهم الرشيد بن المعتمد (٢) . ويذكر ابن إسام ان ابن محفور حاكم شاطبة كتب رسالة للمعتمد يرجوه فيها العفو عن ابن عمار ، ولكن المعتمد رفض هذا الطلب في رساله كتبها ابو الوليد بن طريف كاتبه على لسانه وهذه الرسالة تستحق منا وقفة قصيرة لأهميتها واحتوائها على رأى المعتمد بوزيره السابق .

التهمة الموجهة لابن عمار

تتضمن هذه الرسالة نص الاتهام الذى وجهه ملك اشبيلية لابن عمار والذى كان في نظره لا يَحتمل أية شفقه اورحمه ، لذا رأيت أن أقبلها هنا كما كتبت عن المعتمد لأنها آتية وثيقة تاريخية . بين يدينا حول الموضوع : قال الكتاب عن لسان المعتمد :

« وقمت على وجوه السلامة المستقام فيها الى شـرف محمـدك وصفاء معتدك أكرم استقامه في الشنـاعه فيمن أساء لنفسه حظ الاختيار ، وسبب لها النكبه والعتار بغمظه لعظيم العمه ، وقطعه لملائق العصمة ، ونخبظه في سنن غيه واستهوانه وتجاوزه في ارتكاب الجرائم ، واسرافه حتى لم يدع للصالح موضعا ، وخرق ستر الابقاء بينه وبين مولى النعمه عنده ، فلم يترك فيه موقعا . وقد كان قبل استشهائه رأيه وكشفه لصفحة المائدة وابدائه

(١) المعجب ، ص ١٢٤ ، ص ١٢٥ .

(٢) الذخيرة ق ٢ ، ف ابن عمار .

عُدته في جميع جمالياته مقبول ، وجانب الصفيح له معرض مهذول ، لكن
غيرته الغواية عن طريق الهداية ، فاستمر على ضلاله ، وزاغ عن سنن
اعتداله ، وأظهر المناقضة ، وتعرض بزعمه الى المسارعة والمعارضة ، فلم يزل
يرليغ الغوائل وينصب الحباثل ، ويركب في العناد اصعب المراكب ،
ويذهب منه في أوعر المذاهب ، حتى علقتة تلك الاشراك التي نصبها ،
وتشبثت به مساوي المقدمات التي جرّها وسببها ، فذاق وبال فعله ، ولا
يحيق المكر السعي الا بأهله . ولم يحصل في الانشودة التي تورطها ،
والمنحسة التي اشتملت عليه وتوسطها ، إلا ووجه العفو قد أظلم وباب
الشفاعة فيه قد أضم . ومن تأمل أفعاله الذميمة ومذاهبه اللئيمة ، رأى عنه
الصفح بغير بدء ، والابقاء عليه داء حاضراً . ومثلك برجاجة مرانه
ومرفته . بانباء زمانه لم يجهل بده حاله من القل والضعة ، وارتقاءه الى الرفعة
والسعة ، وانتشاله من ذل الخمول الى العزيز العريض الذول ، وتدويله عقائل
الأموال وجلائل الاحوال

وفي فصل منها :

« ففوق لمناضلة الدولة نباه ، وأعمل في مكائدها جهده واحتياله . ولم
يقتصر على ذلك ، بل تجاوز الى إطلاق لسانه بالدم الذي صدر عن لؤم
نجاره ، والظمن الشاهد يخبث طويته واضماره . ومن جهل مقدار تلك التي
كان سوغها أولاً ، أخلق به أن لا يغيره مقدار العفو عنه آخراً . ومن بعد
هذا الفساد كيف يرجى استصلاحه ، ومن استبطن مثل علته كيف يؤمل
فلاحه ، ومن لك بسلامة الأديم النقل وصفاء القلب الدغل . وعلى ذلك فلا

أعتقد عليك فيما عرضت به من وجه الشنء غير الجليل ولا الأندى فيه حسن التأويل . ولو وفدت شفاعتك في غير هذا الأمر الذي سبق فيه السيف العذل ، وأبطل عامل الأقدار فيه الألفاظ والحيل ، لتلقيت بالأجمال ، وقوبلت ببالغ المدة والاعتبال . . » (١) .

أعتقد ان هذه الرسالة تغنيانا عن كل شرح وتعليق وتثبت ما سبق أن قلناه عن مواقف ابن عمار من ملكه وتدل على مدى خطورة التهم الموجه اليه وتصميم المعتمد على عدم التغاضي عن اخطاء وزيره القديم .

نشاط ابن عمار الادبي في سجن اشبيلية

لم يقطع ابن عمار طيلة مقامه في السجن عن إرسال قصائد التوسل والاستعطاف الى المعتمد وأبنائه ومن يلمس منه المساعدة والتأييد ، لدينا منها ثلاث قصائد تستحق كل عناية واهتمام لما فيها من شعور عميق وإحساس فياض ، أوجدتها حال ابن عمار البؤسة وخوفه من الموت .

اما أولى هذه القصائد فهي دالية بعث بها الشاعر الى الرشيد بن المعتمد ينقل اليه توسلاته ومشاعره للثائرة ، وهي قصيدة فياضة بالعواطف والشعور . يمتزج فيها الخوف بالامل والجزع بالاستعطاف ، يبدو فيها اسلوب ابن عمار الشعري الاندلسي بأجلى وجوهه . فمدا الرقة البادية في كل بيت من ابيات القصيدة ترى بوضوح اثر الطبيعة التي غذت خيال الشاعر ، فاستوحى منها

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابو بكر بن القصيرة .

صوراً نقلها كل ما يعتلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس، ثم نجد بعد ذلك في هذه القصيدة نفسية ابن عمار وأخلاقه وهو في هذا الموقف الرهيب، نجده يستخدم السلاح الوحيد الذي يمتسكه في تلك اللحظة الحرجة إلى أقصى ما يستطيع من الاستعمال فتأتي قصيدته نابضة بالحياة والعواطف، وإذا أحس القارئ ببعض الاضطراب في أفكار القصيدة وتسلسل أبياتها العاطفي فما ذلك إلا لأن الشاعر كان مضطرباً أشد الاضطراب فأختلطت احساساته وتصادمت «مشاعره»، فهو يفتتح قصيدته بهذه الصورة الصاخبة صخب شعور الشاعر، والعنف دقات قلبه (١).

قل لبرق الغمام ظاهر بریدی

قاصداً بالسلام قصر الرشید

فتقلب في جوه ككفؤادی

وتتأثر في صحته كالفرید

وانتجب في صلاصل الرعد تحكي

ضحتي في سلاسلی وقیودی

فاذا ما اجتلاك او قال ماذا

قلف إني رسول بمض العبيد

بمض من أمدته عنك الليالي

فاجتني طاعة المحب البعيد

ثم يفتقل لمُدحه ويتوسل إليه ويستعطفه مستذكراً أيام الصفاء ومقارناً

(١) ديوان، قص ٧٢.

لها بما هو فيه من عنت وتعاسة :

(م) كنت أشد وعليك يادوحة الحجر
سد وباروضة الندى والجود

إذ جناحي ندى بظلك طلق
ولساني رطب على التفريد

وأنا اليوم تحت ظل عقاب
لقوة محوة الجناح صيود

(م) أتقيها بناظر خافق اللحم
ظ مروع وخاطر مرؤود

غير أنى سأصطفى لك جهدى
من ثناء طيب وذكر حميد

في قليل من القوا في كثير
وذلول من المعانى شرود

كلمات كأنها الدر نظماً
طوقت منك أى طرق وجيد

ثم يمدحه بكل ما يمكن أن يمدح به مالك ، فأبوه الشمس وهو بدر النجوم ،
وربحانة العلى ودره التاج وفرند الحسام ووسطى الفريد ونكته الخطبة
وقصد الحديث وبيت النصيد ، وعين اللواء في الحرب وقلب الحديد ، وهو

في الليل ليلة القدر وفي النهار يوم العيد . ثم يذكر محله من ابيه المعتمد
ومزلته الكبيرة لديه ويتوسل إليه في أن يشفع له عنده وهل غيره أولى
بهذه الشفاعة :

والى أين في الشفيع إذا ما

لم ألد منك عنده بالرشيد

بقي نازح المكان مطل

غائب الشخص ذى اعتناء عتيد

مشفق يستجيب لي من قريب

وأنا أستغيثه من بعيد

لوأطت علي رحمة عينيه

أنجحت شدتي وذاب حديدي

والنصيحة كما نرى تحوى على مجموع من التعابير الأدبية البارعة تلفت
النظر وتجلب الاهتمام ، تدل على دقة الحس وقوة الادراك .

وعدا هذه القصيدة التي أرسلها ابن عمار للرشيد بن المعتمد ، فلدينا
قصيدة أخرى كتب بها الى الفتح بن المعتمد الملقب بالمأمون (١) يتوسل فيها
إليه أن يشفع له لدى والده وينقذه مما هو فيه من العذاب ، يفتتحها بتساؤل
بارع يوجهه لنفسه :

هلا سألت شفاعة المأمون ؟!

أو قلت ما في نفسه يكفيني ؟!

(١) دهران نفس ٧٣ .

ما ضر لو نهبته بتحية
يسرى النسيم بها على دارين
وهزرت منه فقد يقرب سيفه
يوم الجلال الحين بعد الحين !؟

ثم يمزج التوسل بالرجاء والمدح كما فعل في قصيدته السابقة ويتفنن في
ذلك أيما تفنن ، فيصفه تارة بالتقى وأنا بالمهاجرة وطوراً بالتواضع وباشياء
اخرى لا تكاد نجد :

متوقد الجنبات كلل دوحه
بجنى ونجر صفحه بعيون
دانت لأيدي المجتدين قطوفه
ودنا اليهم من ظلال غصون
ونأى لأبصار العصاة فانما
يتوهمون نعيمه بظنون

ويتخلل المدح وصف لحالته المؤلمة وحظه العاثر مرة أخرى بين ماضيه وحاضرته

كم أسكب العذب الفرات على في
يرمي يدي باللؤلؤ المسكنون
واليوم قد أصبحت في ضمراته
إن لم تغنى رحمة تنجيني

بعدت سواحله على وأدركت
أمواجه فتلاعبت بسفيني

لاشك في أني غريق عبابه
إن لم يمد الفتح لي يمين

وأنهى قصيدته بالتوسل الى الفتح المأمون في أن لا يأل جهداً لى
أبيه لانقاذه من سجنه وانتشاله من همدته ، وهذه القصيدة كسابقتها
تستحق الاهتمام وتلفت النظر بتعابيرها البارعة وما يزدحم في جوانبها من
مشاعر وأحاسيس .

* * *

ويقال إن المعتمد ضجر من رسائل ابن عمار وتوسلاته فأمر أن لا تعطى
له وسائل الكتابة ، فتوسل ابن عمار اليه في أن يسمح له للمرة الأخيرة
بورقتين فأعطاهما اليه . فكتب على احدهما قصيدة استعطف طويلة أرسلها
الى الملك ، فوصلت اليه مساء وهو في مجلس مع خاصته ، فقرأها ، ويقال إنه
أحسن بالمعطف والشفقة على صديقه القديم فأرسل اليه بمد انفضاض مجلسه
ووبخه وغنمه ، فاعتذر ابن عمار وتوسل الى الملك بدهوعه آنأ وباعتذاره آنا
آخر وبأثارته للذكريات السابقة مرة ثالثة حتى ليقال إن المعتمد أجابه بما فهم
منه ابن عمار تشجيعاً ووعداً بالخلاص (١) .

وقصيدة ابن عمار هذه التي أرسلها للملك ، حائية حصلت على إعجاب مؤرخي

الادب فأطنبوا في مدحها والاشادة بها . ولاشك انها تعتبر من أحسن ما أنتجه الشاعر، ففيها نحس الاخلاص والعواطف الحارة، فيها يمتزج الخوف بالأمل واليأس بالرجاء . عاجم فيها اعداءه وحاول أن يبعث في نفس الملك عواطف الرحمة والشفقة ، وأن يثير في خاطره ذكريات الماضي والأعمال والخدمات الجليلة التي قدمها للملكته ، إفتتحها بقوله (١) :

سجايك إن عافيت أندى وأسمح
وعذرك إن عافيت أجلى وأوضح
وإن كان بين الخططين مزيه
فانت الى الأدى من الله أجنح

ويتوسل اليه ذا كراً أعداءه وحساده ، ومشيراً الى ما قدمه للملك من خدمة في الماضي :

حنائيك في أخذى برأيك لاتطع
عدائى وإن أننوا على وأفصحوا
وماذا عسى الأعداء أن يتزيدوا
سوى أن ذنبي واضح متصحح
نعم لي ذنب غير أن لحامه
صفات يزل الذنب عنها فيسفح

(١) ديوان ، قص ٧٦ .

وإن رجائي أن عندك غير ما
يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح
ولم لا وقد أسأمت وداً وخدمة
يكران في ليل الخطايا فيصبح
وعبني وقد أعقبت أعمال منسد
أما تفسد الأعمال ثمة تصلح

أقلني بما بيني وبينك من رضى
له نحو روح الله باب منفتح
وعف على آثار جرم جنيته
بهبة رحى منه تمحو وتمصح

ويتحدث عن أعدائه ويصف شتماتهم بتأثر ومسارة :

تخيلهم — م لادر لله درهم
أشاروا واتجاهي بالشتمات وصرحوا
وقالوا سيجزيه فلان بفعله
فقلت وقد يعنو فلان ويصنح

وهكذا يتوسل ويرجو ويهاجم ويدافع في آن واحد إلى أن ينهي
قصيدته مسداً أمره الملك ليفعل به ما يشاء :

سلام عليه كيف دار به الهوى
إلى فيدنو أو على فينترج

وبهذه إن مت السلو فأنى
أموت ولي شوق إليه مبرح

والقصيدة كما نرى متينة رائعة فيها ما يتطلبه الفن من فيض العواطف
وتدفق الشعور وقوة التعبير . وهي كما تتفق اقوال الرواة ، آخر ما نظمه
ابن عمار من الشعر ، وكان لها كما رأينا في نفس المعتمد تأثير غير قليل .
عاد ابن عمار الى سجنه كما يقولون بعد مقابلته للملك ونفسه ممتلئة بالرجاء
والأمل بالخلاص ، ولم يستطع أن يكتب شعوره فكتب في الورقة الثانية
التي كانت لديه رسالة الى الرشيد بن المعتمد يعلمه فيها بقرب عفو الملك عنه
ونجاته من محنته . فوصلت الرسالة الى الأمير الرشيد وهو بصحبة وزيره
عيسى بن ابى الحجاج .

فاطلع هذا الاخير على فحواها ، وسواء أكان ذلك بقصد أو بدون قصد ،
فان عيسى أذاع الخبر حتى وصل الى آذان أبى بكر بن زيدون الوزير
الاول للمعتمد وعدو ابن عمار اللدود (١) . وقد سبق أن تحدثنا عن عداوة
هذين الوزيرين وبيننا بعض أسبابها ، الا أنه يبدو أن هناك اسباباً خطيرة ،
قد تكون اهم مما ذكرنا والتي دعت احد المؤرخين الى أن يشير اليها دون
ذكرها قائلاً إنه لا يريد ان يلوث كتابه بذكرها (٢) .

ويقولون إن أبى بكر بن زيدون كان في أشد القلق ، إذ أن العفو عن

1 - Mus. Esp. T. 3, p. 116.

(١) بنو عباد ، ٢٣ ، ١١٨ .

2 - Mus. Esp. T. 3, p. 116 .

ابن عمار يعني انحدار نجمه نحو الأفول ، بل وربما أكثر من ذلك ، حتى اذا كان صباح اليوم التالي لم ينطلق الى قصر الملك كما كان شأنه كل يوم ، فأرسل اليه المعتمد من يبحث عنه ويدعوه للمجيء ، حتى اذا دخل على الملك استقبله بترحاب طمأنه واعد الى نفسه بعض السكينة . وعندما سأل المعتمد وزيره عن سبب تأخره ، أجابه بأن الجميع يتحدثون عن الغفو عن ابن عمار وعودته الى حظوته السابقة لدى الملك ، حتى ان صديقه ابن سلام الشلبي هياً قصرأ من قصوره ليسكنه ابن عمار بعد خروجه ريثما تعاد اليه املاكه .

فأخذ الغضب من المعتمد كل مأخذ لا تتشاور هذه الانباء القائمة على اساس واه ، وحنق على ابن عمار ، وارسل اليه احد عبيده يسأله كيف تيسر له نشر هذه الأخبار ، فأنكر ابن عمار اولاً أنه فعل ذلك ، فاما سئل عما فعه بالورقة الثابتة التي بقيت لديه ، ادعى انه استعملها مسودة لقصيدته ، وعندما طلبت منه اضطر الى الاعتراف بأنه كتب للرشيدي بما قال له الملك .

مصرع ابن عمار

ويقولون إن المعتمد لم يستطع تمالك نفسه وضبط أعصابه فنارت نائمه وتناول فأساً كانت قد قدمت هدية له من ألفونس السادس وانطلق الى سجن ابن عمار . وما كاد ابن عمار يرى الملك والشرر يتطاير من عينيه

حتى سحب تيوده وألقى بنفسه على قدميه يُخضلها -ها بدموعه ويمسحها
بقبلاته ولكن المعتد لم يأبه لهذا، التوسلات والدموع ، بل رفع الرأس
التي في يده وانمال بها على وزيره وصديقه القديم حتى فارق الحياة (١) .

دفنت جثة ابن عمار قرب قصر المبارك في محل يعرف بباب النخيل، حيث
اكتشفت عظامه بعد عشرين سنة من ذلك كما يقول الفتح بن خافان والأغلال
لا تزال تحيط بها (٢) .

وعكنا كانت نهاية ابن عمار المغامر الجريء ذي الأمل المنور والعائلة
النقيره البائسة، ابن عمار الطموح الأريب والسياسي البارع ، وأخيراً ابن
الشاعر المشهور الذي اعتبره مؤرخو الأدب في عصره من خيرة الشعراء
الذين قدمتهم اسبانية الاسلامية للأدب العربي ولم يجسر أحد على البكاء علناً
عليه غير صديقه الشاعر عبدالجليل بن وهبرن الذي رثاه ببیت واحد :

عجباً له أبكيه ملء مدامعي

وأقول لا شلت بعين القاتل

أحكام المؤرخين المسلمين على ابن عمار

لقد كانت أحكام مؤرخي الاندلس المسلمين على ابن عمار على وجه
العموم قاسية ، فجلهم وصمه بالخيانة والغدر واتهمه بخدمة الصاري والفرغ

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابن عمار . بنو عباد ج ٢ ، ص ١١٩ .

1 - Mus. Esp. T. 3. p. 117 .

(٢) فلأند المعيان ، ص ٨٦ . الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابن عمار .

على أعتاب الفونس فقد أشـرنا إلى أن ابن خاقان قال عنه « إنه اصطناه
 المدو فاتفق به السكون والهدو ، وتمك فيه كلباً وغياماً وأمطره من الحظوة
 غماماً» (١) ثم يقول متحدثاً عن نهايته « فأخذه الله بغدره ، وأعان على وضعه
 رافع قدره (٢) . وقد ردد ابن سميد في المغرب (٣) ما قاله ابن خاقان ،
 وسبق أن سمعنا رأى عبد الله بن زيري ملك غرناطة فيه ، ويردد ابن بسام
 كثيراً وصف ابن عمار بان « حب الرياسة في راسه يدور » بل وانه « قد
 تجاوز في طمعه بارياسة طمع أشعب » (٤) ، ومثل هذه الآراء تفهم من
 حديث ابن الأبار عنه (٥) ، ولم نر مؤرخاً دافع عنه ولام المعتمد على
 قتله سوى لسان الدين بن الخطيب في كتابه اعمال الاعلام .

ورغم هذا السخط الذي أبداه المؤرخون على ابن عمار فانهم جميعاً يعتبرونه
 شاعراً قديراً بل يعدونه في الطبقة الأولى من الشعراء الأندلسيين . لقد كان
 إنتاجه الأدبي ينسجم تماماً مع ذوق الفترة التي عاش فيها والقرون التي تلتها ،
 فقد جمع كل ما كان معاصروه يتطلبونه من الشاعر . فقد قال عنه صاحب
 المعجب « ولم الف احداً ممن ادركته سني من أهل الآداب الذين أخذت
 عنهم ، إلا رأيتهم متردماً » ، مؤثراً لشعره (٦) ، وقال عنه صاحب القلائد

(١) فلائد ص ٨٦ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) ابن سميد ، المغرب ص ٣٨٩ .

(٤) الذخيرة ق ٢ ، ف ابن عمار .

(٥) الحلة السراء ، ف ، ابن عمار .

(٦) المعجب ، ص ١١١ .

إنه « كان مع نقض ابرامه ورفض إمامه شاعراً مطبوعاً ، قد صر
للإحسان منازل وربوعاً (١) » وقال عنه مؤلف كتاب الذخيرة « إن
شعره غرب وشرق ، واشأم في نغم الحدأة وعلى السنة الرواة وأعرق ، ولا
جرم فإنه كان ساحراً لا بجارى وشاعراً لا يبارى (٢) » .

فإذا اعتبرنا الظروف التي أحاطت بالشاعر والوسط الذي
عاش فيه والذي أوحى له افكاره وعلمه اسلوبه في التعبير ، هذه الظروف
وهذا الوسط الذي كون في الوقت نفسه ذوق أهل العصر وأوجد مقاييسهم
الأدبية ، أقول إذا أدركنا كل ذلك ، استظمننا أن نعرف سبب الخطوة التي
نالها ابن عمار الشاعر لدى معاصريه .

القيمة الأدبية لشعر ابن عمار

لاشك في أن حكمنا على القيمة الأدبية لشعر ابن عمار فيه كثير من الذاتية ،
لأن ادراكنا أو عدم ادراكنا للصور الفنية التي يعرضها في شعره يعتمدان
كثيراً على إدراكنا للتيارات العاطفية والفكرية التي تمثلت في هذه الصور
ولا شك في أن الشاعر نفسه يأخذ بيدنا بقوة تعبيره لمعرفة هذه التيارات ،
ولكن بعدنا عن الشاعر وعن الأجواء المحيطة به قد يحدد ادراكنا للسبيل
الذي سارت فيه عواطف الشاعر وافكاره فتخفي علينا جوانب من أدبه
تؤثر في حكمنا عليه كل التأثير .

(١) فلائد المقيان ، ص ٨٦ .

(٢) الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابن عمار .

وعلى ذلك فإن حكمنا على ابن عمار الشاعر يجب ان تتوفر فيه أمور مهمة ، أولها أن نعرف العصر وذوقه ومقياس تقديره للقيمة الأدبية ، فإن هذا الذوق يؤثر أ كبر التأثير في توجيه الشاعر وفي خلق مقاييسه الأدبية . وثانيها ، أن نعرف التيارات الخاصة التي اجتاحت حياة الشاعر نفسه ومدى تأثيرها في إنتاجه الأدبي . وثالثها ، أن تكون لدينا كمية كافية من شعره تسمح لنا بتقدير قيمته . ورابعها أن نقدر مقدرة الشاعر على التعبير وقوته في صناعة النظم وصياغة الالفاظ في قوالب شعرية .

أما ذوق العصر فقد سبق أن أشرنا اليه إشارات كثيرة ، وذوق العصر هو الذي دفع ابن عمار الى معالجة الموضوعات التي عالجها ، كما دفعه الى العناية بالزخرفة اللفظية والمحسنات البيانية والبديعية ، كما أنه زوده بالأفكار والمقاييس الخلقية والاجتماعية والأدبية التي تبدو واضحة في جميع ثنايا شعره .

أما التيارات الخاصة التي أثرت في حياة ابن عمار وفي تفكيره ومشاعره فقد حاولنا عرضها في هذه الدراسة وبيننا مدى تأثيرها في الشاعر ورأينا كيف أنها دفعته أحياناً الى الإبداع وأحياناً الى التكلف والتصنع والهبوط . أما شعر الشاعر فلا شك ، أن ما بين أيدينا منه ، كما يتضح من هذه الدراسة نفسها ، ليس الا جزء يسيراً من مجموع شعره . فهناك فترات طويلة من حياته لانعثر له فيها من الانتاج إلا على ابيات قليلة . ويبدو أن مؤرخي الأدب غنوا قبل كل شيء باختيار القطع التي كان لها صلة بالسلطان او

بالاحوال التاريخية السائدة آنذاك . وقد حاولنا لسكي نسد هذا الفراغ أن نجتمع كل ما وصل الينا من شعره ، في القسم الثاني من هذا الكتاب ، ولكننا لا نشك في أننا بعيدون جداً عن معرفته كلها بل حتى ولا القسم الاكبر منه . ورب قائل يقول إن هذه المقطوعات الشعرية لا بد ان تكون أحسن ما قاله الشاعر لأنها اختيرت من قبل مؤرخي الادب . ولكن من يضمن أننا نتفق وإياهم لي الذوق الأدبي ، لا سيما وأن المؤرخين الذين نقلوا الينا هذا الشعر عاشوا في فترات نستطيع أن نقول ، إن الذوق الادبي تدهور فيها واتجه الى العناية بالشكل دون المضمون الأدبي ، وإنهم كانوا يعنون على وجه الخصوص بالأدب الذي يخص الملوك ويتصل بهم من قريب ؟ !
ومع هذه الصعوبات التي تعترضنا في الحكم على الشاعر فإنا نستطيع أن نثبت بعض الأحكام على قيمة ابن عمار الأدبية ، أهمها :

١ - كان ابن عمار متمكناً من صياغة القصيد وصناعة النظم ، قادراً على التعبير عن افكاره ومشاعره في أبيات متماسكة وقافية متينة واسلوب يجمع بين الشكل العربي والرقعة الأندلسية .

٢ - كان متأثراً كل التأثير بذوق العصر الذي عاش فيه كما بينا سالفاً .

٣ - لم يكن ابن عمار يستخدم متمدته على الصياغة الشعرية والنظم للتعبير عن مشاعره الحقيقية وعواطفه الخاصة دائماً ، وإنما كان مضطراً في اكثر الاحيان الى استخدامهما في المناسبات التي تتطلب ذلك . وكانت هذه المناسبات ، بالنظر لمركز الشاعر الاجتماعي والسياسي ، كثيرة متعددة ، لذا جاء

مثل هـ هذا الانتاج الأدبي رغم قوة صيغته متكاملاً خالياً من الحرارة
والشعور النياض الذين يتطلبهما الشعر الجيد .

ولكن عندما كانت ابن عمار يتألم ويقلق وتفيض عواطفه ، كانت
مقدرته على الصياغة الشعرية خير عون له على إنتاج أدب قيم فيه حرارة
الاخلاص وقوة الشعور والتصوير ، وعلى ذلك فإن هذا الجزء من إنتاجه
الأدبي ، وهو الذي رأيناه عندما تضطرب العلاقات بينه وبين المعتمد او ما
نظمه وهو في الأغلال والقيود ، أقول إن هذا الجزء من أدبه ذو قيمة أدبية
لا تجحد : فيه روعة التصوير وقوة البناء وتدفق العواطف والمشاعر وهذا
الجزء على قلته ، هو الذي يسمح لنا أن نضع ابن عمار في حضيرة الشعراء .

٥ - إن كان هذا رأينا في ابن عمار فإن نقاد عصره والعصور التي
تلتها في الأندلس لا يوافقوننا عليه لأنهم يرون فيه شاعراً كبيراً لا في
قصائده هذه التي أوحاها له القلق والألم والخوف ، وإنما في شعر المناسبات
الذي نظمه أيضاً ، لأنهم يرون فيه روعة النظم والنفنن في استعمال الألفاظ
والتشبيهات وغير ذلك من محسنات البديع والبيان .

٦ - إننا نعتقد أن اكتشاف شعر ابن عمار كاملاً او اكتشاف جزء
كبير منه كفيل بأن يلقى أضواء جديدة على قيمته الأدبية ويكشف النقاب
عن جزء آخر من إنتاجه الرائع الذي يستحق كل عناية وتقدير

القسم الثاني

ديوان ابن عمّار

جمعه وضبط نصوصه

المرکوز عبدالمخالد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين

ديوان ابن عمار

لدينا من المعلومات ما يشير الى أن ديوان ابن عمار كان كثير الانتشار في الاندلس بعد وفاته (١) . ولكن هذه المعلومات بالاضافة الى الظروف العصبية التي أحاطت بموت الشاعر لا تسمح لنا بالقول بأن الشاعر قام بجمع ديوانه بنفسه قبل مصرعه . فقد أخذ أدباء آخرون على عاتقهم جمع ما تيسر لهم الحصول عليه من شعر ابن عمار ووضعوه في كتاب خاص . وأول من وصلت اليها أخبارهم من هؤلاء الأدباء هو أبو القاسم محمد بن يوسف الشلابي من معاصري ابن عمار وأهل بلده . فقد كتب هذا المؤلف كتاباً خاصاً عن المعتد بن عباد ويبدو أنه خصص قسماً مهماً من هذه الدراسة لابن عمار وأعماله وشعره ، فإن الأبار الذي كتب فصلاً مهماً جداً عن حياة الشاعر وشعره في كتابه « الحلة السراء » يقول إنه اعتمد في ما نقله من أخبار عن الشاعر الوزير علي كتاب أبي القاسم الشلابي هذا (٢) . ولكن عدا ما نقله ابن الأبار فإتينا لا نعلم شيئاً عن هذا الكتاب .

وبعد مرور ما يقرب من عشرين عاماً على مصرع الشاعر ، اهتم المؤرخ الاندلسي المعروف ابن بسام به ، ونعرف أنه كتب في أخباره وشعره كتاباً سماه « نخبة الاختيار في أشعار ذى الوزارتين ابن عمار (٣) » . ويبدو أن

(١) المعجب ، ص ١١١ .

(٢) الحلة السراء ، ف ابن عمار .

(٣) الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابن وهبون .

هذا الكتاب لم يقتصر على اشعار ابن عمار فحسب وإنما حوى قسماً من أخباره . ولكن كتاب ابن بسام هذا مع الأسف لم يصل الى أيدينا هو أيضاً . الا أنه وصلنا كتابه « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » الذي وقف فصلاً مهماً منه على اشعار الشاعر واخباره (١) سنتحدث عن أهميته . وبعد ابن بسام بقليل جاء الاديب الفتح بن خاقان فخصص هو أيضاً فصلاً من كتابه « قلائد العقيان » للشاعر فذكر منتخبات من شعره وطائفة من أخباره .

ولا بد أن نضم الى هذه المصادر الرئيسة عن ابن عمار أهم مؤلف عن شعره ، وهو كتاب ابى الطاهر محمد بن يوسف التميمي . فقد بذل هذا الكاتب جهده في جمع قصائد الشاعر ومقطوعاته وأبياته باحثاً عنها ، كما يقول ابن الأبار ، في مظانها (٢) .

ويبدو أن الوريقات الأربع عشرة المعزقة التي استخرجت من أقباض مكتبته جامع الفرويين هي كل ما نعرفه من بقايا هذا الكتاب .

نعتقد أن هذه هي المصادر الرئيسة لشعر ابن عمار الذي اعتمد عليها المؤرخون الذين جاؤوا بعد ذلك . وبما أنها لم تصل كلها الى أيدينا ، لذا كانت المؤلفات التي كتبت بعد ذلك معتمدة على هذه المصادر ذات اهمية كبيرة لنا ، ولا سيما كتاب الحلة السيراء الذي اعتمد فيه مؤلفه عند كتابته عن ابن عمار على كتب ابى الفاسم الشلبى وابن بسام وابن الطاهر التميمي . ولذلك فقد اعتمدنا حين جرمنا لشعر الشاعر على جميع ما تيسر لنا من مصادر

(١) الذخيرة ق ٢ ، ف ابن عمار .

(٢) الحلة السيراء ، ف ابن عمار .

سواء كانت متقدمة أم متأخرة ، وها نحن نحاول استعراض أهمها مع بيان قيمتها .

* * *

إن من المؤسف أن يكون القسم الأكبر من هذه المصادر لم يطبع وينشر بعد ، لذا فقد كان لا بد لجمع هذه المجموعة الشعرية من الرجوع الى المخطوطات المنتشرة في مختلف مكاتب العالم وقد كانت أهم المكتبات التي رجعنا إليها ، هي المكتبة الوطنية في باريس حيث يوجد الجزء الحادي عشر من مخطوط « خريدة الفصيح وجريدة أهل العصر » للهاد الأصماني ، ومكتبة المتحف البريطاني في لندن التي تحتوى على مخطوط « المطرب من أشعار أهل المغرب » لابن دحية الكلبي ، ومكتبة جامعة أكسفورد حيث توجد نسخة من كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » لابن بسام ، والمكتبة الوطنية في مدريد حيث كتاب « الحلة السراء » لابن الأبار ، وخزانه الأسكوريال في إسبانيا المحتوية على نصوص أدبية أندلسية قيمة جمعها ابن سيد الناس اليعمرى ، وعلى مخطوط « السحر والشعر » للسان الدين بن الخطيب ، ومكتبة الرباط العامة حيث توجد نسخة أخرى من كتاب الذخيرة لابن بسام ، ومكتبة جامع القرويين في فاس حيث توجد الورقات المعزقة المتبقية من ديوان ابن عمار . هذا بالإضافة الى قسم من المكتبات الشخصية ، كمكتبة العباس بن ابراهيم قاضي مراکش الحالي حيث توجد نسخة جيدة من القسم الثاني من الذخيرة ، ومكتبة الاستاذ

عبد الله گنون في طنجه حيث توجد نسخة فوتوغرافية من كتاب
« الحماسة المغربية » لابي العباس الجراوي مأخوذة عن نسخة أصيلة في
الاستانة .

وبعد مراجعتنا لهذه المخطوطات المهمة وكثير غيرها مما هو اقل أهمية
منها ، عدنا الى الكتب المطبوعة ككتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي ،
وكتاب قلائد العقيان لابن خاتان ، ونفح الطيب للمعري ، وأعمال الاعلام
لابن الخطيب وغير ذلك مما هو مذكور في مصادر البحث ، ونتيجة لذلك
كله استطعنا جمع هذا المجموع من شعر ابن عمار . ورغم أن ما جمعناه بعيد
جداً من أن يكون كل شعر ابن عمار بل حتى ولا أكثره فإنه يسمح لنا
بمتابعة تطور ابن عمار الشعري منذ لقائه ببني عباد حتى مصرعه . أما إنتاجه قبل
هذا اللقاء فليس لدينا منه شي فقد أحرقه الشاعر بنفسه (١) . ويبدو أنه
لا قيمة لهذا الشعر الفنية ولا مراكز ابن عمار المتواضع في تلك الفترة دفعت
مؤرخي الادب الى الاحتفاظ به ونقله الينا . ولدينا مما نظمه في حكم المعتضد
بضع قصائد طويلة . اما ما نظمه في حكم المعتد فليس لدينا منه سوى مقطوعات
قصيرة نظمت في مناسبات مختلفة ، لا نعتقد أنها ذات قيمة أدبية كبيرة .
ولكن أحسن ما لدينا من شعر ابن عمار هو ما نظمه في الفترة الأخيرة من
حياته أي بعد تركه لاشبيلية ، ولا سيما اثناء مقامه في السجن ، إذ أننا
وجدنا في هذه الفترة قصائد طويلة جيدة جدية بكل اهتمام وتقدير .

(١) الحلة السراة ، ف . ابن عمار .

وقد حاولنا جهدنا أن نرتب ما عثرنا عليه من شعر ابن عمار حسب تأريخ نظمه ، ولم تكن هذه المحاولة ناجحة دائماً لاسيما فيما يتعلق بالمقطوعات القصيرة التي نظمت في اشيلية اثناء حكم المعتمد ، إذ أننا لم نقع على اية اشارة تدل على تأريخ انتاجها ، كما أنه ليس فيها ما يدل على ذلك . ومع هذا فأننا وضعناها في الفترة التي نظمت فيها بحيث لا تؤثر على تتبع تطور إنتاج الشاعر الأدبي والماطفي . وقد اخترنا الترتيب التاريخي للقصائد دون الترتيب حسب حروف الهجاء او حسب الابواب ، لأن الترتيب التاريخي وحده هو الذي يساعدنا على تتبع التطور النفسي والماطفي والكري للشاعر من فترة لأخرى من تاريخ حياته حتى نهايته ، كما يعطينا صورة واضحة لتطور صناعته اى مقدراته على الصياغة الشعرية ، وكل ذلك يسهم 'سهماً كبيراً' في فهم الشاعر وفهم أدبه وتذوقه .

إن المصادر التي اعتمدنا عليها في جمع شعر ابن عمار تختلف من حيث أهميتها ومن حيث نوعيه وكيفية المعلومات التي تقدمها لنا . وسنحاول أن نستعرض بسرعة أهم هذه المصادر ولا سيما المخطوطة منها موضحين قيمتها .

١- ديوان ابن عمار

يوجد في خزانة جامع القرويين في فاس أربع عشرة ورقة ، (مسجلة تحت رقم واحد في السكتب المكتشفة حديثاً في هذه السكتبة) ، وهذه الوريقات التي يبدو أنها الاثر الوحيد المتبقي من ديوان الشاعر تحتوي على

عدد من القصائد والمقطوعات الشعرية مكتوبة بالخط الاندلسي ومرتبة على
حروف الهجاء ، ولكنها ممزقة ومخرمة بسبب الحشرات والرطوبة بشكل
يصعب معه قراءتها والاستفادة منها ، وكانت هذه الوريقات قد استخرجت
مع كثير غيرها من أقبض خزانة مهتمة في الجامع . ومع اننا لم نستطع
بسبب ذلك استخراج قصائد كاملة منها ، فانها ساعدتنا مع ذلك على
تصحيح قسم من النصوص التي عثرنا عليها في المصادر الاخرى واكملها ،
كما تمكننا من استخلاص بعض المقطوعات منها ايضا .

ونحن لانستطيع أن نعين بشكل قاطع جامع ديوان ابن عمار هذا الذي
وجدنا منه هذه الوريقات في فاس . ولكن بما أن القصائد مرتبة حسب
النوافي ، فمن المحتمل جداً أن يكون هو الديوان الذي جمعه ابو الطاهر
النجمي والذي أشرنا اليه سابقاً ومن جهة اخرى فان مقارنة قصائد ابن
عمار الواردة في الذخيرة لابن بسام مع المقطوعات المماثلة لها الواردة في هذه
الوريقات تقلل الحد كبير احتمال كونها من كتاب ابن بسام عن ابن عمار
والمسمى «نخبة الاختيار في اشعار ذى الوزارتين ابن عمار» المشار اليه سابقاً ،
كما زعم مصنفو فهرست مخطوطات جامع القرويين . بل اننا لنجد مقطوعات
في الذخيرة تحتوي على أبيات لا تتضمنها مقطوعات مخطوطة القرويين .

٢- ابن الابار، الحلة السيرة

وهذا الكتاب القيم لم يطبع كاملاً بعد ، وإن كان بعض المستشرقين
ولا سيما دوزي قد نشر قسماً منه ، وهو القسم الذي يخص الأدب الاندلسي .

وقد طبع القسم الذى يخص ابن عمار منه فى الكتاب الذى جمع فيه دوزى
كل ما عثر عليه حول بنى عباد والمسمى Scriptorum Arabum Loci
de Abbadides

وقد رجعنا الى هذا الفصل : واعتمدنا على وجه الخصوص على مخطوط
كتاب « الحلة السراء » الموجود فى المكتبة الوطنية فى مدريد برقم ١٢ .
وربما كانت دراسة ابن الأبار هذه عن ابن عمار احسن الدراسات
القديمة التى كتبت حول الشاعر ، فقد اعتمد المؤلف فى الواقع على مصادر
وثيقة أشرنا الى انها تعتبر المصادر الرئيسة الأولى عنه ، ككتاب ابن
بسام حول ابن عمار وديوان شعر للشاعر الذى جمعه ابو الطاهر التميمي ،
وما كتبه ابو القاسم الشلبى معاصر ابن عمار حول الشاعر . وأهم المعلومات
التي يقدمها لنا تتعلق بجملة ابن عمار على مرسيه وإقامته فى سرقسطة قبيل
سجنه ووقوعه بين يدي المعتد ، وفى الفصل الذى خصصه ابن الأبار لابن
طاهر ترد بمض الأخبار عن ابن عمار وعلاقته بهذا الامير .

٣- ابو علي بن بسام ، الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة

يحتوى القسم الثانى من هذا الكتاب وهو المخصص لشعراء اشبيلية وغرب
الاندلس على فصل طويل وقمه الكتاب على ابن عمار . ومن المؤسف ان يكون
هذا القسم من الكتاب غير مطبوع كاملا بعد ، فقد طبع القسم الاول فقط
فى مصر طبعة جيدة ، وهو المخصص لشعراء قرطبة وما حولها ، فى جزءين ، كما

طبع الجزء الاول من القسم الرابع فقط ، ولا زالت الاقسام الاخرى ، اى القسم الثانى الذى نتحدث عنه والقسم الثالث المخصص لشعراء شـ مرق الاندلس ، ويقع كل منها في جزأين ايضاً إذا طبعا بالحجم نفسه الذى طبع به القسم الاول ، والجزء الثانى من القسم الرابع . مخطوطة ومبعثرة في المكتبات . لذلك فقد اضطررنا الى الاعتماد على المخطوطات الموجودة من هذا الكتاب . وأولى هذه النسخ التي اعتمدنا عليها (اى القسم الثانى من الذخيرة) نسخة مكتبة جامعة او كسفورد ، وثانيتها نسخة مكتبة الرباط العامة المرقة ١٣٤٢ . وثالثتها نسخة مكتبة الآمار في بغداد ، كما يوجد في جامع الفرويين في فاس قسماً من هذا المخطوط يتضمن جزء من فصل ابن عمار .

اما مخطوطة ا كسفورد التي لدينا صورتها فرغم انها واضحة الكتابة فان فيها اخطاء في النسخ وقرائن تقلل قيمتها . عكس مخطوطة الرباط التي مع وضوح خطها الاندلسي ، تتضمن مزايا أخرى ، إذ يبدو انها روجعت بعناية كبيرة بل إن عدداً من نصوصها ، ولا سيما الواردة في فصل ابن عمار ، قورنت بروايات اخرى وسجلت الخلافات في حاشية الكتاب ، او سجلت بعض الابيات الناقصة في رواية ابن بسام . لذا فقد كان اعتمادنا على هذه النسخة كبيراً جداً ، فهي في الواقع تستحق كل الاحترام ولا سبباً اذا انجبت النية الى طبع هذا الكتاب .

وقيمة كتاب « الذخيرة » مرجعها سيبان رئيسان . الأول هو ان ابن بسام مؤلفه كتب كتابه عام ٥٠٠ هـ (١١٠٧) (١) ، اى بعد ثلاثة

(١) الذخيرة ، ف ٢ ، ف ، ابو بكر بن الملح .

وعشرين عاماً من وفاة ابن عمار . اذن فقد استطاع السكّاب أن يجمع اخبار الشاعر ويروي قصائده تقلا عن اشخاص عاصروا الشاعر وعرفوه . والسبب الثاني هو أن ابن بسام قد وجه اهتماماً خاصاً لابن عمار ووقف كما ذكرنا كتاباً خاصاً عليه .

لهذه الاسباب اعتمدنا على كتاب ابن بسام اعتماداً كبير كما اعتمد عليه جميع السكّاب الذين جاء وابعدنا عند حديثهم عن ابن عمار . فقسم مهم من النصوص التي جمعناها وصلتنا عن طريق ابن بسام هذا .

٤- ابن رحية الكلبي ، المطرب في اشعار اهل المغرب

والنسخة الاصلية الوحيدة المعروفة من هذا الكتاب هي الموجودة في المتحف البريطاني في لندن برقم ١٦٣١ . كما توجد نسخ مصورة منه في دار السكّاب المصرية وفي كلية الآداب والعلوم ببغداد وفي معهد الدراسات المغربية العليا في الرباط . وقد صورنا المخطوط الاصيل واعتمدنا عليه فيما نقلناه عن هذا الكتاب . ومخطوط لندن هذا مكتوب بخط شرقي واضح ، عدا قسماً من الفصحى التي اثرت في سطورها الاولى الرطوبة فجعلتها عميرة القراءة . وقد مر مؤلف الكتاب مسرعاً على ادباء الاندلس وخص ابن عمار بقسم صغير من كتابه ، إلا انه مع ذلك زودنا بأبيات لم نعثر عليها عند غيره ، كما ساعدنا على ضبط نصوص اخرى وردت عنده وعند غيره من المؤلفين :

٥- ابن سيد الناس اليعمري (نصوص أدبية أندلسية)

ولا نعرف من هذا الكتاب سوى نسخة فريدة في مكتبة
الاسكوريال في إسبانيا برقم ٤٨٨ اطلعنا عليها واخذنا لها صورة
فوتوغرافية . ومؤلف هذا الكتاب محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن سيد
الناس اليعمري الذي عاش في القرن السادس الهجري وقد قرأ الجامع
نصوصه هذه على استاذه النحوي المعروف أبي علي الشلو بن ناجزه بروايتها .
والكتاب يحتوي على نصوص في موضوعات مختلفة لأدباء مختلفين .
ولكنها كلها تقريباً ترجع الى النصف الثاني من القرن الخامس وتتضمن
رسائل تاريخية قيمة جداً وقطعاً أدبية نثرية وشعرية تعكس ذوق الفترة التي
عاش فيها الكاتب ، وقصائد شهيرة من الأدب الاندلسي يندر وجود
اكثرها في غير هذا المخطوط بينها بضع قصائد لابن عمار . ولهذا المخطوط
اهمية كبيرة جداً في دراستنا ، لأنه زودنا باهم قصيدتين لابن عمار
بصفتيها الكاملتين تقريباً ، ونعني بها الرائية وهي اول قصيدة مدح بها
المعتضد وتتكون من خمسة واربعين بيتاً (١) ، والليمية التي ارسلها للمعتضد
من سرقسطة وهي في ثلاثة وتسعين بيتاً (٢) ، كما زودنا عدا ذلك ببعض
مقطوعات اخرى كانت ذات اهمية في إعداد هذه النصوص .

(١) ديوان ، قص ١ .

(٢) ديوان ، قص ٩ .

٦- عمان الدين الاصبهاني (ابو عبد الله بن محمد) خريدة القصر و جريدة اهل العصر

لقد وقف الكتاب الجزءين الحادى عشر والثانى عشر لادباء صقلية والاندلس والمغرب . ويحتوى الجزء الحادى عشر على فصل مهم عن ابن عمار يتضمن منتخبات شعرية من إنتاجه الادبى . ولا شك ان اهمية هذا الكتاب تعود الى ان مؤلفه المشرقى قد اعتمد على مصادر أندلسية لم تصل الى ايدينا . وقد اعتمدنا هنا على المخطوطة الموجودة فى المكتبة الوطنية فى باريس برقم ٣٣٣٠ . ورغم ان هذا الجزء قد كتب بمخط مشرقى واضح الا انه مليء بالأخطاء والفرافات الناتجة دون ريب عن سوء الذخ والتي قلت كثيراً من اهميته . ومع ذلك فلا يستطيع الباحث فى موضوع ابن عمار وشعره الاستغناء عنه .

٧- ابو العباس الجراوى ، الحماسة المغربية

هذا الكتاب مجموع من الشعر سلك فيه مؤلفه مسلك مؤلفى الحماسات كأبى تمام والبحترى وابى الفرج البصرى وابن السجرى ، فجمع فيه نخبة مما استحسنته من الشعر العربى . وقد اطلق المؤلف ابو العباس احمد بن عبد السلام الجراوى المغربى (٣) ، على كتابه هذا اسم « مختصر كتاب صفوة الادب ومختصر ديوان العرب » ، ولكنه عرف فى الاوساط الأدبية باسم « الحماسة » (٤) عبد الله كدون ، ابو العباس الجراوى .

المغربية « كما ذكرنا هنا . ويتميز هذا الكتاب عن غيره من كتب الحماسة بأنه يحتوي على منتخبات من شعر ادباء الأندلس والمغرب ومنهم ابن عمار . والمخطوطة الوحيدة التي اعلمنا بوجودها هي تلك التي في الاستانة والتي عثرنا على نسخة مصورة منها لدى الأديب الفاضل الاستاذ عبد الله كنون في طنجة اعتمدنا عليها فيما نقلناه من شعر ابن عمار .

* * * *

وعدا هذه المصادر واخرى غيرها ، اقل اهمية منها مما لم يطبع وينشر حتى الآن ، فأتينا اعتمدنا على عدد من الكتب المطبوعة كان لها اهمية كبيرة في انجازنا لهذا العمل .

فكتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان يعتبر كما قلنا مصدراً رئيساً لأن مؤلفه كتبه في مطلع القرن السادس بعد مصرع ابن عمار بزمن غير بعيد . وقد طبع هذا الكتاب طبعتين الاولى في القاهرة عام ١٢٨٣ للهجرة ، والثانية في باريس عام ١٨٦٠ للميلاد ، فاعتمدنا في عملنا هذا على الطبعتين ، والواقع ان الطبعة الاولى رديئة حافلة بالأغلط . رأما للطبعة الثانية فرغم انها خير من سابقتها فان ندرتها تجعل اعادة طبع هذا الكتاب ضرورة لا بد منها . وكتاب المعجب لعبد الواحد المرزا كشي الذي طبع طبعة ثانية محققة جيدة في القاهرة عام ١٩٤٩ من قبل العالمي والعريان ، كان هو ايضاً مصدراً مهماً عن ابن عمار ولا سيما عن حياته . ويبدو ان الكتاب كتب هذا الكتاب في القرن السابع الهجري وهو في المشرق معتمداً على ذاكرته

وما كان سممه من حكايات ، لذا تلمت النظر فيه الناحية القصصية التي قلت
من قيمته التاريخية كما نعتقد ، ومع ذلك فقد كانت فائدة هذا الكتاب
كبيرة في ضبط قسم من آيات ابن عمار وفي الحصول عن معلومات قيمة
تتعلق بحياته .

وعدا ذلك فقد كان الكتاب المقرئ الشهير « نفع الطيب في غصن
الاندلس الرطيب » فوائد لا تجحد رغم تأخره ، فكان للمنتخبات الشعرية
التي ذكرها أهمية في ضبط بعض النصوص ، رغم ان جل ما اتى به لابن عمار
كان مذكوراً لدى غيره من المؤلفين الذين مر ذكرهم .

اما الكتب الاخرى الكثيرة التي تتضمنها مصادر البحث فانها لم
تزودنا على وجه العموم بجديد لأنها اعتمدت على ما ذكرناه من كتب ، او
انها لم تقدم لنا سوى مقطوعات صغيرة ، ولكنها بمجموعها كانت لازمة
جداً لضبط كثير من النصوص .

المختصرات المستعملة في الحواشي

- ج : جزء
ح : الحلة السراء لابن الأبار
خ : خريدة القصر لعاد الدين الاصفهاني
ذ : الذخيرة في محاسن اهلي الجزيرة لابن بسام
ص : صنحة
ع : Scriptorum arabum loci de Abbadide, de Dozy
ق : قلائد العقيان لفتح بن خنان
قس : قسم
م : مخطوط
م : مخطوط الاسكوريال رقم ٤٨٨
مط : المطرب لابن دحية السكلي
مع : المعجب لعبد الواحد المراكشي
ن : نصح الطيب للمقرئ
و : ورقة

قال ابو بكر محمد بن عمار يمدح المعتضد في أول لقاء له

معهم * :

(الكامل)

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى
والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدي لنا كافوره
لما استرد الليل منا المنبرا
والروض كالحناء كساه زهره
وشياً وقلده نداء جوهره
أو كالغلام زها بورد رياضه
خجلاً وآه بأسهن معذرا
• روض كأن النهر فيه معصم
صاف أطل على رداء أخضرا
ومزه ربح الصبا وفتخاله
سيف ابن عباد يبدد عسكرا

* رويت هذه القصيدة كاملة عدا بيتاً واحداً في ٤٨٨ م و ١٠٠ ، وفي ق ص ٩٩
صحة أبيات ، في ج ١١ و ١٦٤ أربعة وعشرين بيتاً ، في ن ج ٢ ص ١٧٧ سنة
وثلاثين بيتاً ، وفي ذ نس ٢ ، فصل ابن عمار تسعة وعشرين بيتاً ، وفي مط بضعة أبيات
١ - في م ٤٨٨ أدر الزجاجة : أدر المدامة ن
٢ - في م ٤٨٨ كالحناء البس .
(٦) في ذ ، فتظنه بدل : فتخاله

(٢) الحاجب المنصور سيف الدولة ال
 معطي من الحباه الاكبر
 علق الزمان الأخضر المهدي لنا
 من ماله العلق النفيس الاخطرا
 ملك اذا ازدحم الملوك بمورد
 ونحاه لا يردون حتى يصدرا
 ١٠ أندى على الاكباد من قطر الندى
 وألذ في الاجفان من سنة الكرى
 قداح زند المجد لا ينفك من
 نار الوغى الا الى نار القرى
 تختار إذ يهب الخريدة كاعبا
 والطرف أجرد والحسام مجورا
 أيقنت أنى من ذراه بجنة
 لما سقانى من نداء الكوثر
 وعلمت حقاً أن روضي مخصب
 لما سألت به الغمام المطرا
 ١٥ ياسائلي ما حمص إلا خاتم
 أبصرت اسماعيل فيه خنصرا

(٧) كذا في ق وهو الصحيح

(١٢) في خ إن ، بدل إذ

من لاتوازنه الجبال اذا احتبي
 من لاتسابقه الرياح اذا جرى
 ماض وصدر الرمح يكهم والظبا
 تنبو وأيدى الخيل تعثر في البرى
 لاشيء أقرأ من سفار حسامه
 إن كنت شبهت الكتابب أسطرا
 قاد المواكب كالكواكب فوقهم
 من لامهم مثل السحاب كنهورا
 من كل أبيض قد تقلد أبيضاً
 عضباً وأسمراً قد تقلد أسمرأ
 لله مرسله بأفاق المدى
 برقاً تصوب عارضاً مشعجراً
 عباد الخضر نائل كفه
 والجو قد لبس الرداء الأغيرا
 ملك يروقت خلقه أو خلقه
 كالروض يحسن منظراً او مخبرأ
 أعلمت بالإيمان حتى شتمته
 فرأيته في بردتبه مصورا

٢٠

(١٨) في ن ، لاخلق بدل لاغيره || المواكب بدل : الكتاب
 (١٩) في ن ، قاد الكتاب ، وفي خ ، فذا الكتاب

٢٥ ووجهت معنى الجود حتى زرقه

فقراته في راحته مفسرا

فاح الثرى متمطراً بثائه

حتى حسبنا كل ترب غبرا

وتتوجت بازهر صلح هضابه

حتى حسبنا كل هضب قيصرا

هصرت يدي غصن الغنى من دوحه

وجنت به روض السرور منورا

حسي على الصنع الذي أولاه أن

أسعى بشكر أو أموت فأعذرا

٣٠ يا أيها الملك الذي أصل المنى

منه بوجه مثل حمدي ازهرا

السيف افصح من زياد خطبة

في الحرب إن كانت يمينك منبرا

مازلت تغني من غدالك راجياً

نيلا وتغني من طفى وتجبوا

(٢٤) الشطر الاول في ق ، ن : اقسمت باسم الفضل حتى شته α ، وفي مط : وسيمت

باسم الفطر حتى شته «

(٢٧) في ن ، ق : ظننا ، بدل : حسبنا

(٣٢) في ق ، هتا ، بدل : طفى

حتى حلت من الرياسة محجرا
رحباً وضمت منك طرفاً أحورا
شقيت بسيفك أمة لم تعتقد
الا اليهود وإن تسمت بربرا

أمرت رمحك من رؤوس كنانهم ٣٥
لما رأيت الغصن يمشق منمرا

وصبغت درعك من دماء ملوكهم
لما علمت الحسن يلبس أحمرأ

واليك يا منصور قادت همي
بزمامها جرد المذاكي الضمرا

مدت سنابكها الفوادح للصفأ
مرطأ على متن الظلام معصفرا

يجعلن قبلك البهية قبلة
ويردن ساحتك البهية مشعرا

خذها اليك وروضها لك ناظر ٤٠
أسقيته ماء النعيم فنورا

نمقتها وشيا بذكرك مذهبأ
وفتتها مسكأ بحمدك أذفرا

(٣٦) في مط كلومهم ، بدل ملوكهم

من ذا يباخني وذكرك مندل
اوردته من نار فكري مجرا

ولئن وجدت نسيم حمدي عطرا
فلقد وجدت نسيم برك أعلرا

وهناك عيد النحر لازالت به
حرم الأعدى كي تطوف فتنجرا

٤٥ واليكها كاروض زارته الصبا
وحنا عليه الطل حتى نورا



(٤٢) في ق ، صمدل ، بدل : مندل

(٤٣) في ق ، ن ، فلان ، بدل : ولئن

قال الفتح بن خاقان في قلائد المعيان (١) :

« ولما ضيق المعتضد بالله على ابن عبدالله بقرمونه ، وسدد مسالكه ، وسدد اليه مهالكه ، استدعى باديس بن جبوس ، وامتصره استعراخ المرائق المحبوس ، رجا ان ينفس عنه غصه ، وينتهب في ابن عباد فرصة ، فلما وصل باديس بن جبوس الى قرمونة ، اخرج اليه المعتضد جيشه يقدمه ابنه الظافر ، ويقود منه اسوداً في المغافر ، فلما التقى الجمعان ، وارتقى ثنيه بغيه المعين والمعان ، حمل فيهم عسكر اشبيلية حملة خاتمهم عن مركزهم ، وادالتهم بالنبل من تمززم ، فنفرقوا في تلك البسائط والربي ، وشربوا سقياً الاسنة والظبا ، وواقع بهم الظافر احسن ايقاع ، وتركهم مخرجين في تلك البقاع ، وانصرف الى اشبيلية والويته مخنالة في اكف الرياح ، وذوابله تكاد تنقص من الارتياح ، فهنيء المعتضد بذلك وقام ابن عمار ينشد هناك (٢) »

الا المعالي ما تميد وما تبدي

وفي الله ما تخفيه عنا وما تبدي

نوال كما اخضر العذار وقتك

كما خجات من دونه صفحة الحد

(١) ق ٢ ص ٩٠

(٢) لى مع لثلاثه عشر بيتاً

جنيت ثمار النصر طيبة الجنى
ولا شجر غير المثقفة الملد
وقلنت أجياد الربى رائق الحلى
ولا درر غير المطهمة الجرد
٥ بكل فتى غارى الأشاجع لابس
الى غمرات الموت محكمة السرد
يكر فكم طعن كسامعة الفرا
يضاف الى ضرب كحاشية البرد
نجوم سماء الحرب إن يدج ليها
يدور بهم أفواجها فلك السعد
خميس تردى من بفيك بمرهف
حكاك كما قد الشراك من الجلد
بهدر ولكن من مطالعه الوغى
وليت ولكن من برائه الهندي

١٠ فتى تقف بين الجمائل مقدم
جنى الموت من كفيه أحلى من الشهد
سقيت به ديناً عفاتك مخصباً
فأجناك من روض الندى زهر الحمد
وجندته نحو الملوك محارباً
فواظك يقتاد الملوك من الجند

ورب ظلام سارفيه الى المدى
 ولا نجم الا ما تطلع من غمد
 اطل على قرمونة متبلجاً
 مع الصبح حتى قيل كانا على وعد
 ١٥ فأرملها بالسيف ثم أعارها
 من النار انواب الحداد على الفقد
 فيا حسن ذلك السبب في راحة الندى
 ويا برد تلك النار في كبد المجد
 لك الله إن كانت عداتك بعضها
 لبعض فكل منهم جيماً الى فرد
 يهوداً وكانت بربوا فانتض الظبي
 وأنبتهم منها بالسنة لد
 اقول وقد نادى ابن اسحاق قومه
 لأرضك يرتاد المنية من بعد
 ٢٠ لقد ساسكت نهج السبيل الى الردى
 ظباء دنت من غابة الاسد الورد
 كأنى بباديس وقد حط رحله
 الى الفرس الطاوى عن الفرس النهدي

(١٣) في ع ، حتى قلت ، بدل : حتى قيل

(١٦) في ع ، في راحة المدى بدل : في راحة الندى .

الى الفرس الجارى به طلق الردى
سريها غنياً عن لجام وعن لبد

يحن الى غرناطة فوق منته
كالحن مقصوص الجياح الى الورد

ظفرت بهم فارنج وأومض كؤوسها
بروقاً لها من عودها ضجة الرعد

٢٥ معتقة أهدت الى الورد لونها
وجادت برياها على العنبر الورد

فاكثر ما يلهيك عن كآبها الوغى
وعن نغمات العود نغمة مستجدى

وما الملك الاحلية بك حسنها
والا ثما فضل السوار بلا زند

ولا عجب ان لم يدن بك مارق
فليس جمل الشمس في الاعين الرمد

هندياً بيكر في الفتح نكحتها
وما قبضت غير المنية في النقد

٣٠ تحلت من السيف الخضيب بصفحة
وقامت من الرمح الطويل على قسد

(٢٦) فوخ ، كأسك ، بدل : كأسها .

ودونكها من نسج فكري حلة
مطرزة العطفين بالشكر والحمد

ألد من الماء القراح على الصدى
واطيب من وصل الهوى عقب الصد

وما هذه الاشعار الاجسام
تضوع فيها للندى قطع الند

وكنت نشرت الفضل في وانما
نشرت سقيط الطل في ورق الورد

٣٥ وما أنا باغ من نذاك بقديرما
يضاف لتأميلي ويعزى الي ودي

فأقسم لو قسمت جودك في الوري
على قدر التأميل فزت به وحدي

قنت بما عندي من النعم التي
يفسرها قولي قنت بما عندي

(٣٢) في ق ، العذب القراح ، بدل : الأ .

(٣٦) في ق ، بيننا ، بدل لي الوري .

وقال يمدح المعتضد * :

(المتقارب)

وفيت لربك فيمن غدر وانصفت دينك ممن كفر
 وقت تطالب في الناكثية (٢) ن مر الحفاظ بحلو الظفر
 بعاطلة من ليالي الحرو (٢) ب اطلعت رأيك فيها قر
 ولم تتقدم بجيش الرجا (٢) ل حتى تقدم جيش الفكر
 فان يحنك الفتح ذاك الاصب (٢) ل فن غرس ندير ذاك الشجر
 تعالي الخوارج حتى برز (٢) ت تقوم من خدها ماصم
 واقبلتها الخيل حمر البنو (٢) د دم الفوارس بيض القرر
 فكروا فلم يفضهم من مكر (٢) ر وفروا فلم يشجهم من مفر
 ودارت دماؤهم كالكوو (٢) س وفاحت نفوسهم كالزهر
 ١٠ فعافر سيفك حتى انحنى وعربد رححك حتى انكسر
 وكم نبت في حرهم عن علي (٢) ي وناب عن النهروان النهر
 تمتع فقد ساعفتك الحيا (٢) ة بريح الحديقة غب المطر
 وعش في نعيم ودم في سرو (٢) ر ولا سر ربك من لايسر

* : رويت هذه القصيدة في ق م ١٠٠ و ٧ ابيات منها في ج ١١ و ١٦٧

وقال يخاطب المعتضد * :

(الكامل)

الكأس ظامية الى يمنا كما
والروض مرتاح الى لقياسا كما

والدهر جار في عنانك لم تقل
هات المنى إلا أجاب بها كما

فأدر بآفاق السرور كواكباً
تخذت أكنف سقاتها أفلاكاً

راحاً اذا هب النسيم حسبها
مسروقة الاقواس من رياسا كما

في مجلس بسط الربيع بساطه
زهراً ورتقه عليك أراسا كما

سقط الندى فيه سقوط ندا كما
وجت عليه الشمس مثل سنا كما

روض تفتح زهره فكأنه
مقل العذارى حدثت لراسا كما

* وردت ه ايات في ج ١١٦ و ١٦٧ و ٩ ايات في ذ

يسرى على ريحانه نفس الصبا
سحراً فيوم انه ذكراكا

رد مورد اللذات عذبا صافيا
فلقد وردت المجد قبل كذاكا

لم ترو من راح ولا من راحة ١٠
حتى ارتوت بدم العداة فذاكا

.....

ومضى عند المعتضد عباد ليلة ابو الوليد بن زيدون وابو بكر
بن عمار ، فقال المعتضد :

أناك الليل معتكراً
فقال ابن زيدون : يناهيه سنى البدر
فقال ابن عمار :

دع الساعات تبسطه
سد تقبضه يد الفجر

* * * *

- ٦ -

وقال في المعتضد عباد من قصيدة *

(الطويل)

انا عبيدك او يقول مصدق
الحق مذموم وانت بخيل
أترى القبول سرت اليك بنفحة
مما ادعته فكان منك قبول
وهل استمالك من ثأني عاطف
إن الكريم الى الشاه يميل



* خ ١١٦ ص ١٠٧

وقال ابن عمار من قصيدة في المعتضد عباد أولها * :
(الطويل)

أشاقك برق أم جفاك حبيب
فلبلك فضفاض الرداء رحيب

ومنها :

الى الله اشكو أن مالك في دمي
شريك ومالي في هواك نصيب
أندرين من كلت عينك قتله
وقلت فـتى لا يستفيد غريب
ستنصره من مهرة الخيل ترمي
بأعلام نصر في الوغى وتؤوب
تساموا بلخم فاستهلت سماؤهم
بغيمين منها ذائب ومذيب
بدور وانكن السماء محارب
وأسد وانكن العرين حروب
مزحت فاني يا ابنة الفول لم أكن
لأفشي سراً ضدته قلوب

* ذ ، فصل ابن عمار

سأشهد قومي أن طرفك من دمي
بريء وإن كان الفتور يربب
وكيف أرى في الغدر نهجاً لسالك
وعهدى بالملك الوفي قريب
فتى نسخ الغدر اقتضاء وفائه
فلا تحكي أن الوفاء غريب
أغر يذير الملك منه بكوكب
له في سماء المشكلات نفوب

وخطب أبا الوليد بن زيدون عند أول تعلقه بالسلطان :
تأملت منك البدر في ليلة الخطب
ونلت لديك الخصب في زمن الجذب
وجردت من محروس جاهك مرهفا
تولت به خيل الحوادث عن حربى
وما زلت من نعمك في ظل لذة
تذكرنى أيامها زمن الحب
إذ العيش في أفياء ظلك بارد
فمن صراع خصب الى مورد عذب
° أحين سقى صوب اعتنائك ساحتى
فنعمةا واهتز روضي في تربي
ننيت لعطف قد نثيت مدايحى
عليه وسرب قد بدلت به سرى
أما أنه لولا عوارفك السى
جرت فى جرى الماء فى العنصرن الرطب
لما ذدت طير الود عن شجر القلى
ولا صنت وجه الحمد عن كلف العتب

* ح ، فصل ابن عمار .

ولكن سأصنعي بالوفاء عن الجنما
وأرضى ببعده بعدما كان من قربي
١٠ وإن لفحتني من سمائك حرجف
سأهتف يا برد النسيم على قلبي
وإني إذا قلت جاعك مطلبي
وأخفت فيه قلت يازمني حسبي
أيظلم في عيني كذا قر الدجى
وتنبر بكفي شفرة العذارم العضب



وكتب الى الامير محمد (المتمد) بن المعتضد حين تراه المعتضد
من إشبيلية ، وكان مقبلا آنذاك في سرقسطة * :
(الطويل)

على وإلا ما بكاه الفهائم
وفي وإلا ما نياح الحمام
وعنى أنار الرعد صرخة طالب
لنأر وهز البرق صفحة صارم
وما لبست زهر النجوم حدادها
لغيرى ولا قامت له في مآتم
وهل شققت هوج الرياح جيوبها
لغيرى او حنت حنين الروائم
خذوا بهى إن لم تهدأو اكل سابع
لريح الهبسا في إثره أنف راغم
من العابسات الدعم الا التفاتة
الى غرة أهدت له ثغر باسم

* الاصل ٤٨٨م

(١) في ذ : على وإلا ما نياح الحمام وفي وإلا ما بكاه الفهائم || في خ : ما لترح

بدل : ما نياح

(٣) في ذ (سراكش) وسط مآتم ، بدل : في مآتم

طوى بي عرض البيد فوق قوائم

توهمتني منهن فوق قوادم

وخاض بي الظلماء حتى حسبته

له مربط بين النجوم العوامم

الا قاتل الله الجياد فانها

نأت بي عن أرض العلى والمكارم

أشلب ولا تنساب عجرة مهفق !

١٠

وحمص ولا تعناد زفرة نادم !

كساها الحيا برد الشباب فانها

بلاد بها عق الشباب تمنمي

ذكرت بها عهد الصبا فكأتما

قدحت بنار الشوق بين الحيازم

ليالي لا ألوى على رشد لائم

عنانى ولا أنفيه عن غي هائم

أنال سهادى عن عيون نواعس

وأجني عذابى من غصون نواعم

وليل لنا بالسد بين معاطف

١٥

من النهر ينساب انسياب الأرقام

(٧) في م ٤٨٨ : توهمتني ، بدل : توهمته

(١٣) في م ٤٨٨ : غي لائم ، بدل : غي هائم

(١٤) في ذ : جفون ، بدل عيون || في ن : مرادم ، بدل : عذابى .

(١٥) في خ : وقوم ، بدل : وابل .

بحيث اتخذنا الروض جاراً تزورنا
 هداياه في أيدي الرياح النواسم
 تبلغنا أنفاسه فردها
 باعطر أنفاس وأذكي مناسم
 تسر الينا ثم عنا كأنها
 حواسد تمشي بيننا بالنائم
 سقتنا به الشمس النجوم ومن بدت
 له الشمس في جنح من الليل فاحم
 وبتنا ولا واش يحس كأنما
 حللنا مكان السر من صدر كاتم
 هو العيش لا ما اشتكبه من السرى
 الى كل ثغر أهل مثل طاه - م
 وصحبه قوم لم يهذب طباعهم
 لقاء أديب أو نواذر طالم
 ضعاليك هاموا بالفلا فتدرعوا
 جلود الافاعي تحت بضع النعام

(١٦) في خ ، ٤٨٨ م ، لناسم ، بدل : مناسم

(١٧) لي ذ : تشير ، بدل : تسر

(١٩) في ذ : قطع ، بدل : جنح .

(٢٠) في ن : نخاف ، بدل : يحس

(٢٣) في ذ : في الكلى ، بدل : في الفلا

لداى ولا غير السيوف أزاهرى
لديهم ولا غير الغمود كجسمى
وما حال من ربه أرض أعارب ٢٥
وألقت به الأقدار بين الأعاجم

يقبح لي قوم مقامي بينهم
وقدرسنت رجل السرى في الأدام

يقولون لي دع أيدي العيس إنها
تؤدى الى أيدي الملوك الخضارم

فديهم لم يبعثوا حرص عاجز
ولا نهوا إذ نهوا طرف نائم

واكبتها الأيام غير حوافل
بأرب أريب أو حزامه حازم

وإني لأدعو لو دعوت لسامع ٣٠
وإني لاشكو لو شكوت لراحم

أريد حياة البين والبين قانلي
وأرجو انتصار الدهر والدهر ظالمى

(٢٤) ذ : لداى ، ٤٨٨م ترام

(٢٥) في ذ : وما حال من خلى

(٢٦) في ٤٨٨م : قومى ، بدل : قوم

(٣٠) في ذ : واني لادعو لو دعوت لسامع محبب واشكو لو شكوت لراحم

ونبئت اخوان الصفاء تغيروا
 وذموا الرضى من عهدى المتقادم
 لقد سخطوا ظالماً على غير ساخط
 عليهم ولاموا ضلة غير لائم
 ولو أن عفواً من هنالك زارنى
 لزرت وما عدو الزمان بدائم
 ٣٥ أجر ذبول الليل سابعة الدجى
 واركب ظهر العزم صعب الشكائم
 فأورد ودى صافياً كل شارب
 وألبس حمى ضافياً كل شائم
 وأغضي لمن يلقي وجهه مكاره
 حياء فأتقاه بوجهه مكارم
 وما هو الا لثم كفف محمد
 وتمكين كفى من نواصى الظالم
 إن اتفقت لي فالعدو موافقى
 على كل حال والزمان مسالمى
 ٤٠ على لنفسى من منها ألية
 تهز رجال اليعمال الرواسم

(٣٣) في ذ: لقد عتبروا ، بدل : لقد سخطوا || عاتب ، بدل : ساخط

(٣٦) و ذ : شامت ، بدل : شارب

(٣٩) في ذ : مساعدي ، بدل : موافقى

الى الحاجب الاعلى الى المعصد الذي
تطول يميناه قصار الصوارم
فتى تقف ما بين الجمائل مقدم
اذا كر ، كر الموت ضربة لازم
يضيء سرير الملك منه اذا استوى
عليه يسدر محتب بمهائم
ويهفو للهواء الورد منه إذا غزا
على أسد دامي البرائف حاطم
صقيل رداء العرض من غدر خلة
وطاهر ماء الوجه من رد عادم
له هزة في الجود معتضدية
تهز إلى تشتيت شمل الدراهم
واى حياء طيه اى سورة
كما كنت في الروض دم الارقم
سما بأبيه ذروة الشرف الذي
اباطحه سهل الندى والسكرام
بمعتضد بالله يمشاه مرتع
صريع لآمال النفوس السوائم
اذا نشرت لحم بذكراه نقرها
طوت طبيء من خجلة ذكر حاتم

٤٥

٥٠

ملك سني الحالتين متميم
 ببيض الأيادي او بحجر الملاحم
 أبي أن يراه الله غير مقلد
 جمالة سيف او جمالة غارم
 يعين على حمد العفاة فينثني
 براحة مغنوم ولذة غانم
 ويذني بهدم المال شاحخة العلا
 لقد ساس ما ياني الملا غير هادم
 مهيب التفات الطرف سام موقر ٥٥
 عظيم إذا لاحت وجوه العظامم
 يذيب بميزيه العدى غير ناظر
 ويسبي بكفيه السها غير قائم
 اذا نظرت فيه الملوك تساقطت
 له نكس الابصار مثل المهائم
 يغادر من لثم المباسم في ثرى
 مواكبه أمثال نلم المناسم
 له الخير ما أعطى الى كل صارم
 عينا وما أسطى بكل ضارم

(٥٢) في مع : جملة سيف ، بدل : جمالة سيف .

٦٠ إذا جر أذيال الجيوش الى العدى
 أطاعته أو جرت ذيول الهزائم
 ومن مثل عباد ومن مثل قومه
 ليوث حروب او بدور مواسم
 ملوك مناخ العز في عرصاتهم
 ومشوى المعالي بين تلك المعالم
 هم البيت ما غير الهدى لبنائه
 بأس وما غير القنا بدعائم
 إذا قصر الربيع الخطى نهضت بهم
 طوال العوالي في طوال المعاصم
 ٦٥ وأيد أبت من أن تؤوب ولم تقز
 بحز النواصي او بحز الغلاصم
 ندامي الوغى يحرون بالموث كأسها
 إذا رجعت أسياهم في الجمجم
 هناك القنا مجرورة من حفاظ
 وشم الطبا مهزوزة من عزائم
 ألكنى منهم بالسلام الى فتى
 تهادى به جرد العتاق الصلادم

(٦٨) في ذ : الكنى بالتسليم منهم على فتى

إلى الحجاب السامي إلى المجد ناشئاً
وإن لم تثبت فاعتبر بالمياسم

إذا ركبوا فأنظره أول طاعن
وإن تروا فارصده آخر طاعم

٧٠

أغر مكين في القلوب محجب
إليها عظيم في نفوس الأعظم

تبوأ من لحم وناهيك مقعداً
مكان رسول الله من آل هاشم

رقيق حواشي الطبع يجلو بيانه
وجوه المعاني واضحات المباسم

وبارع حسن الخط حتى كأنما
يصرف في القرطاس راحة راسم

يهز من الأقلام أمثلة القنا
لها من لطخ المسك مثل الهازم

٧٥

إذا ثرت جاءت يدعة نائر
وإن نظمت جادت بحكمة ناظم

أبا القاسم اقبلها إليك فاتما
تناؤك مسكي والقوافي لطامى

محمّة عذراً فانك جملة
 من الفضل لم أستوفها بتراجم
 فديتك ما حبل الرجاء على النوى
 بواء ولا ربع الوفاء بقسام
 أنا العبد في ثوب الخضوع لو أنني
 أربي البدر تاجي والنجوم خواتمي
 وما عز في الدنيا طلاب لما جد
 ولا اعتاص في الأيام ورد لحام
 ولكن ذاك الظل أندى غضارة
 لضاح وذاك البرق أوفى لشائم
 وإني - إذا أنصفت - بعدك خادم
 لدهرى وكان الدهر عندك خادمي
 تراك تنسنت الذي قد أذعته
 فارضاك أم غابت لديك مقادمي
 ٨٥ لعمري لقد أحمت كل مفاخر
 بما فيك من تلك السجايا الكرائم
 أنازعه فيك الثناء فينشئ
 كأنني نازعت الكؤوس منادمي

(٨١) في ذ وما عز في الدنيا مراد للجبب ولا اعتاص في الافاق ...

(٨٢) في ٨٨م ٤ ولكن ذاك الفضل || في ذ : اشفى ، بدل : اوفى .

(٨٤) في ذ ... فارضاك ام غابت عليك مقادمي .

ولا غرو أن حيتك بالطيب روضة

سمحت لها بالعارض المتراكم

وثقت بحظي منك لم أخش نبوة

عليه وأرم بالظنون الرواجم

ولو نهضت بي قدرة كل ساعة

لأديت من تقبيل كفك لازمي

لعل الذي أقذى بترحة راحل

٩٠

عيونا سيجلوها بفرحة قادم

فترجع أيام مضت وكأنها

إذا امتثلتها النفس لذة حالم

وإن غالى من دونهن منيتي

فأقدار رب بالمنيه حاكم

توالى عليك السعد أزم صاحب

وكان لك الرحمن أكلاً عاصم

ومن قوله في قصيدة يمدح بها المعتضد بالله * :
(الكامل)

جاء الهوى - فاستشعروه - عاره
ونعيمه - فاستعذبوه - أواره

لا تطلبوا في الحب عزاً وإنما
عبدانه في حكيه أحراره

قالوا أضر بك الهوى فأجبتهم
يا جبذاه وحبذا أضراره

قلبي هو اختار السقام لجسمه
زياً نخلوه وما يختاره

• عبرتموني بالنحول وإنما
شرف المهند أن ترق شفاره

وشتمتم لفراق من آلفته
ولربما حجب الهلال سراره

أحسبتم الملوان هب نسيمه
او أن ذاك النوم عاد غراره

* في مع ص ١١٢ ، اثنان وعشرون بيتاً من هذه القصيدة ؛ في ق سبعة أبيات

إن كان أعبى القلب من حر الجوى
خذلته من دمعى إذن أنصاره

من قد قلبي إذ نثني قد
وأقام عذرى إذ أطل عذاره

١٠ أم من طوى الصبح المنير نقابه
وأحاط بالليل البهيم خماره

غصن ولكن النفوس رياضه
رشاً ولكن القلوب عراره

سخرت بيسدر التم غرته كما
أزرت على آفاقه أزراره

مازال ليك الوصل من فتكاته
تسرى الى بعرفه أسحاره

ويجود روض الحسن من وجناته
دمعى فيندى رنده وبهاره

١٥ حتى سقاني الدهر كأس فراقه
فسكرت سكرأ لايفيق خماره

ووقفت في مثل المحصب موقفاً
للبن من حب القلوب جواره

حيران أعمى الطرف وهو سماءه
وأذاب فيه القلب وهو قراره

ولئن يذبه وهو مثواه فبكم
قد أحرقت عود العفارة ناره

إن يهنه أنى أضعت لجهه
قلبي وذاعت عنده اسراره

٢٠ فليهن قلبي أن شكاه وشاحه
لسواره فأقتص منه سواره

فوحسنه لقد انتدبت لوصفه
بالبخل لولا أن حصاً داره

بلد رمتني بالمنى أغصانه
وتفجرت لي بالندى أنهاره

بلد متى أذكره هيج لوعتي
وإذا قدحت الزند طار شراره



وقال يخاطب ابا الوليد بن زيدون * :
(الكامل المجزوء)

كيف اعترزت على الدليل وقطعت أسباب الوصول
وقتلنتى وزعمت أن (٢) ن الذنب منا للقتيل
وعليك جاهدت العدا واليك ملت عن العذول
ياقاتلي ودي بصف (٢) حة خده أهدي دليل
٥ ما أليق الفعل الجيب (٢) ل بذلك الوجه الجميل
أبرزت في خلق السكريد (٢) م وراءه خلق البخيل
ودعوتى حتى أجيب (٢) تك ثم حدثت عن السبيل
جد بالقليل فان تهـ (٢) سي منك تقنع بالقليل
واذكر على زمن قطعـ (٢) ناه بصافية شمول
١٠ إذ نسحب الاذيال ما بين الخليج الى النخيل
ونحل من سيف الغديـ (٢) ر بقبعة الظل الظليل
والروض ممطور تمـ (٢) عليه أنفاس القبول
والشمس ترمقنا خلا (٢) ل الغيم عن طرف كليل
إبان يحدو الرعد من ورق السحاب كالحمول

* ذق ١ مجلد ١ من ٣٧٣

- ١٥ ويهز كف البرق في الـ (٢) آفاق مرهفة النصول
 زمن سئبكيه الحما (٢) م ممي وتذهل عن هديل
- يأبرق أد رسالتي تمديك نفسي من رسول
 عرج بشب محيياً ما شئت من تلك الطلول
- واطلع على شرفات حم (٢) ص قراره الشرف الاثيل
 ٢٠ فاذا اجتلاك ابو الوليد (٢) د بناظر اليقظ النبيل
- فاقرأ من قلبي سلا (٢) ما يقتضي حسن القبول
 يا غرة الزمن البهيـ (٢) م وعزة الأدب الذليل
- ومحكم الفلم القصيد (٢) ر على شبا الرخ الطويل
 أعلمت أني خادم ذكراك بالشكر الجزيل
- لم استحل عماء عهد (٢) ت مع الزمان المستحيل
 اشفع عنايتك الجليل (٢) لة لي لدى الملك الجليل
- ولئن أجبت لراغب وأقلت عثرة مستحيل
 فلکم أبيت بمثلها وهي الصنيعة من مثيلي
- يا أنس بسدر في الظلا (٢) م ويرد ظل في المقيـ

وقال في المعتمد حين نزل ببعض الحصون * :
(المتقارب)

على اليمن والطائر السائح
نزلت وغيرك للبارح

وما اهتمجت إلا وقد هيجت (٢)
ك دواع الى البلد النازح

وإلا فكم خف من خف جه (٢)
ملا فما هز من حملك الراجح

تطلب حقوقك ، لا لائم
فقد بين الصبح للاخ

ومن يعترضك بأوداجه
فكله الى سهمك النابح

وكم يزجرون وكم ينصحو (٢)
ن فما يقبلون من الناصح

وما كان أنصفهم لو رموا
زناد الوغى ليد القادح

* ذ ق ٢ فصل ابن عمار

ولا عجب لثبوت القلا (٢)
ع على بأسك الهادم الناطح

فلولا امتناع الفتاة الكما (٢)
ب لما كملت لذة الناكح

١٠ خلعت الكرى في طلاب العلا
على نائم دونها طافح

هنيئاً فانت ملك الملو (٢)
ك قد صرح الجد للمازح

وما أخرتني عنك النجو (٢)
م ياغرة القمر اللامح

ولا النهر لم يثنى عن ورو (٢)
د ندى بحرك الزاخر الطافح



وقال بمدح المعتمد * :

(الطويل)

أني كل يوم نخفة وتمقـد
 بفضل نوال واهتبال يؤكـد
 لقد فاز قدحي في هواك وقابلت
 مطالع حالي في سمائك أسعد
 تبرعت بالمعروف قبل سؤاله
 وعدت بما أوليت والعود أحمد
 فأثاق حوضي من نذاك تبجس
 ونمق روضي من رضاك تعهد
 أما وصنيع زارني بجأه
 حديث كما هب النسيم المفرد
 لقد هز أعطاف القوافي وهزني
 الي شكر إحسان أغيب فيشهد
 فان أنا لم أشكرك صادق نية
 قوم عليها آيه الفصح تعهد
 فلا صح لي دين ولا بر مذعب
 ولا كرمه تسمي ولا طاب مولد

* ق ، ٩٧ ، ثلاثة ابيات منها فخرج ج ١١ فصل ابن عمارة

-١٤-

وله في زورق * :

(الطوبل)

وجارية . مثل الهلال أفتها

على نهر . مثل السماء رقيق

نجلى لنا الاصباح وهو زمرد

فانقت عليه الشمس نوب عميق



وله في طبق من الفضة مذهب الباطن *
(الخفيف)

وسماء من الغنى قد أسأت
ذهباً في قرارة من لجين
فاجتنت حولها العيون بلطف
زهر الحسن من بنان اليبين



وأهدى الى المعتمد في يوم عيد ثوباً من صوف بحري وكتب

معه * :

لما رأيت الناس يحتشدون في
إتحاف يومك جئت من باب
فبعثت نحو الشمس شبه إهابها
وكسوت متن البحر بعض ثيابه

* * * *

فوجه اليه المعتمد بمكبة فضه فيها خمسمائة دينار وكتب معها .

هبة أتتك من النصار ألوفها
فأغنم جزيل المال من وهابه
فلو أن بيت المال يحوى قفله
أضعافها لكسرتة عن باب
وملات منه يدك لا مستأثراً
فيه عليك لكي ترى أولائه
فالبحر يطفح جوده لك زاخراً
لما كسوت البحر بعض ثيابه

- ١٧ -

وكتب الى المعتمد في يوم غيم وقد احتجب * :
(الطويل)

تجهم وجه الأفق واعتلت النفس
بأن لم تلح للعين أنت ولا الشمس
فان كان هذا منكما عن توافق
وضمكما آتس فيهنكما العرس

* * * *

* خ ١١٦ و ١٦٨

وركب المعتمد في بعض الايام فاصداً الجامع والوزير ابن عمار
يسايره فسمع اذان المؤذن فقال المعتمد * ،

هذا المؤذن قد بدا بأذانه

فقال ابن عمار : يرجو بذلك العفو من رحمانه

فقال المعتمد :

طوبى له من شاهد بحقيقة

فقال ابن عمار : ان كان عقد ضميره كلسانه



حضر ابو بكر بن عمار مع المعتمد وأبي بكر الاشبيلي مجلس
 أنس، فلما تمكن السرور من النفوس غنى ابو بكر الاشبيلي صوتاً
 فطرب ابن عمار وقال ارتجالاً * :

(البسيط)

ما ضر أن قيل اسحق وموصله

ها أنت أنت وذى حمص وإسحاق

أنت الرشيد ودع من قد سمعت به

وإن تشابه أخلاق وأعراق

لله درك داركها مشعشة

واحفز بساقيك ماقامت لنا ساق



٢٠

وأدخل بعض فتيان المعتمد عليه باكورة نرجس فكتب الى ابن
عمار يستدعيه *

(البيسط المجزوء)

قد زارنا النرجس الفكي وحن من يومنا العشي
ونحن في مجلس أنيق وقد ظمئنا وثم ري
ولي نديم غدا سمبي يا ليته ساعد السمي
فأجابه ابن عمار :

ليك ليك من مناد له الندى الرجب والندي
ها أنا بالباب عبد قن قبلته وجهك السني
شرفه والداه باسم شرفته أنت والنبي



* مط و ١٢ . ح ١٥٧

وقال بمدح *

(الكامل)

لله درك ماتعلق ناظري

بمدى علاك ولا جرى تحصيل

وجه بمعرفة الدلاص مقنع

أبدأ رطرف بالعجاج كحيل

ويد بآمال العفاة

أبدأ وآجال العداة تميل

عمرت ربوع المجد منها إنما

تركت بيوت المال وهي طلول



وبلغ ابن عمار أن المعتمد كتب من قرطبه الى بعض نساائه شعراً
يعتذر فيه من اللحاق بها ، وقال في آخره :

إن شاء ربي أو شاء ابن عمار ، فكتب اليه *

(البسيط)

مولاي عندي لما تهوى مساعدة

كما ينبع خطف البارق الساري

إن شئت في البحر فاركب ظهر سابعه

أو شئت في البر فاركب ظهر طيار

حتى تحمل وحفظ الله بكلاًنا

ساحات قصرك واتركني الى داري

وقبل خلع نجاد السيف فاسع الى

ذات الوشاح وخذ للجب بالثار

• ضماً وائماً يغني الحلبي بينكما

كما تجاوب أطيبار بأسجار

* في ح ١٥٧ وفي ذ قس ٢ فصل ابن عمار مع الخلاف في ذكر السبب
(٣) في ذ ؛ رحاب ١ بدل ؛ ساحات .

وأنشد المعتمد يوماً أبا بكر بن عمار * :

(الكامل المجزوء)

أما أنا فمتيم قلق المؤاد وأنت كيف

فقال ابن عمار :

حالي وحالك واحد وأنا القتل بغير سيف



وقال يستنجز حاجة *

(الطويل)

أهزك لا أنى عهدتك ناسياً
ولا أنى أبنى لديك التفاضيا
ولسكن رأيت السيف من إمد سله
الى الهز محتاجاً اذا كان ماضياً



* ابن الخطيب ، السحر والشعر و . ١٠

-٢٥-

وقال يستنجز حاجة * :

(المسرح)

يأنسب الثناء هب فنبه

نجح مولى ينام عن سعى عبده

هب واستعمل من علاه.....

حل إنجازه على روض وعده



* ابن الخطيب ، المحر والشعر ، و ١٠ .

وقال يتغزل بحسناء * :

(الطويل)

وما لحام الأيك تبكيك كما
تبسم ثغر للصباح شذيب

تغني فما تنفك تمسرب لغبة
من الدمع يهديها اليك وجيب

نعم هجر ليلى كلف
وعلم دمع العين كيف يصبوب

فتاة عداها الحسن حتى كأنها
هي الحسن أو إلف عليه حبيب

فعين كما عين المهى ومقلد
كما ارتاع ضبي بالفلاة غريب

وردف كما أنهار القضيب وضمه
وشاح كما غنى الحمام طروب

وثغر (كمثل) الاقحوان يشوبه
لمى حسنات الصبر عنه ذنوب

* ابو العباس الجراوي ، الحماسة المغربية

شققمت جيوب الصبر عنها لطفلة
..... عليها للجبال جيوب

لفاتكة الأحياض وهي تليمة
وناعمة الأعطاف وهي قضيب

كما الخجل المعتاد صفحة خدها ١٠
رداء طرازاه ندى وهيب

ودبت من الأصداع فيه عقارب
لها في فؤاد المستهام ديب

أما ونسيم الروض زار نسيمها
فأهدتها نحو المشوق جنوب

.....

وقال ، وضمن أوائل الأبيات « نعم المحل » * :
(الكامل)

نفسي وإن عذبتها تهواك
وبهزها طرب الى لقياك
عجبا لهذا الوصل أصبح بيننا
متعذرا ومنأى فيه منك
ما بال قلبي حين رامك لم ينل
ولقد ترومك مقلتي فتراك
الله أعلم ما أزور لحاجة
ذاك المحل لغير أن ألقاك
ليت الرقيب إذ التقينا لم يكن
لأنال ريا من لذيذ لماك
متنزها في روض خدك شاربا
كأس الفتور تديرها عينك
حكمت الفصون جمال قدك فأنثت
والفضل للمحكي لا للحاكي
لا تغربي ياروضة محظورة
حتى أمد يدي الى مجناك

* ديوان ابن عمار ، ح ١٧٣

وله في وصف الحجر * :

(المجتث)

الكأس | إجمد ماء والحجر ذائب نار
واعجب لماء ونار تلاقيا في قرار

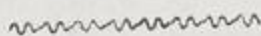


* ديوان ابن عمار .

- ٢٩ -

وقال ايضاً * :

قرأت كتابك مستشفعاً بوجه أبي الحسن من رده
ومن قبل فض ختام الكتبا (٢) بقرأت الشفاعة في خده



ومما يعزى الى ابن عمار قوله * :

إني ابن عمار لا أخفي على أحد

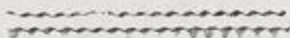
إلا على جامل بالشمس والقمر

وبين طبعي وذهني كل سابقة

كالهم يبعد بين القوس والوتر

إن كان أخرنى دهرى فلا حرج

فوائد السكتب في الطرر



* ديوان ابن عمار ؛ ح ، ص ١٧٤

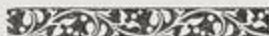
(١) في ح : على بشر ، بدل : على احد

- ٣١ -

وقال في الحرف * :

(البيسط)

وبلت ترب وماء جودها أبدأ
لمن توخاه في ثوب من البخل
كأنها في جمال وامتناع ذرى
خود من الروم في خدر من الأسل



* ذفضل ابن عمار ، ح ص ١٧٣ .

وقال وصف القلم * :

(البسيط المجزوء)

للوصل ود ولا اختيار

كأنتا الليل والنهار

نحن خيلان ما دعانا

فصل ما كان ذا اتصال



- ٣٣ -

وقال يصف يوماً غائماً * :

(الكامل)

يوم تكائف غيمه فكأنه

دون السماء دخان عود أخضر

والظل مثل برادة من فضة

منشورة في تربة من عنبر

والشمس أحياناً تلوح كأنها

أمة تعرض نفسها للعشيرة



وقاء في فارسين تبارزا فسبق احدهما الاخر فطعنه من *

أبيات :

(الكامل)

كم من شجاع قدته نحت الردى

بدم من الأوداج كالارسان

روى ليضرب بطعنة

إن الرماح بداية الفرسان



وقال يهجو شخصاً اسمه مسلم * :

(الوافر)

روائح	مسلم	قدرة	وأقصى دبره	دسره
وأدخل	فيه	إصبغه	وقاس بنازه	العشرة
فلم يكن	وصول	الدهم (٢)	ن دون تجاوز	السكره
وهذا	عذر	مأبون	أبوه	سارق البقرة



* ديوان ابن عمار .

٢٦

وقال في مغم يكنى أبا الفضل * :

(السريع)

غنى أبو الفضل فقلنا له سبجان تخليك من الفضل
غناؤه حد على شربها فانغرب فأنت اليوم في حل



وقال يتغزل * :

(الوافر)

رثا يرنو بنردسه وإعطو
تشير إلى قرطاء وتصفى
بموسان وببسم عن أفتح
خلائه إلى نغم الوشاح



* ق ص ٩٥ ، الشريف الفرزاطي ، شرح المصورة
(٢) في شرح المصورة : قرطاه ، خلائها

٣٨

وقال يصف جدولا يصب في غديره * :

(سابقاً)

(الطويل)

ومطرده الاجزاء يصفـل منه

صباً أعلنت سر الندى في ضميره

كان حباباً ريع تحت حبابه

فسارع يرمي نفسه في غديره

جريح باطراف الحصى كلما جرى

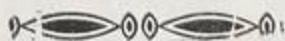
عليها شكي أوجاعه بجزيره

شربنا على حافاته دور سكرة

وأكثر سكرأ منه عينا مديره

وقد لاح نجم الصبح باد كأنه

مطرق جيبـش مؤذن بأمبره



وقال في غلام * :

(المتقارب)

- تعلقته جهورى النجا (٢) ر حلو المى جهورى الثنايا
 من النفر البيض جر الزما (٢) ن رفاق الحواشي كرام السجايا
 ولا غرو ان تغرب الشارقا (٢) ت وتبقى محاسنها بالعشايا
 ولا وصل إلا جمان الحديد (٢) ث نساقطه من ظهور الطايا
 شذئت المثلث للزعفرا (٢) ن وملت الى خضرة فى النقايا



وقال يصف دمشق وهو أحد الفصور التي بناها بنو أمية في
قرطبة * :
(الخفيف)

كل قصر بعد دمشق يذم
في طاب الجنى وفاح المشم
منظر رائق وماء عمير
وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندي
عبر أشهب ومسك أحمر

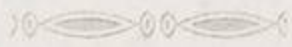


* ن ج ٢ ص ١٩٠ ، ق ص ١٥٥
(ر) في ق : عنه ، بدل : عندي

وقال في رسالة * : *بعضنا بعضنا بعضنا راقع*
 (الرجز المجزوء)

تهتز في حلي الندى وتتم عن نفس الصبا
 عادت بريعات الصبا (٢) ب وجددت عهد الصبا

*بعضنا بعضنا بعضنا راقع
 بعبارة بعضنا بعضنا راقع
 بعضنا بعضنا بعضنا راقع
 بعضنا بعضنا بعضنا راقع
 بعضنا بعضنا بعضنا راقع*



* ذ ٢ قس ٢ فصل ابن عمار

كتب اليه كاتبه ابو الحسن بن الجند * :

(المتقارب)

تقدمت مستأذناً في الرحيل بمذر جلي وهم دخيل
وما اخترت لكنها الحادثا (٢) ت مروح وتغدو
وإلا فن ذا الذي يرتضي هجيراً على سحر او أصيل
فهل لوداع العلاء فسحة أبل بأندائها من غليلي
وألبسها جنة من زما (٢) نى وأصحابها عوذة في ...
بقيت ولا زلت في عزة عديم القرين عديم المثيل

فأجابه ابن عمار :

كتبت نى في الرحيل بمذر جلي لهم دخيل
ولم تدر أن فراق الحيا (٢) ة ليسهل عند فراق الخليل
وليس الى قطع تلك السبي (٢) ل دون مرافقة من سبيل
فانى في المنع عين الجوا (٢) د وإنى في السمح عين البهليل

* * * *

* ديران ابن عمار

وكتب الى ذى الوزارتين أبى الحسن بن اليسع وقد آب من
إحدى سفرائه * :
(الكامل)

أعلا بقربك لو يطول مقام
وكفى بطيفك لو يزور منام
آذنت بالعهد الجديد وإنما
قرب المدى دون اللقاء هيام
وكتبت توهن للنوى أميالها
هيات أميال النوى أعوام
لولا الصحيفة ماسلوت فانها
قد قام منها ما علمت مقام
وصلت إلى مع الأصيل وإنما
وصلت إلى حديقة ومدام
برد من الكافور نغم درجة
مسكاً وزر عليه منه ختام
من قطعة هي قطعة الديباج أو
هي قطعة البستان وهي كلام

وكان أسطرها غصون أراكة
ومن القوافي فوقهن حمام
نادمتها والراح يلهب كأسها
عذب اللى ساجى الجنون غلام
وتشاكلا حسناً فعاق قده ١٠
ألف وعارض عارضيه لام
إيه أبا الحسن اختبرت فقل لنا
ماذا تقول اذا استشق عصام

هل حاد بي من مذهب عن واجب
أو لم يقدنى للجميل ذمام
أوهل تلجلج منطقي في حجة
لو كان تحت يد القضاء خصام
والسمى مشكور وفيات الغنى
مرجوة والى الضياء ظلام
ولقد جريت الى التي قلدها ١٥
جرياً تباعد عنه فيه ملام
فوردت لم تلحق بغيبك ريبة
وصدرت لم يعلق بسميك ذام
وعلى مسفرك السلام تحية
ولقد تقل تحية وسلام

كتب ابن رزين الى ابن عمار يستدعيه الى مجلس أنس * :
(الطويل)

ضمان على الأيام أن أبلغ المنى
إذا كنت في ودي مسراً ومعلنا
فلو تسأل الأيام من هو مفرد
بود ابن عمار لقلت لهم أنا
فان حالت الأيام بيني وبينه
فكيف يطيب العيش او يحصل المنى

فلما كان الغد ورد ابن عمار ومعه الجواب وقد تأخر في جملة علي
عادته في التروى في النظم :

(الطويل)

هصرت لي الآمال طيبة الجنى
وسوغتني الاحوال مقبلة الدنيا
وألبستني النعمى أغض من الندى
وأجل من وشي الربيع وأحسنا
وكم ليلة أحظيتني بحضورها
فبت سميراً للسناء وللسنا

أعلل نفسي بالمكارم والملا
 وأذني وكفى بالغناء وبالغنى
 سأقرن بالتمويل ذكرك كلما
 ٥ تعاورت الأسماء غيرك والكنى
 لاوسعنتني قولاً وطولاً كلاهما
 يطوق أعناقاً ويحرس ألسنا
 وشرفنتني من قطعة الروض بالتي
 تناثر فيها الطبع روضاً وسوسناً
 تروق بجيد الملك عقداً مرصعاً
 وتزهو على عطفيه برداً مزينا
 فدم هكذا يافارس الدست والوغى
 لتطعن طوراً بالكلام وبالقنا



٧ - في مط : ورداً وسوسناً

٨ - في مط : وترمي على عطفيه وشياً مفننا

ومر على مقربة من منازل ابن رزين في حدى سفرائه دون أن
يعرج عليها فعاتبه على ذلك ، فكتب اليه ابن عمار * :
(البسيط)

لقاؤك النجح لو أعقبته سفرى
ووجهك الصبح لو أقبلته نظرى

وقصرك البيت لو أنى قصدت به
حجى ويمناك منه موضع الحجر

لم تن عنك عنانى سلوة خطرت
على فؤادى ولا سمى ولا بصرى

لسكن عدتى عنكم خجالة عرضت
كفانى المذر فيها بيت معتذر

° (لو اختصرتم من الاحسان زرتكم
والعذب يهجر للافراط فى الخصر)



* ذ قس ٢ فصل ابن عمار
° - البيت لابي العلاء المعرى

وأهدى الى ابن ليون تقاحاً وأجاصاً وكتب معها * :
(الكامل)

خذما كما سئرت اليك خدود
أو أرجست في راحتك نهود

خذراً من التفاح ثراً بينهم -
ولها باغصان الجنان عقود

وشفت بالاجاص قصداً إنه
شكل الجمال وحده المحدود

عذراً اليك فأنا هي أوجه
بيض تقابلها عيون سود

إبه فمندی من فراقك لوعة
يعزى إليها ثابت ويزيد

افطرت من صومي بعزتك التي
كانت هلالاً كان منه العيد

لله يلتنا التي من أجلها
هذا الزمان يمثلها محسود

-٤٧-

واستهدى مژه بعض اخوانه خمرآ فبعث بها مع تباحثين ورماتين
وكتب مع ذلك * :
(الوافر)

خذوها مثلما استهديتموها عروساً لاتزف الى اللئام
ودونكم بها نديى فتاة أضفت اليها خدى غلام



٤٨

وكان في ضيافة المعتصم صاحب المرية بالمنية الصمادية ، فلما
 أزمع الرحيل استسرحه بهذه الايات * :
 (الكامل المجزوء المذيل)

يا وائتفا وصل السما (٢) ح الجود في فضل السماح
 ومطابقاً يأتي وجو (٢) ه الجد من طرق المزاح
 أسرفت في بر الضيا (٢) ف نجد قليلا بالسراح

.....

* - ذقس ٢ فصل ابن عمار

وقال مخاضياً المعتصم بن صالح على لسان شعراء مدحوه فأبطأ
 عنهم عطاؤه * :

يا أبها الملك الذي شاد العلا
 معن أبوه وخاله المنصور
 بفناء قصرك عصابة أديبه
 لا زال وهو بجمعهم مغمور
 زفوا اليك بنات افكارهم
 واستبظأوك فهل هن مهور



وقال حين أزمع الرحيل من حضرة المعتصم بن صباح في المرية ،
جواباً على ثلاثة الأبيات التي ودهه فيها المعتصم ، وقال ابن خاقان في
قلائده إنه قالها ارتجالاً * :

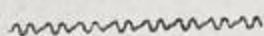
(الطويل)

أنظك أم كأس الرحيق المعتق
وخصك أم روض الربيع المنسق
ونظمك أم سلك من الدر ناصع
يروق على جيد العروس المطرق
بعمت بها ياقطة الروض قطعة
شممت بها عرف النسيم المخلق
ثلاثة أبيات ، وهيات إنعما
بعمت بها الجوزاء في صفيح مهرق
هي السحر أسرى في النفوس من الهوى
وكيف يكون السحر في لفظ منق
أمتعصماً بالله والحرب ترمى
بأبطلها والخيل بالخيل تلتقي

* رويت في ق ٩٧ ، ثلاثة أبيات في مطبوع رويت أيضاً في ذ . قد ٣ فصل ابن عمار

٣ - في ذ : ببيت ، بدل : شممت

دعتني المطايا للرحيل وإنتي
لأفزع من ذكر النوى والتفرق
وإني وإن غربت عنك فأنما
جبينك شمسي والمرية مشرقي



٧ - ف ذ (القرويين) : لافرق ، بدل : لأفزع
٨ = ف ذ : إذ ، بدل : وإن

وكتب اليه المعنم صاحب المرية يوماً بنثر وشعر يقول فيه * :
(الطول)

وزهدني في الناس معرفتي بهم
وطول اختباري صاحباً بعد صاحب
فلم ترني الأيام خلا تسرفي
مبادية إلساءني في العواقب
ولاقلت أرجوه لدفع ملامة
من الدهر الاكان إحدى المصائب

فاجابه ابن عمار بقوله :

فديتكم لاتزهد فثم بقية
سترغب فيها عند وقع التجارب
وأبق على الخلصان إن لديهم
على البدء كرات بحسن العواقب
تكنة نمتني بالشر والنظم جاهدا
وسمت على القول من كل جانب

* زويت هذه القصيدة في : ذ ، ق ، ٢ ، فصل ابن عمار ، في مط ، ١٣١ ، وفي
ق ، س ، ٥١ .

(٣) في ذ : عاتياً ، بدل : جاهداً ،

وقد كان لي لو شئت رد وإنما
أجر لساني ذكر تلك المواهب

ولا بد من شكوى ولو بتنفس
يسكن من حر الحشى والثرائب

كتبت على رسمى وبعد نسيئة
قرأت جوابي من سطور المواقب

ثلاثة أبيات وهيات وإنما
بعثت إلى حربي ثلاث كتائب

وكيف يلد العيش في عتب سيد
وما لذ لي يوم على عتب صاحب

وقبل جرت عن إمض كتي جنوة
ألحت نلى وجوي بغمز الحواجب

سلكت سبيلي للزيارة إثرها
فقابلت دفماً في صدور الركائب

وما كنت مرتاداً ولسكن انفضحة
أعودت من ربحان تلك الضرائب

٤ - في ذ : بي ، بدل : لي .

٥ - في مط : يخفف ، بدل : يسكن ، في ذ (الرباط) : يبرد .

٨ - في ذ : من عتب ، بدل : في عتب ، وما لذتي ، بدل : وما لذتي

ولو لمت لي من سمائك برقة
ركبت إلى مغناك هوج الجنائب

فقبلت من يمينك أعذب مورد
وقضيت من لقياك أوكد واجب

وأبت خفيف الظهر الا من النوى
وخليت للعاني ثقال الحفائب

سواك يعى قول الوشاة من العدى ١٥
وغيرك يقضي بالظنون الكواذب



١٣- في مط : مشرع ، بدل : مورد .

١٤- في ذ (القرويين) : الجنائب ، بدل : الحفائب .

ومر قرب مسكن ابى عيسى بن لبون دون أن يعرج عليه :
 فكتب اليه ابو عيسى قصيدة عاتبه فيها أولها :
 (الكامل)

ختمت بعصرك أعصر الأجواد
 وعنت لذكرك ألسن الورد

فاجابه ابن عمار * :
 (الكامل)

عطلت من حلي السروج جادى
 وسلبت أعناق الرجال صمادى
 ونذبت عزي عن مسير هزنى
 سمدى اليه وحشي إسمادى
 وسلبت من ثوب الروة والوفا
 ثوبى وحلت على بني عبادة
 إن لم أحلك من فؤادى منزلا
 ينبيك أنك مالك لقيادى
 وأخص جانبك الرفيع بخدمة
 تسقيك صفو أحبة وأعاد

* رويت في ق ص ١٠٤ بيتان منها في الخريدة و١٦١، ٢٩ بيتاً في ذ.

وأرد بذكرك من ثنائى روضة
 غناه حالية بنور وداى
 حتى تبين أن غرسك قد دنا
 بجنى وزرعك قد أنى لحصاد
 يا سيدى وأنا الذى ناديتـه
 لرضى قلبى منك خير مناد
 أعطاك فضل الابتداء ولو جرى
 ظلم لأنك أن تكون الباي
 ١٠ لله در عقيلة أبرزتمـا
 من خدر فكرك فى حلى الانشاد
 فرعاه عاطلة النوائب واللى
 غيداه حالية الطلى والهادى
 خلصت إلى مع المساء فعارضت
 صلة الحبيب أنى بلا بهمان
 خط من النظم البديع أفادنى
 حظ الكرام وخطه الاجداد
 وشى سخط يدك الصناع برقه
 فكسوتيه مذهبا بأياذ

١٢ فى ذ (القرويين) : رسالت ، بدل : خلصت ا

١٥ يفدى الصحيفة ناظري فيياضها
ببياضه وسوادها بسواد

أدى نحيبتك الزكية طيها
كافور قرطاس ومسك مسد

ولقد تعين لو أعانت قدرة
حسن الجزاء بها وهز النادى

لكن عجزت فما استقل بشأني
ماء القرات ولا ترى بنسداد

عذراً فنيك لكل طالب حجة
فهم ألد روجه عذر باد

٢٠ بك فاخر العلم القصير فطاول الـ
سرخ الطويل كتابة بطراد

(٢) فلك الفصاحة اولديفك تلبا اسم
ستمطيت متني منسبر وجواد

نثيت عليك حلى الوزارة مثما
حمل الحسام عليك تي مجاد

وتتوجت منك القيادة بالدى
ترك الرياضة مهنة القواد

أنت الجلال الخلو رق طبيعة
وصفا مزاجاً كالسحاب الغادي

من مشر تنشرف الاذوى بهم
كتشرف الايام بالأعياد

جلوا فخلوا في الأنام مكانة
كمكانة الآلاف في الأعداد

أفديك من حر تعبد بره
شكري وقل له العدى والنادى

فلقد ظفرت من اقتبالك بالمتى
وبلغت أقصى غايتي ومرادى

وأرحت من تبي بعهدك في ندى
ظل فبت على وزير وساد

وشددت منك يدي بعلق مظنة
ونفضتها بزغاف أنكاد

متعللين على الوفاء بملة
ضحك الطبيب لها مع العواد

جنحوا الى ظلمي فسمت جراحهم
ولقيت شدتهم بلين قياد

٣٠

واستبطنوا حقداً وبين جوانحي
 طبع يسلم سخائم الاحقاد
 وابكم دعي في الاخاء اعتره
 جذب ان سفيان بطبع زياد
 حتى اذا رفض الاخاء رفضته
 واعترضت عنه بطيب الميلاد
 لاذنب لي في طرد ساعة الهوى
 منه على المرح الويل الصادي
 أنا قد رضيتك فارضني وأعدني
 إن كنت محتاجاً الى الاعداد
 بني لمن إن دعوت لنصرة
 يوماً بساطي حجة وجلاد
 أذكيت دونك للعدى حديق القنا
 وخصمت عنك بالسن الانعام
 صلتني أصلك وصل فديتك بي أصل
 بك واعتمدني أتخذك عمادي
 إليه وقلت الى الوفاء محرراً
 إليه فما خطرت بعطف جماد
 ولأن بلغت الى رضاي فربما
 التبتني لرضائك بالمرصاد

٣٥

٤٠

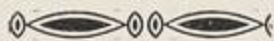
٣٣ - في ذ : كروامن ، بدل : سخائم

وعلى تظاهرها الضمان بقلة الـ
 أعداء ثم بكثرة الحساد
 وزعمت تظلم ساحة ما بيننا
 ظالماً وصبح العدل عندك باد
 ٤٥ كلا فما التسوية من شيمي ولا
 لي الجليل بمادة من عادى
 وهل اکتوت بهواك الالقية
 أحلى بعيني من لذيذ رقادي
 أخطرتها و..... بمد الى التي
 يدعو المطي لها ويشدو الحادي
 لا بد من ذلك السفر وإن عدت
 عنه الليالي إنهن عواد
 سفر إن استبعدته فسأمتطي
 حرصي وأجعل من ثنائك زادي
 خذها نتيجة منك لولادها
 برم بها قال لها متفاد
 حذر من الرد المخل فأنما
 أهدي الزيوف الى يدي نقاد

٤٦- في ذ (الرباط) : التوت ، بدل : اکتوت .

وقال يخاطب بني عبد العزيز وقد اجتاز بهم فأخرجوا إليه تضييفاً
وبراً مع قوم أغفال ولم يلقوه فكتب إليهم * :

تناهيتم في برنا لوسمحتم
بوجه صديق في اللقاء وسيم
وسلستم راح البشاشة بيننا
فما ضر لوساعدتم بنديم
ضننتم بأعلاق الرجال على النوى
فلم تصلونا منهم بزعيم
سألتمس العذر الجميل عن الملا
وأحتال للفضل احتيال كريم
وأنتى على روض الطلاقة بالحيا
وإن لم أفز من نشره بنسيم
ولكن سأستعدى الوفاء وأقتضي
سماحك بالأنس اقتضاه غريم



* رويت في ق : ١١٥ ، وفي خ ١١٦ ، و ١٦٨ مع خلاف في الترتيب ، وخمسة
آيات في ذ قس ٢ فصل ابن عمار .
٢ - في ق : بالجنى ، بدل : في الحيا .

وكتب الى المعتمد في حل أوجبت إباحة * :
(الطويل)

أصدق ظني أم أسيخ الي صحبي
وأقضي عزيمي أم أعوج مع الركب
إذا اتقدت مع رأبي مشيت مع الهوى
وإن أتعبه نكصت على عتبي
وإني لتثيني اليك مودة
يغيرها ما قد تعرض من ذنبي
ثما أغرب الأيام فيما قضت به
تريني بعدى عنك آانس من قربني
أخافك للحق الذي لك في دمي
وأرجوك للحب الذي في قلبي
وكم قد فرت يمينك بي من ضريبة
ولا بد يوماً أن يفلل من غربني
وأعلم أن العفو منك سحبة
فلم يبق إلا أن تخفف من عتبي

* - ح ١٥٩٠ رواه ابى الطاهر التميمي ؛ سبعة ابيات في ذ قد ٢ .

٤ - في ذ : فا أعجب ، بدل : فا اغرب .

ولي حسنت لو أمت ببعضها
الى الدهر لم يرتع بنائبة سرى
ولا بد ما بيني وبينك من
يطبقها ما بين شـ مرق الى غرب

فاجابه المعتمد بقوله :

(الطويل)

تقدم الى ما اعتدت عندى من الرحب
ورد تلفك العتي حجاباً عن العتب
متى تلفني تلق الذي قد بلوته
صفوحاً عن الجاني رؤوفاً على الصحب
سأوليك منى ما عهدت من الرضى
وأصغح عما كان إن كان من ذنب
فما أشمر الرحمن قلبي قسوة
ولا صار نسيان الازمة من شعبي
نكلفتة أبغي به لك سلوة
وكيف يعانى الشعر مشترك اللب



وكتب الى المعتمد وقد ارتهن أمير برشلونة رايغوند ابنه الرشيد
لمال توقف له عنده ، فغضب المعتمد على ابن عمار ظالماً أن له في
ذلك سعيًا * :

(الطويل)

أأركب قصدي ام أعوج مع اركب
فقدصرت من أمري على مركب صعب
وأصبحت لا أدري أفي البعد راحتي
فأجمعه حظي أم الخير في القرب
على أنني أدري بأنك مؤثر
على كل حال ما يزحزح من كربتي
أيظلم في عيني كذا قر الدنجي
وتنبو بكفي شفرة الصارم العضب
حضانك فيمن أنت شاهد جده
وايس له حاشا انتصاحك من حسب
وما جئت شيئاً فيه بنى لطالب
يضاف به رأى الى الضمير والعجب

* ح ص ١٦٦ روايه : ابى الطاهر التميمي

سوى أنني أسلمتني للملأمة
فلت بها حدى وكسرت من غربى
أما أنه لولا عوارفك التي
جرت في جرى الماء في الغصن الرطب
لماسمت نفسي ما أسوم من الأذى
ولا قلت أن الذنب فيما جرى ذنبي
سأستمنح الرحى لديك ضراعة
واسأل سقياً من تجاوزك العذب
وإن تفحنتي من سمائك حرجف
سأهتف يارد النسيم على قلبي

١٠

فجابه المعتمد :

(الطويل)

لدى لك العتبى تزاح عن العتب
وسعيك عندى لا يضاف الى ذنب
وأعزز علينا أن تصيبك وحشة
وأنسك ما تدر به فيك من الحب
فدع عنك سوء الظن بي وآمه
الى غيره فهو الممكن في القلب
قريضك قد أبدى توحش جانب
فجاوبت تأيساً وعلمك بي حسبي

٥ تكلمته أبقى به لك سلوة
وكيف يعانى الشعر مشترك اللب

وعندما ساءت الاحوال بين المعتمد وابن عمار خاطب الأول الثاني
عائباً ومتمثلاً بهذين البيتين * :

(الطول)

تغير لي فيمن تغير حارث
وكل خليل غيرته الحوادث
أحارث إن شوركت فيك فطالما
نعننا وما بيني وبينك ثالث

فأجابه ابن عمار بقوله :

(الطول)

لك المنزل الأعلى وما أنا حارث
ولا أنا بمن غيرته الحوادث
ولا شاركتك الشمس في وإنه
لينأى بحظي ميك ثان وثالث
فديتك ما للبشر لم يسر برقه
ولا تفحت تلك السجايا الدماث
أظن الذي بيني وبينك أذهبت
حلاوته غني الرجال الخباث

* - ذوقه ٢ فصل ابن عمار ١ ح ١٦٣

٥ تتكرت لا أنى لفضلك ناكراً
 لدى ولا أنى لمهدك ناكث
 ولكن ظنون ساعدها نمام
 كما ساعدت مثنى المثنى الثالث
 أبعد مضت خمس وعشرون حجة
 تجافت بنا تلك الخطوب السكوارث
 مضت لم ترب منى أمور شوائب
 ولا تليت عنى مساع خبائث
 حلت يداً بى هكذا وتركيتنى
 نهاباً وللأيام أيد عوابث
 ١٠ وهل أنا إلا عبد طاعتك التي
 إذا مت عنها قام بعدى وارث
 أعد نظراً لا توهن الرأى إنه
 قديماً أباً هاف وأدرك رائث
 ستذكرنى إن بان جبلى وأصبحت
 تثنى بكفيك الجبال الرنائث
 وتطلبنى إن غاب للرأى حاضر
 وقد غاب منى للخواطر باعث
 أعوذ بعهد نطته بك أن ترى
 تحل عراه العاقدات النوافث

وكتب الى محمد بن عبد الرحمن بن طاهر اثناء ما وقع بينها رقعة
 عتاب وختمها بهذه الايات * :
 (الكامل)

عندي حديث لو سمعت قليلا
 ولدى نصح إن أردت قبولا
 يا راكباً ظهر النجى وراكضاً
 في حلبته أما اعتقدت نزولا
 لله درك لو طلبت حقيقتي
 لوجدتني بدل العدو خليلا
 خذ من عنان هواي يوماً للهي
 وانهج لرأيك في اللجاج سبيلا
 ° وأفق من الأنف الذي أعتده
 عزا فقد يدع العزيز ذليلا



وقال عندما نكث ابن عبد العزيز أمير بلنسية العهد الذي عاهد
 عليه ابن عمار وهو التخلي عن أحد الحصون لقاء اطلاق سراح
 ابن طاهر * :
 (الكامل)

خير بلنسية وكانت جنة
 أن قد تدت في سواء النار
 غدرت وفياً باليهود وقاما
 عثر الوفي سمي الى الغدار
 بأهلها من غائب أو حاضر
 وقطينها من حاضر أو سار
 جازوا بني عبد العزيز فانهم
 جروا اليكم اسوأ الأقدار
 ثوروا بهم متأولين وقلدوا
 ملكاً يقوم على المدو بشار
 هذا محمد أو فهذا احمد
 وكلاهما أهل لتلك الدار

* - ح ، ص ١٦٩ ، في ذ ، ق - ٢ فصل ابن عمار
 ١ - في ذ : بشر ، بدل : خير ، نزلت ، بدل : تدت

جاء الوزير بها يكشف ذيلها
عن سوءة سوى وعار عار

نكت اليمين وحاد عن سدن التقى
وقضى على الاقبال بالادبار

آوى لينصر من نبا الثوى به
ودهاه خذلان من الأنصار

١٠ بر اليمين ولم يعرض نفسه

وتفوسكم لمصارع الفجار

ماكنتم الا كأمة صالح

فرماكم من طاهر بقدار

هذا وخصكم باشأم طائر

ورمى دياركم بأسوأ جار

لا بد من مسح الجبين فانما

لطمته غدراً غير ذات سوار

هيات يطعم بالنجاة لطالب

ساع اذا ونت السكواكب سار

١٥ كيف التفت بالخديعة من يدي

رجل الحقيقة من بني عمار

١٣ - في حاشية ذوق (الرباط) و ٨٠ : بالأم ، بدل باشأم

رجل تطعمه الزمان فجاءه

طرفين في الاحلاء والامرار

سلس القياد الى الجميل فان يهيج

فدع العنان لهبة التيار

طبن باغراض الامور مجرب

فطن لايسرار المكائد دار

ماض اذا برزت اليه مصمم

٢٠

هون اذا التفت عليه مدار

مازال مذ عقدت يده ازاره

٠٠٠٠ فادرك خمسة الاشهار

كشاف مظاهرة وسائس أهمة

تقاع أهل زمانه الضرار

عجباً لاشمط راضع ندى الوغى

منه وطورد في اننا الخطار

شراب أكواس المدام وتارة

شراب أكواس الدم الموار

جرار اذيال القنا ظنوا به

٢٥

قد زاركم في الجحافل الجرار

وكأنكم بنجومه ورجومه

تهوى اليكم من سما غبار

وأنا النصيح فان قبلتم فتركوا
آثارها خيراً من الأخبار
قوموا الى الدار الخبيثة فانهموا
تلك الذخائر من خبايا الدار
وتعوضوا من صفرة خبثية
بأغر وضاح الجين مدار

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
والذي كنا لنهتدي لولا
هداه لولاه
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
والذي كنا لنهتدي لولا
هداه لولاه
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
والذي كنا لنهتدي لولا
هداه لولاه
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
والذي كنا لنهتدي لولا
هداه لولاه
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
والذي كنا لنهتدي لولا
هداه لولاه

وقال حين مقامه بمرسية يهجو العتد بن عباد زوجه اعتمد
ازميكية* :
(المقارب)

ألا حى بالغرب حياً حلالاً
أناخوا جمالا وحازوا جمالا
وعرج بيومين أم القرى
ونم فمسى ان تراها خيالاً

(٢) لتسأل عن ساكنيها الرما
د ولم تر للنار فيها اشتعالاً

أيا فارس الخليل يازيدها
حيت الحمى وأبجت العيالاً

٥ اراك تورى بحب النساء
وقدما عهدك تهوى الرجالاً

(٢) تخيرتها من بنات الهجان
ن روميكية ما تسارى عقلاً

* - ٧ - آيات في ٤٤٨٨ ، ٩ ، آيات في خ ، ١١ بيتاً في عبد ج ٢

٤ - في ع : فبا عامر ، بدل : أيا فارس

٦ - في ع : الهجين ، بدل : الهجان

(٢) فجاءت بكل قصير العذا
ر لئيم النجارين عمًا وخلا

بصغر الوجوه كأن استها
رمامم فجاءوا حيارى كسالا

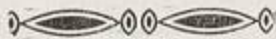
قصار القدود ولكنهم
أقاموا عليها قرونًا طوالا

أتذكر أيامنا في الصبا
وأنت إذا لحت كنت الهللا

(٢) أعانق منك الفضيبي الرطيب
ب وأرشف من فيك ماء زلالا

(٢) وأقع منك بدون الحرا
م فتقسم جهدك أن لا حاللا

(٢) سأكشف عرضك شيئًا فشيئًا
شيئًا وأعتك سترك حالا فخالا



وكان له أيام اعتصامه بمسئله خاتمان ، أحدهما للمعتمد والآخر
لألفونس السادس ، فتندر بذلك الوزير ابن عبد العزيز وابن طاهر ،
فلما وصل خبر ذلك الى ابن عمار قال * :

(الكامل)

قل للوزير وليس رأى وزير
ان تتبع التدبير بالتدبير
ان الوزارة مذ لبست رداءها
رفعت على التغيير والنزوير
ان الوزارة لو سلكت سبيلها
وقف على التعزير والتوقير
وأرى الفكاهة جل ماتأني به
رحماك في التمجيز والتصدير
بلغت دعايتك التي أهديتها
في خاتم التأمين والتأمير
وأظنها للطاهري فان تكن
فجديرة التقديس والتطهير

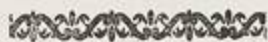
* في ح ١٦٢ ، ذ ٢٠٥ ، فصل ابن عمار ، ع ٢٥ ٩٧
٤ - في ع : في التصدير والتظهير ، بدل : في التمجير والتصدير
٦ - في ذ (القرويين) ق ٢ : فخليقه : بدل : فجدير :

ولعل يوماً أن يصير نفسه
في طيبة التطيب والتنزير

فرسا رهان أنما فتجارية
لنقول في التقديم والتأخير

وإذا سلكت سبيله حقيقة
كي تتبع التطهير بالتصنيف

وترى بلنسية وأنت قدارها ١٠
سينالها التدمير من تدمير



ونزل ابن عمار في بعض حركاته بحسن شقورة فأقبضوا عن لفائه
استيحاشاً منه فكتب اليهم * :

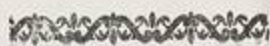
(الطويل)

أإخواننا هل حال من دوننا أمس أحالك أم وحشة جرها الدهر
بختام بلقيانا وكان نزولنا على جفوة منكم وإن عظم البر
وما هو الا مقطوع كهوائكم عصيب وخلق مثل منزلكم وعر
نقوا بي اذا عز اللقاء فما اعترى الى شيمتي غدر ولا بيدي سحر



وحين مقامه بسر قسطة وقد بلغه أن أهلها يعيبون عليه معاقرة الراح ،
فقال * :

نقمتم على الراح أدمن شربها وقلم فتى لهو وليس فتى جد
ومن ذا الذي قاد الجياد إلى الوغى سواي ومن أعطى الكثير ولم يكد
فديتكم لو تعلموا السر إذنه قليتكم جهدي فابعدتكم جهدي



١ - في ر ٩٥٠ ، ع ١٠٤ ، ح ، فصل ابن عمار

- في ع : مجد ، بدل : جد

٢ - في ع : كثير ، بدل : الكثير

٣ - في ع : لم تفهموا ، بدل : لم تلموا

وكان ابن عمار في مجلس المؤتمن بن هود ، فدخل غلام متدرع
يستشير المؤتمن بن هود في الخروج لموضع بعثه إليه فطلب منه أن
يخلع درعه ويسقيهم الخمر ، فأمر المؤتمن الغلام أن يطيمه ففعل ، وفي
ذلك يقول ابن عمار * :

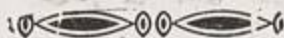
وهويته يسقي الدمام كأنه
قر يدور بكوكب في مجلس
متأرجح الحركات تندى ريحه
كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسعى بكأس من أنامل سوسن
ويدير أخرى من محاجر نرجس
ياحمل السيف الطويل نجاده
ومصرف الفرس القصير المحبس
إياك بادرة الوغى من فارس
خشن القناع على عذار أملس
جهم وإف حسر اللثام فانما
كشفت الظلام عن النهار المشمس

* ق ١٩٦ ، ج ٢ ص ١٧٧ ، ذ ١ ق ٤

٤ - في ن : يضع السنان على العذار الأملس .

٥ - في ذ (رباط) : المرادى ، بدل : بجاده

يظفي ويلعب في دلال عذاره
كالمرح في اللجام المجرس
سلم فقد قصف العنا غصن النقا
وسطا بيث الغاب ظبي المسكنس
عنا بكأسك قد كفتنا مقلة
حوراء فأمة بسكر المجلس



وال في وصف غلام * :

(الكامل)

وأغيد من ظباء الروم عاط

بسالتيه من دممي فريد

نبيل الخلق جافي الخلق عبد

هو المولى ونحن له عبيد

قما قلبا وسن عليه درعاً

فباطنه وظاهره حديد

بكيت وقد دنا وتأي رضاه

وقد يبكي من الطرب الجديد

وإن فتى تملكه بنقد

وأحرز رقه لفتى سعيد



* - م ١٨٨ ؛ و ١٠٢ ، ق ٩ ؛ ع ٣ ؛ فعمل ان عمار ، السحر والشعر

وسجن المؤمن يوماً غلاماً كان له في نفس ابن عمار موقع حسن ،
 فتخلف ابن عمار عن الركوب للقصر وكتب إليه * :
 (الطويل)

انا المطبق المسجون لا من سجنته
 وأطبقته فانظر لعبيدك أو دع
 حرام حرام أن ترائي عين من
 تراه فان شئت ارتجاعي فارجع
 ويا حسن حال الود إن سمحت يد
 ولقيت فيها بالشفيع المشفع



وقال في سجنه في شقورة مخاطباً الوزير ابا جعفر بن جرج حين
اجتاز بتلك البقاع* :

(المتأرب)

كأني اراك أبا جعفر تقول وتبسم نحوى مشيراً
سفرت ليرجع هذا معي وزيراً فلم أر الا أسيراً
وهل يملك المرء من أمره فتيتاً فينفذه أم
هو القدر الحتم يعمى القتي وإن كان بالدهر طبياً بصيراً



* ذ قد ٢ فصل ابن عمار .

وكتب في مدة اعتقاله عند صاحب شقورة الى ابي الفضل بن

حسدای يصف موضع اعتقاله :

(الكامل الحذاء)

أدرك أخاك ولو بقافية

كالطل يوقظ نائم الزهر

فأعد تقاذفت الركاب به

في غير موماة ولا بحر

طمعت صحابته بلا سنة

وتساقطوا سكرى بلا خم

بمارج أدت إلى جرد

حتي من الأنواء والقطر

عال كان الجن إذ مردت

جعلته مرعاة الى النسر

وحش تناكرت الوجوه به

حتى استربت بصفحة البدر

قصر تمهد بين خافقتي

نسرين من فلك ومن وكر

* - ق ص ١٠٤ ، ذ ق ٢ فصل ابن عمار . دهوان ابن عمار .

متحير سال الوقار على
عظفيه من كبر ومن كبر
ملكك عنان الريح راحتك
فجياها من تحته نجري
١٠ مأوى العزيز وقد نصحت فان
تهمل فقد ألبيت في العذر
ووصلت خدمة قاطع سببي
وأطعت أمر مضيع أمري
دع ذا وصلنا غير مؤتمر
مستأثرا بالحمد والشكر
واكتبت الينا منها ليد
تمحو الذي كتب يد الدهر

.....

١٠ - في ق : يمهمل ، بدل تهمل

وكتب عندما كان سجيناً في شقوره الى المبرز :

(الطويل)

تراهى بعينى إن أردت مبرئى

وسبب الى الحسنى ولوبقسيم

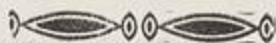
فماشم عرف المسك دون تنشق

ولا اهتز عطف الغصن دون نسيم



وكتب الى صاحب المريه في مدة اعتقاله في شقورة * :
(الرجز)

أصبحت في السوق ينادى علي
رأسي بأنواع من المال
فهل فتى يبتاعني ماجد
أخدمه مدة إمره الي
تالله لاجار علي نقده
من ضمني بالتمن الغالي
أربح بها مولاي من صفقة
في سلعة من ترك الغمال



* ذ ، ق ٢ ، فصل ابن عباد ، بيتان في ص ١٠٣ .

وكتب الى المعتمد في مدة اعتقاله بشتمورة * :

نفسى نحن الى فداء تقديك نفسى من شراء
 فاسبق بنفدك وءدمم مسترخصاً لي بالفـلاء
 ثم امض في على احتيا (٢) رك من فناء او بقاء
 والله ما أدرى إذا قالوا غدا يوم اللقاء
 ما أقتل الحالين لي إن كان خوفاً او حيانى

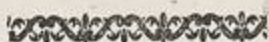


* - ذ فـ ٢ قبل ابن عمار ، ح : فصل ابن عمار .

٧١

وقال وهو في سجن شقورة ، وقد استدعى نورة يستنظف بها
فتمذرت عليه فاستدعى موسى فأنى بها * :
(المجتث)

بؤسى شقورة عندي
أربى على كل بؤسى
فقدت هرون فيها
فظلت أطلب موسى



وكتب الى الراضي بن المعتمد * :

(الكامل)

قالوا آنى الراضى فقلت لعلها
 خلعت عليه من صفات آبيه
 فال جرى فعسى المؤيد واهباً
 لي من رضاه ومن أمان أخيه
 قالوا نعم فوضعت خدى في الثرى
 شكراً له وتيمناً بينيه
 يا ايها الراضي وإن لم يلقيني
 من صفحة الراضي بما أدريه
 هبك احتجيت لوجه عذر بين
 بذل الشفاعة أى عذر فيه
 سهل على يدك الكريمة أحرفاً
 فيمن أسرت فتثني تقديه

* في ق ص ٩٦ ؛ في ذ قد ٢ فصل ابن عمار ، في ح ، فصل ابن عمار ، في ع ج ١١٦ ص ١٠٩

١ - في ذ (القرابين) سات ، بدل : صفات . وكذلك في ح .

٦ - في ذ (القرابين) : خفيف ، بدل : سهل .

وكتب من سجنه بأشبيلية الى الرشيد بن العتمد يطلب شفاعته
له لدى أبيه * :

(الكامل)

قل لبرق الغمام ظاهر بریدی

قاصداً بالسلام قصر الرشيد

فتقلب في جوه كقوادی

وتماثر في صحنه كالفرید

وانتجب في صلاصل الرعد تحكي

ضحتي في سلاسلی وقیودی

فاذا ما اجتلاك او قال ماذا

قلت : انی رسول بعض العبيد

بعض من أبعده عنك الليالي

فاجتني طاعة المحب البعيد

(٢) فجزاك الاله من ملك حر

ر بقاء التمكين والتمهيد

من مطيع عهد الوفاء مطاع

وودود على النوى مودود

* ذوقه ٢ فصل ابن عمار ، ع ١١١ ص ١٦٧ .

- (٢) كنت أشدو عليك يادوحة الحج
 د ويا روضة السندی والجود
 إذ جناحي ند بظلك طلق
 ولساني رطب على التغريد
 وأنا اليوم تحت ظل نقاب ١٠
 اقوة محوة الجناح صيود
 (٢) أتقيها بناظر خائق اللع
 ظ مروع وخاطر مرؤود
 غير أني سأصطفي لك جهدي
 من ثناء طيب وذكر حميد
 في قليل من القوافي كثير
 وذلول من المعاني شرود
 كلمات كأنها الدر نظماً
 طوقت منك أي طوق وجيد
 (٢) أنت بدر النجوم تحت سني الشم ١٥
 س أبيضكم على سماء السعود
 (٢) أنت ريحانة العلي لبني عب
 باد السادة الكرام الصيد
 (٢) أنت إما اعترضتم درة التنا
 ج فرند الحسام وسطى الفريد

- (٢) وإذا ما مدحتم نكمتة الخط . .
 بية قصد الحديث بيت القصيد
- (٢) وإذا ما ركبت الخيل صدر ال
 جيش عين اللواء قلب الحديد
- (٢) أنت فيهم إن يعتمروا ليلة القدر
 ر وإذا يصبحون يوم العيد
 فهنيئاً أبا الحسين خلال
 وصفات جلت عن التجديد
 وشفوف على الجمع بسن
 وسناء الى سنى ممدود
 وهنيئاً من المؤبد حظ
 لامزيد عليه للمستزبد
 لك في نفسه العزيزة حب
 شاب فيه حلاوة التوحيد
 وعلى لحظة التزيه طلوع
 كطلوع البشير بالتأييد
- وإذا ما سمع بذكرك شاد
 قال أحسنت هزة المستعيد

٢٥

فعلام المرى وصبح رضاه
مع سنى وجهك الاغر السعيد
وإلى ابن في الشفيح اذا ما
لم ألد منك عنده بالرشيد

بفتى نازح المسكان مطل
غائب الشخص ذى اعتناء عتيد

مشفق يستجيب لي من قريب ٣٠
وانا أستغيثه من بعيد

(٢) لو أطلت علي رحمة عينيه
به انجالت شدتي وذاب حديدي



وكتب من سجنه في اشبيلية الى الامون بن المتمد يطلب شاعته
لدى أبيه * :

(الكامل)

هلا سألت شفاعة الامون
أو قلت ما في نفسه يكفني
ما ضر لو نيهته بتحية
يسرى النسيم بها على دارن
وهزرت منه فقه. يقلب سيفه
يوم الجلال الحين بعد الحين
مالي أبه ناظراً لم يغف عن
حظيه من دنياه أرمن دين
وأهز من عطف ثناه عطفه
حتى خشيت عليه فرط اللين
بيدي من الامون أوثق عصاة
لو أن أمرى في يد الأمرن
أمرى الى مولى اليه أمره
وكفاه من فوق كفاه ودون

* - ذق ٢ فصل ابن عمار ، ع ج ٢ ص ١١٠ ، ح فصل ابن عمار .

٧ - في ح : ملك ، بدل : مولى .

حيث استوى الحصان حقاً والتقى
عز الغني بذلة المسكين

مك طوى سر المهاجـ شخصه
لولا أسرة وجهه الميمون

١٠ جبل سما بذؤابته الى العلى

ورسا بهضبته على التمكين

متوقد الجنبات كلل دوحه

بجنى وخبر صفحه بعيون

دانت لأيدى المجتدين قطوفة

ودنا اليهم من ظلال غصون

ونأى لأبصار العصاة فأما

يتوهمون نعيمه يظنون

ببحر اذا ركب العفافة سكونه

وهب الفقى في عزة وسكون

١٥ واذا طمى للذنب لم يسمع به

الا الدعاء يعان بالتأمين

كم أسكب العذب الفرات على فى

يرمي يدي بالؤلؤ المكنون

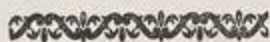
* ١٤ - في ذ (الغرويين) : في نمرة ، بدل : في عزة .

واليوم قد أصبحت في غمراته
 إن لم تغثنى رحمة تنجينى
 بعدت سواحله علي وأدركت
 أمواجه فتلاعبت بسفينى
 لاشك في أنى غريق عبابه
 إن لم يمد الفتح لي يمين
 يافتح جردها عناية فارس ٢٠
 بطل على حرب الولي أمين
 متقدم من جده بكتيبة
 مستظهر من لفظه بمكين
 واقرن شجاعتك السكرية عنده
 بتواضع من عزة لاهون
 في سكتة من هيبة وسكينة
 وبضجة من رحمة وحنين
 فأبوك من يغشي الملوك بساطه
 شوسا فما يرمونه بميون
 مايعرض الجبار منه لحاجة ٢٥
 الا برفع يد ووضع جبين

٢٠ - في ح : درب على قصر ، بدل : بطل على حرب ، وكذلك في ع .

٢١ - في ذ (القروين) : من لطفه ، بدل : من لفظه .

يافتح إن نازلته مستترا
فأهنا بفتح من رضاه مبين
وليخلصن اليك من أعلاقه
علق يشد عليك كف ظنين



-
- ٢٢ - في ح : شجاعتك ، بدل : شفاعتك .
٢٣ - في ذ (الروين) في شكة ، بدل : في مسكنة .

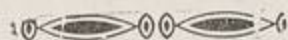
ومما قام في أثناء انتقاله في إشبيلية * :

(المذسرح)

يقول قوم إن المؤيد قد
 حال في فديتي على نقده
 يا قوم ماذا الشراء ثانية
 ترى لمعنى يريب من عنده
 أوحشني والسماح عادته
 سماحه بالغلاء في عبده
 الحمد لله إن يكن حرجاً
 فليس في مثله سوى حمده
 وحيلة إن وصلت حضرته
 جعلتها رغبة إلى جنده
 لو ساءحوا في الفرند أرمقه
 من طرفه لم أخفه من غمده
 لسن على الغرب عارض رجل
 مرتجياً بالشرار من رنده

* ح ١٧٢٣؛ ذقمة، فصل ابن عمار، ع ٢ ج ١١٩٥.

أخضر يفتقر من جوانبه
كالبحر في جزره وفي مده
يارب بشر برحمة وحيًا
تؤنس من برقه ومن رعه



وكتب الى المعتمد من سجنه يستعطفه ويقال إنها آخر قصيدة
أرسلها اليه * :
(الطويل)

سجايك إن عاقبت أندى وأسمح
وعذرك إن عاقبت أجلي وأوضح
وإن كان بين الخططين مزية
فأنت الى الأدنى من الله أجنح
حزائيك في أخذى برأيك لاتطع
عدائى وإن أثنوا علي وافصحوا
وماذا عسى الأعداء ان يتزبدوا
سوى أن ذنبي واضح متصحح
نعم لي ذنب غير أن لحابه
صفات يزل الذنب عنها فيسفع
وإن رجأى أن عندك غيرما
يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح

* ق ص ١١٠ ، ذ ق ٢ فصل ابن عمار ، ١٩ بيتاً في مع ص ١٢٦ ، ١١ بيتاً في ن
ج ه ص ١٨٠ ، ١٩ بيتاً في ح ص ١٦٨ .
١ - في ذ : ولو ، بدل : وإن || في ذ (الرماط) اجح ، بدل : اجنح
٢ - في مع : عليك ، بدل : على
٣ - في ذ : الواشون ، بدل : الاعداء

ولم لا وقد أسلفت وداً وخدمة
 يكران في ليل الخطايا فيصبح
 وهبني وقد أعقبت أعمال مفسد
 أما تقسد الأعمال ثمة تصلح
 أقلني بما بيني وبينك من رضى
 له نحو روح الله باب مفتوح
 وعف على آثار جرم جنيته
 بهبة رحمة منك تمحو وتمصح
 ولا تلتفت رأى الوشاة وقولهم
 فكل إناء بالذى فيه يرشح
 سيأتيك في أمرى حديث وقد أتى
 بزور نبي عبد العزيز موشح
 وما ذاك الا ما علمت فأننى
 إذا تبت لا أنفك آسو وأجرح
 تخيلتهم لأدر لله درهم
 أشاروا نجاهي بالشتمات وصرحوا
 وقالوا سيجزيه فلان بفعله
 فقلت وقد يعفو فلان ويصفح

١١ - في ذ : برأى ، بدل : بزور .

١٥ - في ذ : بذنبه ، بدل : بفعله .

ألا إن بطشاً للمؤيد يرتجى
ولكن حاملاً للمؤيد أرجح
وبين ضلوعى من هواه تيممة
ستنفع لو أن الحمام مجلح
سلام عليه كيف دار به الهوى
الى فيدنو أوعلى فينزع
وبهنيه إن مت السلو فأنى
أموت ولي شوق اليه مبرح



فهرس القسم الأول

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
تمهيد تاريخي	٩
أسرة ابن عمار	١٩
الصفات المميزة لشخصية ابن عمار	٢٠
ثقافة ابن عمار	٢٢
ابن عمار قبل أن يلتقي بالمعتضد عام ٤٤٥	٢٣
ابن عمار منذ لقائه بالمعتضد حتى مجيء المعتضد الى الحكم عام ٤٦١	٢٩
ابن عمار في إشبيلية	٣٠
الرائية	٣١
الدالية	٤٠
ابن عمار والامير محمد بن عباد (المعتضد)	٤٦
العودة الى إشبيلية	٥٣
ابن عمار في المنفى	٥٤
الميمية	٥٥
ابن عمار في اثناء حكم المعتضد بن عباد	٧٠
ابن عمار السياسي	٧١
ابن عمار حاكماً لثلب	٨٢
ابن عمار وزيراً أولاً لملكة إشبيلية	٨٤
ابن عمار وقرطبة	٨٧
ابن عمار وغرناطة	٨٨
ابن عمار ومسيحيو الشمال	٩٧

الموضوع	الصفحة
نشاط ابن عمار الأدي أيام وزارته للمعتمد في إشبيلية .	١٠٣
ابن عمار بين عامي ٤٧١ - ٤٧٧	١٠٨
ابن عمار ومرسية	١٠٨
البائضان	١١٣
الحملة الثانية على مرسية	١٢٠
تمرد ابن عمار في مرسية	١٢٤
ابن عمار وطلطله	١٤٢
ابن عمار في سرقة صطة	١٤٥
ابن عمار في سجن شقورة	١٤٨
ابن عمار في سجن المعتمد	١٥٢
التهمة الموجهة لابن عمار	١٥٤
نشاط ابن عمار الأدي في سجن إشبيلية	١٥٦
مصراع ابن عمار	١٦٥
أحكام المؤرخين المسلمين على ابن عمار	١٦٦
القيمة الأدبية لشعر ابن عمار	١٦٨

فهرس القسم الثاني

فهرس الموضوعات والاغراض

موضوعها او غرضها	رقم القصيدة	الصفحة
ديوان ابن عمار	-	١٧٥
المصادر الرئيسية لهذا الديوان	-	١٧٩
ديوان ابن عمار	-	١٧٩
ابن الأبار ، الحلة السيرة	-	١٨٠
ابن بسام ، التخييرة في محاسن أهل الجزيرة	-	١٨٠
ابن دحية الكلي ، المطرب في أشعار أهل المغرب	-	١٨٣
ابن سيد الناس اليمعري ، نصوص أندلسية	-	١٨٤
عهاد الدين الاصماني ، خريدة القصر وجريدة أهل العمر	-	١٨٥
اير العباس الجراوى ، الحماسة المغربية	-	١٨٥
مصادر أخرى	-	١٨٦
المختصرات المستعملة في الحواشي	-	١٨٨
في مدح المعتضد بن عباد ملك اشبيلية	١	١٨٩
» » » » ووصف انتصاره	٢	١٩٥
على البربر		
في مدح المعتضد بن عباد	٣	٢٠٠
» » » »	٤	٢٠١
» وصف الليل	٥	٢٠٣
» مدح المعتضد	٦	٢٠٤
» » »	٧	٢٠٥

موضوعها او غرضها	رقم القصيدة	الصفحة
في عتاب امي الوليد بن زيدون	٨	٢٠٧
« الشكوى والاستعطاف والمدح ، كتبها الى محمد بن المعتضد من منفاه في سرقسطة في الغزل	٩	٢٠٩
» معاتبة امي الوليد بن زيدون وطلب شفاعته له عند المعتضد	١٠	٢٢٠
في مدح المعتضد بن عباد	١١	٢٢٣
» » » »	١٢	٢٢٥
» وصف زورق	١٣	٢٢٧
» » طابق فضة مذهب الباطن	١٤	٢٢٨
أرسلها مع هدية للمعتد في يوم عيد كتبها في يوم غائم وقد احتجب	١٥	٢٢٩
في وصف مؤذن	١٦	٢٣٠
» » مجلس أنس ومدح المعتد	١٧	٢٣٠
كتب المعتد الى ابن عمار يدعوه لمجلس أنس ، فأجابه ابن عمار	١٨	١٣٢
في مدح المعتد بن عباد	١٩	٢٣٣
كتبها الى المعتد يحضه على اللحاق ببعض نساءه .	٢٠	٢٣٤
في الغزل	٢١	٢٣٥
» أستنجاز حاجة	٢٢	٢٣٦

موضوعها او غرضها	رقم القصيدة	الصفحة
في استنجاز حاجة	٢٥	٢٣٩
» الغزل	٢٦	٢٤٠
» »	٢٧	٢٤٢
» وصف كأس من الخمر	٢٧	٢٤٣
» » غلام جميل	٢٩	٢٤٤
» الفخر	٣٠	٢٤٥
» وصف الحرشف	٣١	٢٤٦
» » القلم	٣٢	٢٤٧
» » يوم غائم	٣٣	٢٤٨
» » فارسين تبارزا فطعن أحدهما	٣٤	٢٤٩
الآخر		
في هجاء شخص اسمه مسلم	٣٥	٢٥٠
» » مغن » ابو الفضل	٣٦	٢٥١
» الغزل	٣٧	٢٥٢
» وصف جدول يصب في غدير	٣٨	٢٥٣
» التنزل بفلام	٣٩	٢٥٤
» وصف قصر دمشق بقرطبة	٤٠	٢٤٥
» » رسالة .	٤١	٢٥٦
كتب ابو الحسن بن الجدد كاتب ابن عمار	٤٢	٢٥٧
أبياتا اليه يستأذنه في الرحيل فأجابه ابن		

موضوعها او غرضها	رقم القصيدة	الصفحة
عمار عليها		
كتبها الى ابي الحسن بن اليسع مجيباً عن رساله	٤٣	٢٦٨
كتب ابن رزين الى ابن عمار اياتاً فاجابه عليها	٤٤	٢٦٠
كتبها لابن رزين يعتذر فيها عن عدم تعريجه عليه	٤٥	٢٦١
كتبها الى ابن لبون مع تفاح وأجاص	٤٦	٢٦٣
» » أحد معارفه مع تفاحتين ورماتين	٤٧	٢٦٤
» » المعتصم بن صمادح يستأذنه في الرحيل	٤٨	٢٦٥
كتبها الى المعتصم على لسان بعض الشعراء قالها عند رحيله من المريه للمعتصم بن صمادح	٤٩	٢٦٦
عاب المعتصم بن صمادح ابن عمار بأبيات فأجابه على ذلك	٥٠	٢٦٧
كتبها الى ابي عيسى بن لبون معتذراً ومجيباً على ابيات	٥١	٢٦٩
في عتاب بني عبد العزيز حكاه بلنسية	٥٢	٢٧٢
كتبها الى المعتد معتذراً ، فأجابه المعتد على ذلك بابيات	٥٣	٢٧٨
كتبها الى المعتد معتذراً بعد فشل الحملة	٥٤	٢٨٩
	٥٥	٢٨١

موضوعها او غرضها	رقم القصيدة	الصفحة
عائبه المعتمد بأبيات فأجابه ابن عمار على ذلك الاولى ضد مرسية ، فأجابه المعتمد بعد حملته	٥٦	٢٨٤
كتبها الى ابن طاهر يعانبه	٥٧	٢٨٤
كتبها محرضاً أهل بلنسية على الثورة ضد بني عبد العزيز	٥٨	٢٨٧
في هجاء بني عباد	٥٩	٢٩١
ارسلها الى ابن عبد العزيز مستنكراً ومهدداً	٦٠	٢٩٣
في عتاب - ادة حصن شقوره	٦١	٢٩٥
في الفخر وعباء أهل سرقسطة	٦٢	٢٩٦
« التفرل بفلام	٦٣	٢٩٧
» » »	٦٤	٢٩٩
« الشذاعة في غلام	٦٥	٣٠٠
كتبها لى احد مبارفه في التشكي من الزمان	٦٦	٣٠١
كتبها من سجنه في شقوره الى الفضل بن حسدائ يشكو	٦٧	٣٠٢
كتبها من سجنه في شقوره الى المطرز	٦٨	٣٠٤
» » » » » «صاحب المرية	٦٩	٣٠٥
» » » » » «المعتمد	٧٠	٣٠٦
شكوى	٧١	٣٠٧
في استعطاف الراسي بن المعتمد	٧٢	٣٠٨
يستمنف الرشيد بن المعتمد ويداب شفاعة	٧٣	٣٠٩

لدى ابيه

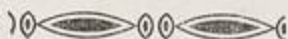
يستعطف المأمون بن المعتد ويطلب شفاعته ٧٤ ٣١٣

خواطر واستعطاف ، كتبها للمعتد من ٧٥ ٣١٧

سجنه

كتبها الى المعتد من سجنه يستعطفه وهي ٧٦ ٣١٩

آخر قصائده



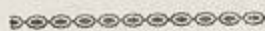
فهرس المطالع والقوافي والبحور

الصفحة	رقم القصيدة	مطامها	قافيتها	بجرها
١٨٩	١	ادر الزجاجة فالنسيم قد انبرى	السرى	كامل
١٩٥	٢	الا للمعالي ماتعيد وما تبدى	تبدى	طويل
٢٠٠	٣	وفيت لربك فيمن غدر	كفر	متقارب
٢١	٤	السكاس ظامية الى يمناكا	لقياكا	كامل
٢٣	٥	اتاك الليل معتكراً	البدر	هزج
٢٤	٦	إنا عبيدك او يقول مصدق	بخيل	طويل
٢٠٥	٧	أشاقك برق ام جفاك حبيب	رحيب	»
٢٠٧	٨	تأملت منك البدر في ليلة الخطب	الجذب	»
٢٠٩	٩	على والا ما بكاء الغمام	الجمائم	»
٢٢٠	١٠	جاه الهوى - فاستشعروه - عاره	أوراه	كامل
٢٢٣	١١	كيف اعترزت على الدليل	الوصول	كامل مجزوء
٢٢٥	١٢	على اليمن والطار السائح	لبارح	متقارب
٢٢٧	١٣	افي كل يوم تحفه وتفقده	يؤكد	طويل
٢٢٨	١٤	وجارية مثل الهلال القتها	رقيق	»
٢٢٩	١٥	وسماء من الغنى قد اسالت	لجين	خفيف
٢٣٠	١٦	لما رأيت الناس يحتشدون في	بابه	كامل
٢٣١	١٧	تجههم وجه الافق واعتلت النفس	الشمس	طويل
٢٣٢	١٨	هذا المؤذن قد بدأ بأذانه	رحمانه	كامل
٢٣٣	١٩	ما ضر ان قيل اسحاق ومرصه	واسحاق	بسيط

الصفحة	رقم القصيدة	مطلعها	قافيتها	بحرها
٢٣٤	٢٠	لبيك لبيك من مناد	الندى	بسيط
				مجزوء مقطوع
٢٣٥	٢١	لله درك ما تملق ناظري	تحصيل	كامل
٢٣٦	٢٢	مولاي عندي لما تهوى مساعدة	السارى	بسيط
٢٣٧	٢٣	أما أنا فتهيم	كيف	كامل مجزوء
٢٣٨	٢٤	أهزك لا أنى عهدتك ناسياً	التفاضيا	طويل
٢٣٩	٢٥	يانسيم الثناء هب فنبه	عبده	منسرح
٢٤٠	٢٦	وما لحام الايك تبكيك كلما	شذيب	طويل
٢٤٢	٢٧	نفسى وان عذبتها تهواك	لقبياك	كامل
٢٤٣	٢٨	السكاس جامد ماء	نار	مجتث
٢٤٤	٢٩	قرأت كتابك مستشفعاً	رده	مقارب
٢٤٥	٣٠	إنى ابن عمار لا أخفى على أحد	والقمر	بسيط
٢٤٦	٣١	وبنت ترب وماء جودها أبدأ	البخل	»
٢٤٧	٣٢	نحن خليلان ما دعانا	اختيار	بسيط
				مجزوء مقطوع
٢٤٨	٣٣	يوم تكائف غيمه فكأ أنه	أخضر	كامل
٢٤٩	٣٤	كم من شجاع قدته تحت الردى	كالأرسان	»
٢٥٠	٣٥	رواح مسلم قذرة	دسره	وافر مجزوء
٢٥١	٣٦	غنى ابو الفضل فقلنا له	الفضل	سريع
٢٥٢	٣٧	رشا يرنو بنرجسه ويمطو	أقاح	وافر
٢٥٣	٣٨	ومطررد الاجزاء يصقل متنه	ضميره	طويل

الصفحة	رقم القصيدة	مطلعها	قافيتها	بحرها
٢٥٤	٣٩	تولمته جهورى النجار	الثنايا	مقارب
٢٥٥	٤٠	كل قصر بعد الدمشق يذم	المشم	خفيف
٢٥٦	٤١	تهتز فى حلى الندى	الصبا	رجز مجزوء
٢٥٧	٤٢	كتبت بالرحيل	دخيل	مقارب
٢٥٨	٤٣	أهلا بقربك لو يطول مقام	منام	كامل
٢٦٠	٤٤	ضمان على الأيام أن أبلغ المنى	معلناً	طويل
٢٦٢	٤٥	لقاؤك النجج لو أعقبته سفرى	نظرى	بسيط
٢٦٣	٤٦	خذها كما سفرت اليك حدود	نهود	كامل
٢٦٤	٤٧	خذوها مثاماً استهدىتموها	اللثام	وافر
٢٦٥	٤٨	يا وائتماً وصل السماح	السماح	كامل
				مجزوء ومذيل
٢٦٦	٤٩	يا أيها الملك الذى شاد العلا	المنصور	كامل
٢٦٧	٥٠	ألفظك ام كأس الرحيق المعتق	المنق	طويل
٢٦٩	٥١	فديتك لا تزهد فثم بقية	التجارب	»
٢٧٢	٥٢	عطلت من حلى السروج جياذى	صعادى	كامل
٢٧٨	٥٣	تناهيتى فى برنا لو سمحتم	وسيم	طويل
٢٧٨	٥٤	أصدق ظنى أم أسيخ الى صحبى	الركب	»
٢٧٩	٥٥	أر كعب قصدى أم أعوج مع الركب	صعب	»
٢٨١	٥٦	لك المثل الأعلى وما أنا حارث	الحوادث	»
٢٨٠	٥٧	عندى حديث إن سمعت قليلاً	قبولا	كامل
٢٨٧	٥٨	خبر بلنسية وكانت جنة	النلر	»

الصفحة	رقم القصيدة	مطلعها	قافيتها	بحرها
٢٩١	٥٩	ألا حى بالغرب حياً حلالاً	جمالا	مقارب
٢٩٣	٦٠	قل للوزير وليس رأى وزير	بالتندير	كامل
٢٩٥	٦١	أإخوانناهل حال من دوننا أمر	الدهر	طويل
٢٩٦	٦٢	نقمتم على الراح أدمن شربها	جد	»
٢٩٧	٦٣	وهويته يسقى المدام كأنه	مجلس	كامل
٢٩٩	٦٤	وأغيد من ظباء الروم عاط	فريد	»
٣٠٠	٦٥	انا المطبق المسجون لامن سجنته	دع	طويل
٣٠١	٦٦	كأنى أراك ابا جعفر	مشيراً	مقارب
٣٠٢	٦٧	أدرك أخاك ولو ثقافية	الزهر	كامل حذاء
٣٠٤	٦٨	ترأى بعينى إن أردت مبرتى	بقسيم	طويل
٣٠٥	٦٩	أصبحت فى السوق ينادى على	المال	رجز
٣٠٦	٧٠	نفسى تحن الى فداء	شراء	رجز مجزوء
٣٠٧	٧١	بؤسى شقورة عيدى	بؤسى	مجتث
٣٠٧	٧٢	قالوا أنى الراضى فقلت لعلمها	أبيه	كامل
٣٠٩	٧٣	قل لبرق الغمام ظاهر بريدى	الرشيد	حفيف
٣١٣	٧٤	هلا سألت شفاءة المأمون	يكفينى	كامل
٣١٧	٧٥	يقول قوم إن المؤيد قد	نقده	منسرح
٣١٩	٧٦	سجايك إن عاقبت اندى	وأوضح	طويل



أهم مصادر البحث

- ابن الأبار ، الحلة السراء . مخطوط في المكتبة الوطنية
في مدريد (نسخة مصورة منه في مكتبة كلية
الآداب والعلوم ببغداد)
المكتبة لكتاب الصلاة القاهرة
- ابن بسام (ابو علي الحسن) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الاول ،
طبع في جزين في القاهرة ١٩٣٩ و ١٩٤٢ .
القسم الثاني . نخسه مصورة في
مكتبة كلية الآداب والعلوم ببغداد
مخطوط الرباط رقم ١٣٤٢
مخطوط القرويين (اجزاء متفرقة)
مخطوط مكتبة الآثار ببغداد
- ابن خاقان (الفتح) ، قلائد العقيان ، ط بولاق ١٢٨٣ .
مطمح الانفس ومسرح التانس في ملح اهل
الاندلس ط . الاستانة ١٣٢٠
- ابن الخطيب (لسان الدين) ، أعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام
من ملوك الاسلام ط الرباط من قبل لبني
بروفنسسال .
السحر والشعر ، مخطوط الاسكوريال رقم ٤٢٠
، وفيات الأعيان ، ط القاهرة ١٣١٠
- ابن خلكان

- ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، بولاق
١٢٨٢
- ابن دحية الكلبي ، المطرب في أشعار أهل المغرب ، مخطوط
المتحف البريطاني رقم ١٦٣١ .
- ابن زيدون (ابو الوليد احمد بن عبد الله) ، ديوان ، ط القاهرة ١٩٣٢
من قبل كامل الكيلاني .
- ابن ظافر ، بدائع البداء ، بولاق ١٢٧٨
- ابن سعيد (عبد الملك) ، المغرب في أخبار أهل المغرب ، القاهرة
١٩٥٢ من قبل شوقي ضيف
- ابن سيد الناس اليعمرى ، نصوص اندلسية ، مخطوط الاسكوريال رقم
٤٨٨
- ابن عذارى البيان المغرب في اخبار المغرب ، ج ٣ ط
باريس ١٩٣٠ من قبل ليفي بروفنسال
- ابن عمار (ابوبكر محمد) ، ديوان ، مخطوط القرويين في فاس رقم ١
- ابن ليون التجيبي ، نفع السحر في اختصار روح الشعر ،
مخطوط الرباط ٣٣ ١
- ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ط باريس ١٨٤٠ من قبل
رينو ونسي سلان
- الأندلس (مجلة) ، مدريد ١٩٣٥ ، ج ٢

- الحميدى ، جذوة المقتبس ، القاهرة ١٩٥٢ من قبل محمد بن تاويت
- الجراوى (ابو العباس) ، الحماسة الغربية ، مخطوط الاستاذ (مصور)
- شوقى ضيف (انظر ابن سعيد)
- صلاح خالص ، المعتمد بن عباد وشعراؤه (تحت الطبع)
- اشبيلية فى القرن الخامس (تحت الطبع)
- عبد الله بن زبرى ، مذكرات ، الأندلس ، ج ٣ ١٩٣٥
- عماد الدين الاصبهانى ، خريدة القصر وجريدة أهل العصر ، ج ١١
مخطوط باريس رقم ٣٣٣٠
- عبد الواحد المرزا كشي ، المعجب ، القاهرة ١٩٤٩ من قبل محمد سعيد العريان
- عبد السلام الطود ، بنو عباد فى إشبيلية ، طبعه ١٩٤٩
- كامل الكيلانى ، (انظر ابن زيدون)
- ليفي بروفنسال ، (انظر ابن عذارى وابن الخطيب)
- محمد بن تاويت ، (انظر الحميدى)
- محمد سعيد العريان ، (انظر عبد الواحد المرزا كشي)
- محى الدين عبد الحميد ، (انظر المقرئ)
- المعتمد بن عباد ، ديوان المعتمد بن عباد ، القاهرة
- المقرئ (احمد بن محمد) ، تفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، القاهرة
١٩٤٩ من قبل محى الدين عبد الحميد .

أعم المصادر الأجنبية

- Dozy . R - Hisroire des musulmans d'Espagne . Nouvelle edition ,
revue et mise au Jour par Levi - Provençal
Scriptorum arabum Loci de Abbadides , Leyde 1846 -
1853 . 3vol . .
- Garcia - Gomez . Une eclipse de la poesia en Sevilla a la epoua
Almoravides , Madrid . 1945
Poemas Araibgoandaluces. Collection Austral 1945 .
- Gonzalez Palencia A ; - Historia de literatura Arabigo - espan^{ola} ,
Collection Labor , 1945 .
- Levi , - Provençal , - Islam d'occident , ed . maisoneuve Paris , 1948 .

(انظر ابن الخطيب ، ابن عذارى)

- Menendez Pidal - Espana del cid , Madrid 1947 2 vol ,
- Nykle (A . R) - Hispano - arabic poetry and its relations with old
provençal troubadours , ed . Paltmor 1946
- Peres (Henri) . La poe'sie andalouse en arabe classique au xl
eme siecle , Paris 1947 .